تربية الإسلام وادعاءات التحرر

للشيخ

عبد الرحمن محمد الدوسري

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م

حقوق الطبع محفوظة

للشيخ إبراهيم عبد الرحمن الدوسري

الرياض هاتف: ٢٣١٨٥٦٦ ص ب ...

يطلب من

مكتبة الرشد

فرية عظيمة وخطة أثيمة

إن الذين يزعمون أن (الإسلام علاقة بين العبد وربه فقط) حجتهم واهية مدحوضة بل لا يستطيعون أن يبرهنوا علىٰ ما قصدوا من ذلك، ويستطيع المسلم أن يدينهم بنفي مدلول هذه الكلمة ويجعلها حجة عليهم، دامغة لرؤوسهم مرغمة لأنوفهم؛ لأن علاقة العبد بربه ليست مقصورة علىٰ نوع من العبادات دون نوع كما توهمه حملة الفكر غير الإسلامي ممن تتلمذوا علىٰ الإفرنج وأفراخهم ومن تأثر بثقافتهم فيحسبون أن عبودية الله التي يطلبها الإسلام من أهله مقصورة علىٰ صلاة وأذكار في المساجد، أو صوم يؤديه بعض الصائمين بتوجع وسوء استقبال، أو زكاة يدفعها بعض من يدفعها بلا مراعاة لجهاتها أو موقعها، أو حج يرجع منه بعض أهله أو غالبهم دون أن يشهدوا منافع لهم، أو أن يقدس البعض طرقًا أو مواليد مبتدعة. كلا ثم كلا.

إن عبودية الله التي يفرضها الدين الإسلامي علىٰ أهله تتعمق إلىٰ جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحربية ومن قصر في شيء منها فهو مخل لعبودية رب العالمين. بحسب ذلك، فالصلاة التي لا يظهر أثرها علىٰ أخلاق صاحبها بطيب سلوكه وحسن سيرته وصدق معاملته لا تزده من الله إلا بعدًا؛ لأن الله قد يعفوا عن حقه لمن لم يشرك به ولكن لا يتجاوز عن حقوق المخلوقين، فحقوق الخلق لا يتخلص منها الإنسان إلا بحسن أدائها وفق شرع الله أو التسامح من أهلها والتصالح معهم عن طيب نفس، وما من معاملة علىٰ وجه الأرض إلا والمسلم مسئول عن تقويم

اعوجاجها بحسب المستطاع، كذلك ما من فساد يظهر في البر والبحر إلا والمسلم مطالب بإصلاح ما يقدر علىٰ إصلاحه منه ليحقق خيريته المتوقف تحقيقها علىٰ التواصي بالحق والتواصي بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ وإيتاء المال علىٰ حبه مستحقه والإحسان إلىٰ الوالدين وذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين والجار ذي القربىٰ، والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكته الأيمان من كل شيء، وعبودية الله توجب علىٰ صاحبها أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به فيلتزم النصح والصدق في الأقوال والأفعال ولا يمكر بأحد أو يخادعه، ولا تأخذه الموجدة علىٰ أحد فيَحِيكَ ضده المؤامرات، ولا يلتمس المستور من مساوئ الناس فيحملهم علىٰ التنقيب علىٰ مساوئه ولا يشارِرْهم فيحملهم علىٰ دفن طيباته وإظهار سيئاته أو الافتراء عليه كما أصبح ذلك خلقًا للمعرضين عن دين الله وهديه المتلبسين بقومية تقمصت أخلاق أعداء الله من الكفرة الفجرة لابتعادهم بها عن دينها ورسالتها الصريحة اللذين هم مصدر عزها وسبب في سائر الميادين، ويحبذ إليهم الإيثار ومشاطرة كل واحد منهم السراء والضراء، كما يوجب عليهم التناصح بينهم إلىٰ أبعد حد وأقصاه ليس بين العامة فقط؛ بل بين السيد والمسود والقائد والمقود، وقرر أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وأوجب عليهم السعي في طلب الرزق واكتساب المال من حله وإنفاقه في مستحقه وحرَّم علىٰ أهله الإسراف والتبذير ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] كما أوجب علىٰ أهله تسخير جميع ما علىٰ وجه الأرض من دابة ومادة وما في جوفها وما فوقها من الأجرام العلوية لئلا يسبقهم عدوهم إلىٰ اكتساب الثورة المفيدة واقتناص

المواد الهائلة التي تكون بيده أعظم سلاح يشهره عليهم كما جرب فعلًا بسبب إهمالهم أوامر دينهم وتعطيلهم لطاقاتهم ومواهبهم، وجعل الدين الإسلامي كل فرد من أفراده راعيًا مسئولًا عن رعيته في كل ناحية، هذا في النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

أما في النواحي السياسية فقد أمرهم الله في شريعته أن يأخذوا حذرهم علىٰ الإطلاق من كل ناحية وأن يعتبر كل فرد من المسلمين نفسه علىٰ ثغر من ثغور الإسلام فيحرص جاهدًا ألا يؤتىٰ الدين من قبله وأمرهم أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة بجميع أنواعها واختلاف تطويرها، وناداهم بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦] وحرضهم علىٰ مواصلة الكفاح بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤] ونهاهم أن يتخذوا أعداءه المخالفين لحكمه أولياء يلقون إليهم بالمودة أو أن يتخذوا منهم أولياء من دون المؤمنين- كما هي خطة القوميين في هذا الزمان- وخاطبهم بصيغة الاستفهام والتوبيخ قائلًا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦] وصارحهم بأبلغ النهي وأبشع التهديد بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ

فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٤] وناداهم بالتحذير عن الاطمئنان إلىٰ من سواهم أو الميول إليه رغبة أو طمعًا فيه فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١١٩]، وقد فضح الدين الإسلامي أحوال أعدائه بأساليب مطردة إلىٰ يوم القيامة منها الآيتان السابقتان ومنها قوله: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٨ - ١٠] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وآيات كثيرة غيرها لا نطيل في المقام وإنما نورد ذلك ليتبين للمتصبغين بصيغة الإفرنج أن السياسة في دينهم أعظم سياسة وأقواها وأنه ليس مقصورًا علىٰ الروحانيات كما خدعهم أعداؤهم بذلك، ونزيدهم أيضًا أن دينهم لا يسمح لهم بمحبة من شاق الله ورسوله أو موالاته ولو كان أقرب قريب كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ

ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤]

ولهذا لما نظر اليهود وأذنابهم من النصارىٰ في سياسة القرآن علموا أنهم لا يقدرون علىٰ تحطيم كيان المسلمين عامة والعرب خاصة وتمزيق وحدتهم ما داموا متمسكين بالقرآن أو ملتفتين إليه فأخذوا يعملون علىٰ إبعادهم منه وانشغالهم عنه ويصرفونهم عن توجيهاته وتعاليمه بما يناسب حالهم وأوقاتهم من الإغراء بالمادة تارة والمناصب تارة والتنافس العلمي المفضي إلىٰ الشقاق تارة، وانشغالهم بالتصوف والتزهد اللذين هما من ضروب الرهبانية تارة ليعطلوا طاقاتهم، وإغرائهم بالشهوات والموبقات تارة، وإضرام نيران العداوة والتناحر تارة، حتىٰ حان الوقت المناسب لإغرائهم بمعصية الجنس التي حرمها الإسلام وشدد في منعها، وأوْلَعوهم بالقوميات وأرجعوهم إلىٰ ضروب من الوثنية الهدامة المتلونة بشتىٰ الألوان والمتمثلة بصندوق من الطواغيت، تمركزوا في كل ناحية وميدان في العالم ومن لم يتمركز احتضنه الأغرار المتمركزون فأصبحوا في مراكزهم كالواجهات ينفذون ويوقعون ما ينفثه ويرقمه أولئك، ولتثبيت مراكزهم وتبرير خططهم الأثيمة ركزوا في أدمغة الأوغاد والسطحيين أن الدين لا يصلح للسياسة وأنه علاقة بين العبد وربه فقط وانطلت هذه الفرية علىٰ كثير من الناس الذين نسوا الكثير مما يذكرهم بالله،

وساعد علىٰ ذلك جمود بعض العلماء وتخليه عن واجبه وانزلاق بعضهم في فتنة الشبهات والشهوات وانصياع بعضهم إلىٰ خدمة محترفي السياسة الماكرين بالأمم والشعوب فنقول لأصحاب هذه الفرية المفضوحة المكشوفة لمن له أدنىٰ لب إذا كان الدين علاقة بين العبد وربه فقط فهل يرضىٰ الله من عبده أن يتخلىٰ عن الإصلاح في الأرض وتطهيرها من الظلم والفساد؟ إن المتخلي عن ذلك لم يحسن علاقته بربه وهل يرضىٰ الله من عبده أن يسمح لأعدائه بافتراء الكذب عليه ويقرهم علىٰ ذلك أو يعينهم؟ لا شك أن هذا عبد سوء لا يرضىٰ عنه مولاه أبدًا وهو لم يغضب له وتأخذه الحمية والانتصار لشريعة القديم. هل يرضىٰ الله لعبده أن يعيش ذليلًا محتضرًا تُملىٰ عليه الإرادة من كل طاغوت علىٰ وجه الأرض ويمشي أضحوكة يهزأ عليه في زيه ولحيته وصلاته؟ هل يرضىٰ الله من عبده أن يعيش بإيمان أعزل أمام كفر وإلحاد مسلح ويترك أعداء مولاه يعبثون في ماديات الحياة ويلعبون بمقدرات الأمم والشعوب بمكرهم السياسي وطغيانهم الوحشي؟ وهل يرضىٰ الله لعبده أن يوالي أعداءه ويحبهم ويخضع لهم ليتحكموا فيه وفي مصير العالم أجمع؟ إذن ما فائدة هذه العلاقة التي لا يجوز أن تسمىٰ علاقة؟ إن علاقة المحب لمحبوبه والعبد بمربوبه لا تسمح بشيء من هذا أبدًا؛ بل توجب عليه أن يقيم وجهه للدين حنيفًا ويشهر سيفه أمام الباطل ويعد العدة لإحقاق الحق ورفع مناره وإصلاح الأرض وتطهيرها من كل كفر وظلم وفساد ليحقق عبوديته لربه ويصدق علاقته به، وإلا فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

إن الذين يحصرون (الدين) بأنه علاقة بين المرء وربه ويفسرون ذلك بما يحصر مدلوله في أضيق نطاق لا يرضون بتطبيق هذا المدلول علىٰ أنفسهم ويصرخون عند أدنىٰ حاجة بما يناقض زعمهم كما تراهم أيها القارئ الكريم يلجئون إلىٰ الإسلام ويستدلون به علىٰ خصمهم المسلم عند التشاجر تمويهًا علىٰ عميان البصائر لخداع العامة بذكر شيء من حكم الإسلام كي يستعذبوا الخطط الأخرىٰ بمجرد ذكر واضعها لاسم (الدين) أو (رسالة السماء) وواضعها لا يريد الإسلام ولا يستسيغه إلا عندما يريد إفحام الخصم وخداع الجماهير التي لا عقل لها وتوجيهها إلىٰ ما وضعه من خطط.

فلنتساءل مع القراء الكرام عند هذه الأكذوبة والفرية العظيمة علىٰ الله ورسوله فنقول أولًا: هل يرضىٰ رئيس دولة من الدول التي قررت هذه الفرية مبدءًا لها يقتصر رعاياه وموظفوه في ارتباطهم بحكمه علىٰ مجرد احترام اسمه والثناء عليه والانحناء أمامه دون أن يتقيدوا بأوامره وتشريعاته كلها أو يقبلوا منها القليل الذي يوافي أذواقهم ويرفضوا الكثير ويتمردوا عليه بحجة ما أو يجلبوا نظم وتشريعات دولة معادية له فيحتكموا إليها زاعمين أن أوامره وتشريعاته لا تنافيها؟ هل يعتبرهم في هذه الحالة قائمين بواجبهم مخلصين في خدمة وظائفهم أم أنه يعتبر من سلك هذا المسلك خائنًا عميلًا لغيره ذَنَبًا فلان وفلان؟ لا شك أنه يعتبر من لم يلتزم بنظمه وينفذ تشريعاته خائنًا وصفه بكل وصف ذميم ويرميه بكل تهمة ويقصيه عن عمله ويقدمه للمحاكمة ثم ينزل به أقصىٰ العقوبات الصارمة - كما جرىٰ لمن يعمل معشار ذلك من التمرد والاعتراض، وعلىٰ هذا فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من منزلة رب العالمين فهم بهذه العظمة والخطة الأثيمة انتقصوا الله ورسوله انتقاصًا لم يسبقهم عليه

أي كافر في غابر القرون قامت عليه حجة الله، حصروا علاقة المسلم بربه في المسجد ونحوه وأوجبوا عليه الانقياد لهم في كل ميدان والاستسلام لهم في كل ناحية من نواحي الحياة وأوجبوا علىٰ الإنسان تأليههم من دون الله بهذا العمل الذي يحتوي علىٰ جميع معاني التوحيد، وجعلوا حدود الوطن ومحبة الجنس وما يتصل بهما من شعارات وطقوس فوق حدود الله وأعلىٰ من محبته فهم أشر بكثير من أهل الجاهلية الذين أخذنا الله عنهم أنهم ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦] فخطتهم هذه أعظم انتقاص لله واتهام له في حكمته وامتهانه بعزته وإلا فكيف يجعلون لله جزءًا من الانقياد وهم لا يرضون إلا بالجميع؟ كيف يعملون بكل جد ودهاء لإغراء الناس علىٰ التمرد علىٰ حكم الله وشريعته ويشرعون له ما يوافق أذواقهم ومصالحهم بينما هم لا يسمحون لأحد بالإخلال فيما شرعوه أو معارضتهم فيما وصفوه؟ هذا هو عين المحادة لله ولرسوله وهو في افترائهم علىٰ الله بالكذب بل ازدادوا افتراء علىٰ الله بقولهم خداعًا للعوام والمطبوعين (إرادة الشعب من إرادة الله) إذ بتقريرهم هذه الفرية يكون للشعب أن يفعل ما شاء ويتصرف في تخطيط حياتة تصرف من ليس موقنًا بشريعة الرب الذي أرسل رسلًا وأنزل كتبًا بل يبنىٰ تصرفاته في الحياة وفق ما يهواه وعلىٰ أساس المادة والقوة كالشعوب الكافرة التي لا تدين بدين يقبله الله ولا ترعىٰ خلقًا ولا فضيلة، فقد تجرؤوا علىٰ الله بهذه الكلمة التي جعلوها قاعدة، تجرؤوا بها علىٰ الله جراءة لم يسبق لها مثل في أي دور من أدوار الجاهلية المختلفة وفي أي

محيط من الكفر البواح؛ لأن غاية ما قضىٰ الله علينا من شأن الكفر المتعلق بالمشيئة يقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] فرد الله عليهم إفكهم وضلالهم وتعلقهم بالمشيئة التي تعلق بها أول الكافرين ورئيس الكفر إبليس.

أما هؤلاء فقد جعلوا لأنفسهم إرادة الأمر زاعمين أنها من إرادة الله وحاشا لأبي جهل ومن علىٰ شاكلته مع خبثه وعناده في الكفر أن يصل إلىٰ هذا الحد في الجرأة علىٰ الله، فهذا شيء معروف قبحه وضلاله ببداهة العقول لأن أذواق الشعوب ونزعاتها تختلف، فإذا جعلت إرادة الشعب من إرادة الله جاءت نزعات الوجودية والشيوعية الإباحية الإلحادية بل ونزعات الصهيونية والنازية والفاشية وشريعة الغاب وغيرها من إرادة الله التي أمر بها، وصار كل ما تهواه النفوس الشريرة من بطش وفتك هو من أمر الله، وما يعشقه مرضىٰ القلوب من التفسخ والانحلال ومعاقرة الخمر ودغدغة وإشباع الشهوات من أمر الله علىٰ هذه القاعدة الخبيثة، فعلامَ ينتقدوا أفعال غيرهم ويصيروا عليهم إذا كانت إرادة الإنسان ورغباته من إرادة الله في حكمه الذي يرتضيه ؟ وإذا كانت إرادة الشعب من إرادة الله التي يرضاها فلأي شيء يرسل الرسل وينزل الكتب ويشرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويوجب علىٰ أتباع الرسل إقامة الجهاد ويشدد الأمر علىٰ الأمة في إقامة حدوده وعدم تخفيها؟ وصدق الله العظيم قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] وأي ضلال أعظم من هذا وأي افتراء أعظم من هذا الافتراء فقد جاوزوا في فريتهم قول من قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ولكن الكفر يجر بعضه بعضًا، والاسترسال في المخالفات يجر إلىٰ تكذيب آيات الله والاستهزاء بها كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ

﴿أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الروم: ١٠] وإذا كان الله ينص في محكم كتابه فماذا بعد الحق إلا الضلال (بصيغة الحصر) فلا يستبعد أيها المسلم حكمًا أجروه من ضلال ووقاحة فهم يتخبطون في الضلال بجميع أنواعه في كل ميدان ويجرؤون علىٰ افتراء الكذب والتضليل زاعمين التقدم في ذلك والرقي والحضارة قائمين بإغراء الناس علىٰ تعدي حدود الله بكل إغراء وأي إغراء أشد وأفحش من جعل إرادة الشعب من إرادة الله، ولكن لا يطبقون هذه الفرية الشنيعة علىٰ أنفسهم إذ لم يسمحوا لها بغزو الشعوب التي تختار لها حكمًا لا يتناسب مع أطماعهم وأغراضهم فيغزونها بالقوة والعنف وإنزال المظليين عليهم وقذفهم بالقنابل المحرقة المدمرة التي تجعل أراضيهم لا تصلح للزراعة إلا بعد عشرات السنين، فإذا كانت إرادة الشعوب من إرادة الله فلم يغزوهم ويقصفوهم بكل محرق ومدمر؟ أم يعتبرون الشعب الذي يحكمونه هم بالحديد والنار هو الشعب الذي إرادته ألوهية من إرادة الله؟ ومن العجيب أن الذين افتروا هذه الفرية وقالوا (إن إرادة الشعب من إرادة الله) ليس لشعبهم أي إرادة يستقل بها ويختارها لحياته وإنما هو مكبوت الفكر مكموم الأفواه مكسور العزيمة لا يقول ولا يعمل إلا ما يملىٰ عليه من إرادة المتسلط عليه في كل شيء، فقد جمعوا بين المتناقضات في أقوالهم وأفعالهم بفصل الدين عن السياسة وإن افتروا تحت هذه القاعدة ما افتروه من أكاذيب لخداع الناس والسيطرة علىٰ جميع مراقهم فقد أعادوا الحكم القيصري والكسروي لأنهم ما فصلوا الدين عن السياسة وأقصوه عن الحكم فأصبحت السياسة كجمل هائج (حبله علىٰ غاربه) أو كنمر مسعور لا يعرف غير القوة وقضم الضعيف فكان بذلك في كل شعب وأمة قيصر وحده له الحول والصول علىٰ الرغم من أنه يسمىٰ رئيس دولة أو رئيس مجلس أو وزير دولة وما إلىٰ

ذلك من مصطلحات الأسماء التي لا نرىٰ تحتها من المعاني سوىٰ استبداد الفرد بأكبر مجموعة يجعل له التحكم في أمورها وتسييرها وفيما يهواه بالحديد والنار وليس لها من أمرها سوىٰ الخداع باسم الشعب الذي يمتنع عليه تحصيل أدنىٰ شيء ويؤخذ باسمه كل شيء من ذلك وتعمل باسمه القطائع دون أن يكون في يديه أو تحت علمه شيء من ذلك، فليس الحكم القيصري أو الكسروي فعلًا مقصورًا علىٰ أشخاص ممن يسمون أمراء أو سلاطنة ونحو ذلك وإنما العبرة بالمعاني لا بالأسماء، فالجمهوريات اليوم مجرد نغمة لإلهاء الشعوب التي دب فيها الوعي الخاطئ التي لا تميز به بين من يعمل لحياتها وصالحها حقًا ومن يلعب علي إذقاتها ويسيرها إلىٰ الهاوية في كل ميدان. وها هو يعمل في البلاد المسماة (جمهورية) من الفظائع وغمط الحقوق ما لا يقدر علىٰ فعله أو يترفع عنه أي حاكم علىٰ اختلاف مسمياتهم. وهذا النوع من الحكم بأي لقب ظهر وبأي طلاء سبغ نجد فيه الظلم متشعبًا في كل ناحية والفساد موزعًا بكل فتنة وإغراء إلىٰ كل مكان حتىٰ يدخل إلىٰ كل بيت باسم التقدم والتطوير والحضارة والمدنية وما إلىٰ ذلك من المصطلحات التي يبنىٰ تحت شعاراتها الفساد والإلحاد فالملوك الذين أخبرنا الله عنهم في القرآن قد يكونون أهون مما يسمىٰ بالجمهوريات اليوم التي أغلبها يلعب علىٰ الشعوب باسم الشعوب ويفتك بالشعوب بحجة حمايتها ويمتص دماءها بأبشع طرق الاستغلال الجماعي باسم محاربة الاستغلال الفردي أو الطبقي وما إلىٰ ذلك، ويقيمون المجازر باسم الشعب وتنصب المحاكم العسكرية المروعة الأثيمة باسم الشعب وتعقد الصفقات السياسية والاقتصادية مع الأجنبي بألوان جديدة من أسماء مصلحة الشعب والشعب لا يعلم عنها إلا في الأخبار العابرة ولا يملك سوىٰ التصفيق والهتاف لمن فرض سلطته عليه قهرًا.

فشقاوة العالم بنظام المزدكية المصبوغ بطلاء الاشتراكية الكاذب أعظم من شقاوته بأنانية الرأسمالية المصبوغ بطلاء الديمقراطية الذي يصطبغ به أولئك أيضا، كما أن شقوته بمفاسد الأخلاق والانحلال والتهتك في عصر الجمهوريات الكاذب أعظم مما يسمع بحلوله في مرابع الحكام قبلها مما هو قابع فيها ولم ينتشر وكل حل ويحل بالعالم من بؤس وخسارة وإزعاج إنما هو سبب فصل الدين عن الدولة وجعل مصير الناس وأزمة أمورهم بأيدي دجاجلة وطواغيت تفرض وجوههم ظروف متنوعة ويظهرون علىٰ الناس بألقاب ومذاهب شتىٰ ظاهرها الرحمة والإشراق وباطنها أظلم من باطن جنكيز خان، وأكثر ما يروجون به باطنهم أن الدين هو فقط علاقة بين العبد وربه لا شأن له في السياسة وتقلبات أحوال العصر وهي نظرة فرنسية روَّجها الثائرون علىٰ الكنيسة المتزمِّتة ولها أصل بالعصر القديم فهي رجعية أيضًا يتشدق بها المغرضون لنشر سلطانهم دون ما قيد أو حساب. ولو قام المسلمون بالتواصي بالحق والأمر بالمعروف والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وأخذوا كتابهم بقوة واستعملوا أفكارهم واستغلوا طاقتهم بتسخير ما علىٰ وجه الأرض وما في جوفها وأجوائها من دابة ومادة متوكلين علىٰ الله في ذلك لقمع المفتري علىٰ الله والسعي لإعلاء كلمته في الأرض لما تشبثت هذه البدعة ولا غيرها من قبل ولما قام للمبطلين قائمة ولا سلطان ولكن هذا من تفريطهم في جنب الله وأن ينيبوا إلىٰ الله ربهم من جديد ويلتزموا أحكامه وحدوده ويدفعوا الباطل بسيوف الوحي الدامغة يمدهم الله بنصر من عنده، فقد ضمن بهم النصر والنجاة والتمكين قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

الشباب السعودي وواجبه

أين الشباب السعودي من واجبه

بما أن الشعب السعودي أكثر من يعلق عليه الآمال بإذن الله فإني أتساءل مع شبابه الذين هم رجال المستقبل. هذا السؤال الذي يتشعب إلىٰ جميع نواحي الحياة، ولا شك أنهم رجال المستقبل وعلاقة الجِيْد الفريدة بين بني الإنسان إن هم عرفوا قيمتهم بقيامهم بالواجب الإلهي من حمل الرسالة السماوية التي امتن الله بها علىٰ آبائهم الأميين واختار لبلادهم أن تكون مهابط الوحي ومحل إسماع النور علىٰ أهل الأرض، وأنزل كتابه بلغتهم العربية الكريمة لتكون هي اللغة الرسمية في جميع أنحاء المعمورة وقد اقتضت حكمة الباري اختبارهم لحمل رسالة النور والهدىٰ لما جبلهم عليه من الطبائع التي كانوا بها مظنة الخير ومضرب المثل في قبول الهداية وتحملها، وقد كان التدين طبيعة أصيلة في نفوسهم عرفوا به من فجر التاريخ بحيث كلما عفت آثار النبوة وطالت الفترة بين رسول ورسول فأدتهم الحماسة الدينية إلىٰ التشبث ببعض الجمادات يتخذونها وسائط بينهم وبين الله وذلك لقوة تفكيرهم لما بعد الموت واستعدادهم للدار الآخرة، وإن كان منهم قليل من الدهريين فقد تضطرهم سيمتهم الأصلية إلىٰ تألية شيء من الأشياء، لما تضطرون جميعًا إلىٰ الإخلاص لله في أوقات الشدائد عكس ما عليه وثنية اليوم، ذلك لأن الحاسة الدينية مؤثرة لديهم كتأثير بقية الحواس الخمس. ويقرر الباحثون أن لهذه الحاسة الدينية تأثير في جميع الأمم الشرقية ولكنها في عرب الجزيرة الأقحاح أخوي تأثيرًا ولذلك فهم أشد تأثيرًا بما جاءت به الرسل وأقوىٰ تصورًا له

وأعظم تصديقًا به وحملًا له كما هو واضح من سيرتهم التي ظهروا بها أهل الأرض بالأدب الرفيع والخلق الشريف والصلاح في العمل والعدل في الحكم، والصبر في البأساء والمواساة في الشدائد والإنصاف من النفس حال الغضب والرضا ولكن هذه الحاسة الدينية أخذت تنمو عند البعض وتنهدم عند بعض لما أصابهم من الغزو الغربي الثقافي والولوع بالحضارة الغربية المادية التي لا تؤمن بما وراء المحسوس والتي أجلبوا بها علينا بخيلهم ورجلهم وبذلوا غاية المجهود في أن يقذفوا علينا بجميع قاذورات مدينتهم وقشورها الزائفة محتفظين هم بلبابها، والعجب كيف انقلبت الحقائق وضاعت الموازين بما جره هذا الغزو علينا من مركب النقص، وضعف النفس الخلقي بحيث صارت دعوىٰ التطور حجة لتغيير كل شيء وتبديل العقيدة وتغيير الأخلاق وتعطيل الرسالة وجحود ما هو معلوم بالضرورة ولزوم التبعية والتقليد الأعمىٰ في كل شيء حتىٰ فقدت الحاسة الدينية وتغيرت الفطرة التي فطر الله الناس عليها من سوء التوجيه وإفساد القلوب بفتنة الشبهات والشهوات، وإذا زالت الحاسة الدينية في الإنسان وانعدمت في حقه بطلت نتائجها الخاصة بها وصار لا يستطيع فهم الحق وتصوره فضلًا عن أن يخضع له ويهضمه، وصار شأنه شأن الأعمىٰ الذي لا يبصر والأصم الذي لا يسمع والمطمور الذي في ظلمة ليس بخارج منها، فكان شأنه جحد الغيب والمكابرة فيما وراء المحسوس والمعاندة في النصوص والقسوة علىٰ الرقائق والقوارع التي تهز النفوس وتصقل القلوب، وصار كمن حدثنا الله عنه بقوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فصلت: ٥] أو كما حكىٰ عن قوم شعيب إذ قالوا: ﴿مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١] وأشد العقبات

التي واجهها الأنبياء وخلفاؤهم الدعاة الدينيون في كل مكان هم أولئك الذين حرموا الحاسة الدينية وأفقرت قلوبهم من حب الله ورسوله وانطفأت فيها جمرة الغيرة علىٰ حرمات الله وحدوده. لذلك بذل دعاة الضلال من أساتذة الغرب وأفراخهم الذين تتلمذوا علىٰ يديهم قصارىٰ جهدهم في تكوين جيل من هذا القبيل لا يعرف معروفًا ولا يذكر منكرًا ولا يرعىٰ فضيلة ولا يراقب ربًا أو يتأسىٰ برسول، بل يرىٰ الانحطاط الخلقي تقدمًا ونبذ الدين والأخلاق حضارة. ومن الجدير بالذكر أن التطور لا يجوز أن يتطرق إلىٰ الأخلاق والعقيدة إذ لهما مبادئ ثابتة من تجاوزها وقع في الفساد والضلال كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] والعقيدة والأخلاق فرسا رهان كل منهما يقرر صلة الإنسان بالخالق والمخلوق ويرسم الأهداف العليا التي لا تتغير بالتطور إذ أن التطور يجري سكنىٰ الإنسان من كوخ أو بيت طين إلىٰ بيت حجري أو مسلح فما علاقة هذا التطور بدينه وأخلاقه. فإن انحلال المرء من أخلاقه وانحرافه عن دينه ونبذه لرسالة الله لا يجوز أن يسمىٰ تطورًا وإنما هي مسخ وانحراف وكفر بالنعمة وخروج من شرف الإنسانية.

كذلك إذا جرىٰ التطور من ركوب الإبل إلىٰ ركوب السيارة والطائرة هل يجوز أن يسري ذلك إلىٰ الدين والأخلاق؟ أو جرىٰ التطور من صنع سرير حرير إلىٰ سرير حديد أو تبريد الماء بالزير إلىٰ تبريده بالثلاجة أو من التروح بمروحة خوص إلىٰ مروحة كهرباء أو مكيف هواء وما شابه ذلك من القفزة الصناعية ووفرة النبوغ فيها وشره النفس إليها لا يجوز أن يتخذ من هذا التطور المادي وسيلة إلىٰ تبديل دين الله والقضاء علىٰ الفضيلة والأخلاق كما أراده الغربيون هنا، ثم يتشدق عملاؤهم وأفراخهم من بني جلدتنا بأن الدين لا يساير

التطور فيجب نبذه واطراحه وعدم الالتفات إليه وأن ينزوي أهله في زاوية مسجد حتىٰ يهلك أو يهلكوا ويخلفهم تلاميذ الإفرنج وخرجوا مدارس فرانسيس المنسلخين من آيات الله الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام وإذا سألتهم عن عقيدة تعلقوا بالجنس والوطن، وإذا ناقشتهم فيما وراء ذلك تشدقوا بحمل مفاهيم غيرهم من طغاة اليهود والملاحدة أمثال (انجلر وكارل وماركس ولينين)، وإذا سألتهم عن صفات الرجولة وسمات الإنسانية التي يحبها الله جعلوا الخائن لرسالات الله مخلصًا والمنفذ لطرائق الملاحدة بطلًا ووطنيًّا والمنافق الذي تجتمع فيه صفات المنافقين (رجل الساعة) ونحوها من الألقاب هذه ثمرات غزوهم ونتائجه الحنظلية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧] والطاغوت اسم جنس ليس علمًا علىٰ شخص بعينه، فالقرآن لا يعني بالأشخاص وإنما يعني بتركيز العقيدة والطريقة المثلىٰ المعبر عنها بالمبدأ الصحيح الذي من حاد عنها فقد ضل عن الصراط المستقيم وسلك طريق المغضوب عليهم اليهود الذين خالفوا الحق وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وحُمِّلوا كتاب الله فلم يحملوه فشبههم بالحمار الذي يحمل أسفارًا فلا ينتفع بها، وانسلخوا من آيات الله، وأخلدوا إلىٰ الأرض تعلقًا بالوطنية وإيثارًا للمادة والشهوة علىٰ العمل بتلك الآيات فشبههم بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وهذه صفة ملازمة لكل من أعرض عن كتاب الله وأقبل علىٰ غيره من كل مبدأ ومذهب مما هو مشاهد الآن من أهل الأرض وإذاعاتهم من التهارط الذي لو سكت بعضهم عنه لم يتركه الفريق الآخر.

(والطاغوت) في أصل اللغة العربية مشتق من الطغيان وهو مجاوزه الحد يقال (طغىٰ السيل) إذا جاوز ماؤه حافتي الوادي (وطغىٰ الماء) إذا ارتفع حتىٰ جاوز قامة الرجل بحيث يغرقه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾[الحاقة: ١١] فكل من تجاوز حده المأمور به شرعًا والذي خلقه الله من أجله فهو طاغٍ، وكل من دعا الناس بغير دعوىٰ الله ورسوله فهو طاغوت، وكل من ابتدع مذهبًا أو مبدءًا يطغىٰ الناس به عن دين الله وشرعه فهو طاغوت، وكل من عمل علىٰ تغير ملة إبراهيم فهو طاغوت، ومن حكم بغير بما أنزل الله فهو طاغوت، وكل من تأله وحاول فرض نفسه علىٰ غيره وإخضاع لما يريده بلا برهان من الله فهو طاغوت ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب فهو طاغوت، وقال سأنزل مثل ما أنزل الله فهو طاغوت، فكيف بمن زعم أن مفاهيمه أو مفاهيم متبوعه ومحبوبه خير مما في القرآن والعياذ بالله. فأنواع الطواغيت كثيرة يجب علىٰ جميع المسلمين الحذر منهم وعدم الانصياع إليهم كما يجب علىٰ الشباب السعودي بصفة خاصة أن يكون أكفر الناس بهم وبما جلبوه من فتنة الغربة والإلحاد في العقيدة والتحلل في الأخلاق.

نعم إن عليهم بل من أوجب الواجب عليهم أن يكونوا من أشد الناس كفرًا بالطاغوت الذي أمرهم الله أن يكفروا به بجميع أنواعه وأصنافه ليحققوا إيمانهم بالله؛ إذ لا يتحقق الإيمان وتحصل جدوىٰ الأعمال الصالحة إلا بالكفر بالطاغوت فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] إن الشباب العربي الذي هو سلالة من أبناء التوحيد من أب إلىٰ جد يجب عليهم أن يكونوا من أشد الناس

عتيًّا علىٰ الطاغوت وجميع مبادئه ومذاهبه الذي يطغىٰ بها العباد عما جاء به رسول الله بأي ثوب أو لون، وأن لا ينزع عن الإيمان بأن منزع ولا يتبع خطوات الشيطان ولا صده عن سبيل الله وزخارف الفتنة الغربية التي أضل الغرب بها كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل. إن الواجب عليه أن يعرف قيمته التي اختارها الله له وجُعل أهلًا لقيادة الأمم إن هو تمسك بكتابه وحمل رسالته التي شرفه الله بها، وأن لا يشغله عنها أي شاغل ولا يصرفه أي صارف أو مذهب من مبتدعات شياطين الإنس وطواغيتهم، وأن لا يقدس الجنس والتراب ويطرح ملة رب الأرباب، عليه أن يكون عبدًا لله لا عبدًا للمادة والشهوات كما يريد له أعداؤه الذين يخدعونه باسم الحضارة والتطوير والاقتصاد والتصنيع فيصرفونه عن واجبه الصحيح الذي لا تتم الحضارة النافعة إلا به ولا يحصل التطوير الشريف إلا منه ولا يتحقق الاقتصاد والتصنيع المثمر للجمهور إلا بسببه وعلىٰ ضوئه ويزحزحه عن واجبه الكبير ومهمته العظيمة ورسالته الشاملة الخالدة إلىٰ ضيق المادة التي لا تنظر إلىٰ أبعد من قدمها ولا تؤمن إلا بفائدة وطنها ولا تعرف غير العكوف علىٰ الشهوات وخدمة الجسم الحيواني ولا تقدر غير الأثرة التي لا تسمح للاثنين بالعيش في إقليم واحد حتىٰ يتحدا في الجنسية المنبوشة من الجاهلية، أما الاتحاد في الدين فهو عندها صفرٌ علىٰ الشمال لأنه من وضع رب العالمين لا من وضع السادة الأوربيين (الذين تحجروا الواسع حتىٰ قلبوا سعة الدنيا إلىٰ أضيق من جُحْر الضب) وقيدوا الناس بأغلال من مبتكرات المادية المطلية بطلاء التمدن والتنظيم حتىٰ ابتلاهم الله بلون جديد شديد من ألوان الأثرة والتحجير ألا وهو الشيوعية التي تستأثر حكوماتها بكل شيء وتحجر علىٰ كل شيء باسم الشعب المخدوع المكذوب عليه الذي أصبح مسخرًا

كالحيوان لا ينال إلا ما يتفضل به عليه مالكه، ولا يقدر أن يعيش عيشة حرة ولا بقرش واحد، فكل هذا من بعض عقوبات الله القدرية التي يصيب بها كل من تنكب عن هداه وفرط في رسالة مولاه حتىٰ إذا انتقم الله من بعضهم بعضًا وأذاقهم صنوف الوبال والنكال بما كسبت أيديهم قيض الله من يختاره لنصرة دينه فأظهر الحق والنور علىٰ يديه فاحذروا يا معشر الشباب العربي المسلم سلالة رجال التوحيد أن تكونوا من أهل الصنف الأول، واحرصوا أن تكونوا من الصنف الثاني من حزب الله المفلح الذي سينقذ الله علىٰ يديه جميع العالم أو غالبه، فإنكم من أمة إسلامية لا تزال شرارة الحياة والطموح كافية في رمادها ولا يزال فيها من يحِنُّ إلىٰ ملة إبراهيم وينشد الإخلاص لله وفي سبيله لإعلاء كلمته. والدنيا إن لم ينقذها المؤمنون بالله القوامون بالقسط الحافظون لحدود الله ولا يصلحها تلامذة الإفرنج وخريجوا تلامذة فرنسيس عباد الهوىٰ والمادة، ولا تصلحها (المزدكية) وإن طليت بطلاء الشيوعية أو الاشتراكية ولا تصلحها الجاهلية الرجعية التي ظهرت بثوب القومية والعصبية التي وصفها نبيكم (ص) بأنها «مُنْتِنة» بل لا يصلحها ويسعدها إلا دين الله الذي وعد وتعهد بإظهاره وإتمام نوره (ولا يخلف الله وعده) فاحذروا أن يظهر هذا النذر علىٰ غير أيديكم فتسقط بكم حبال الضلال التي أُعيذكم بالله أن تتعلقوا بها فترديكم إلىٰ الهاوية. كونوا معشر الشباب من شباب محمد (ص) الحاملين لرسالته الداعين بدعوته ولا تكونوا من شباب (موسكوا وباريس ولندن) ومن تتلمذ علىٰ أولئك من حملة مذاهب الضلال والدعاة إلىٰ الانحلال فإنكم ستكونون من أولئك الفجرة إن اتبعتم ما تقذف المدارس والجامعات في الشرق لأنها احتست من قيح أولئك ودمهم وصديدهم وأخذت تمجه علىٰ قلوبكم الطاهرة كما مجته

علىٰ من قبلكم فأصدته. فاحذروا أن تبتدئوا من حيث انتهىٰ غيركم، وعليكم معشر الشباب الأحباب أن تستأنفوا حياتكم بالتحرر من رق كل ثقافة أجنبية عن دينكم وعن حقيقتكم، واطمحوا برؤوس شامخة إلىٰ القيادة التي أوجبها الله عليكم تحت راية محمد ﷺ وبتعاليمه وثقافته وحمل النذر والهدي الذي جاء به ذكرًا وشرفًا قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠]، ولن تشرفوا إلا به لا بغيره من مفاهيم الغرب والشرق، واطرحوا عبادة الأشخاص ومحبتهم لا سيما من اتصف منهم بصفة من صفات الطاغوت الذي يجب الكفر به قبل كل شيء، يجب علىٰ كل واحد منكم أن يجعل حياته امتدادا لحياة نبيه ﷺ فيكرس جهوده كلها في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور فأنتم موئل الإنسانية وأمة المستقبل بإذن الله إن أنتم عرفتم واجبكم حقًا وقمتم به خير قيام. إن المجتمع الإسلامي لا يمكن أن ينهض نهضة صحيحة مأمونة الغوائل إلا برسالة اله التي وكلها إليه، وهي رسالة قوية زحافة واضحة المعالم لا يفوتها شيء لأنها تمحو من قلوب أهلها الأثرة الأنانية وتجعلهم وكلاء لله مستخلفين له في أنفسهم وأموالهم، آمنا لله في الأرض علىٰ ذلك وأنتم شباب الجزيرة أحق بها وأهلها، أحق بالإيمان بها والاستماتة في سبيلها فعارٌ عليكم عارٌ عليكم أن يسبقكم إليها أحد. إنما يحز في قلبي ورعان لمخاطبتكم كتابًا شيئين في خارج بلادكم وداخلها (أحدهما): إن عددًا من شباب العراق وسوريا سبقوكم علىٰ هذه المهمة وكرسوا جهدهم في ذات الله أثناء دراستهم فأنشئوا مراكز إسلامية في عدد من بلاد أوروبا، ولم يكتفوا بذلك؛ بل عملوا في اليابان وجنوبي أمريكا علىٰ نشر الدعوة، وكسبوا هناك خلقًا وسيكونون علىٰ الرغم من قلة إمكانياتهم

وعدم من يساندهم من الحكومات أو يساعدهم من الشعوب سوىٰ جماعات قليلة انتبهت لهم وأعجبت بهم فبذلت لهم جهد المقل، ولو ظفروا بمن يساندهم لتضاعف مجهودهم وكسبوا الكثير من أهل تلك البلاد المتعطشة إلىٰ دين لما أصابها من النكثات والأزمات فيؤسفني ألا أرىٰ بين هؤلاء من شباب الجزيرة وأبناء مهابط الوحي من يشارك أولئك الأبرار في مهمتهم، إذ لو شاركوهم لحصلت المساعدة الجدية خصوصًا إذا انخرط في صفوفهم من أبناء الأثرياء والأسر الرفيعة العماد الرأسية الأوتاد في هذه البلاد مما بفعلهم تأثير عظيم في المجهود والإنتاج، ولكن يا للأسف أرىٰ بعضهم ساور في غفلتة مطمئن إلىٰ الترف والزخارف وعيشة البهائم راض بما ألفه وعاش عليه ناسيًا أن لآبائه قدم جديد في سبيل الله، سائرًا مع ركب الضلالة كالأعمىٰ المقلد، وبعضهم مقتنع بما وجهه إليه أعداؤه ضد دينه وكتابه ورسالته منشرح صدره بفتنة الجاهلية الجديدة التي اصطفها المبشرون كسلاح فتاك للحرب الصليبية الحديثة علىٰ الإسلام وأهله، تلك الجاهلية المستندة إلىٰ الشبهات والشهوات الطارئة والأزياد والأخلاق الأجنبية والمذاهب والمبادئ المخترعة لهدم الملة الحنيفية من الأساس، فيجند بعض أبنائنا قلمه ولسانه للهدم لا للبناء إلا بناء الجاهلية الجديدة التي ظهرت علينا بأسماء وألقاب ظاهريها الرحمة وباطنها العذاب.

أيها الشباب إنها جاهلية جديدة افتتن بها بعضكم واندفع إليها بغرور، وبعضكم استسلم لها مبهورا أمام تطورها الذي يحركه أناس من بني جلدتنا ينطقون بلغتنا وقد احتلوا الصدارة في عالمنا حيث أبرزتهم إلىٰ ذلك ظروف سياسية وثقافية متنوعة يرجع مصدرها الوحيد إلىٰ الخطط الاستعمارية التي

ركزها الغرب بسياسته وثقافته وكل دهائه تنفيذًا للغزو الصليبي الجديد (غزو القلوب) المفسد للروح والقاضي علىٰ الدين والفضيلة، وقد لقي هذا الغزو استسلامًا فكريًّا بقوة ما يحمله من فكر ودهاء وإغراء بالمناصب الحساسة التي ينال منها أربابها الجاه والثراء والسيطرة مما جعل ضعاف النفوس والإيمان يبيعون ضمائرهم للشيطان ويسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، إنها جاهلية بمبناها الحقيقي وطبيعتها الأصلية

فلا تظنوا أن الجاهلية مقصور معناها ومبناها علىٰ فترة من الرسل عم الضلال والوحشية فيها ثم انتهت إلىٰ غير رجعة (كلا) إن الجاهلية طابع روحي وعقلي معين طابع يبرز بمجرد أن تسقط القيم الإنسانية للدين والأخلاق طابع يبرز إذا أُخفْرت القلوب من تقوىٰ الله وضعف الوازع الديني فيها طابع يبرز حالًا في أي زمان ومكان لا تعظم في شعائر الله، فإذا سقطت قيم الدين والأخلاق كما رسمها الله ورسوله حل محلها قيم مصطنعة استوردها المغرضون والمبطلون من هنا وهناك وتجددت جاهلية قد تكون أفظع وأشنع من الجاهلية التي سبقتها، ولعلكم إن بحثتم جيدًا وتجردتم عن العاطفة وقارنتم بين هذه الجاهلية وما سبقتها من أنواعها وجدتم أنها أحط من كل جاهلية سبقتها عربية أو غير عربية؛ لأن الجاهلية الأولىٰ بها كثير من الروحانيات والفضائل يسودها الصدق والخير ونزاهة الضمير في غالب ضروبها وشئونها، إذا كان من سجايا أهل الجاهلية الأولىٰ الثبات وعدم التغلب في المادة أو هيئة أو معاملة لا تؤثر علىٰ أحدهم الحوادث ولا غيَّره انحراف الصفة أو المصلحة ولا يعوقه الكسل أو يصرفه الإغراء عن الوفاء بمعاملته أو التنكر لأخلاق قومه وتقاليدهم لم يكن الميزان عندهم بالتوقير والشرف كثرة المال

والمغالاة بالزخارف والبذخ كشأن أهل هذه الجاهلية الجديدة؛ بل كان الميزان عندهم هو الشرف والسؤدد تجد أفقر رجل يواجه الملوك والأغنياء بجرأة واعتزاز ويجد منهم الإجلال والإكرام مع رثاثة حاله وسوء منظره عكس ما عليه جاهلية اليوم من الكبرياء والغطرسة، وتجدون إذا بحثتم أن ضمير الحر في الجاهلية الأولىٰ محترم كدينه وعرضه لا يساوم عليه ولا يبيعه بأي ثمن كان بل يفضل الموت علىٰ كلمة تنتسب إليه أو خيانة يتلبس بها وقصة أبي سفيان مع (هرقل) مشهورة حيث أبىٰ عليه شرفه ومروءته أن يكذب علىٰ النبي ﷺ وهو في حينها من ألد أعدائه وذلك استحياء وأنفة من أن تنقل عنه كذبة لاستقباح الكذب عنده، فقارنوا بين ذلك وبين أكاذيب جاهلية اليوم وفساد ضمائر أهلها وقلبهم للحقائق ومتاجرتهم بعقول الناس وقضاياهم وكيف يبالغون بمدح الشخص اليوم ثم يبالغون بذمه غدًا إنهم أبعد الناس عن دين يأمرهم بكلمة الحق في الغضب والرضا، أما الحفاظ علىٰ الأعراض ووفاء الزوجات وحفظهن للغيب وغيرة القبيلة علىٰ أدنىٰ امرأة منهم فحدِّث عن ذلك ولا حرج حتىٰ أن (هندا) زوج أبي سفيان عند مبايعتها للنبي علىٰ الإسلام لما ذكر الزنا قالت له (أو تزني الحرة) مستغربة هذا الشرط في البيعة، فأين حال الجاهلية الأولىٰ من جاهلية اليوم: «التي يعتبر السفاح فيها تقدمًا وحضارة وخيانة الزوج حرية ومصرفة بقيمة الحياة وضياع العرض والصفة تهذيبًا ومدنية بل يعملون لإغراء الفتيات علىٰ ذلك بما تشمئز منه النفوس السليمة من المسارح والملاهي والبلاجات الخليعة ومسابقة الجمال بكافة الأعضاء، والتزحلق علىٰ الثلج وأنواع الرقصات الفاتنة الخليعة وكل شيء مثير للغرائز مفسد للقلوب والأخلاق بما لا يتفق مع أدنىٰ شيء من الحياء الذي لم تتخل عنه جاهلية

العرب السابقة بحيث يصعب علىٰ من بعدنا تصديق ما ينقل من التحلل والتفسخ الجاري تحت رعاية الدول القومية وحمايتها، ثم لا يخجلون من التبجح بالعروبة الكاذبة المتفرنجة المتفرنسة التي أصبحت فيها حتىٰ الروابط المنزلية والأرحام الدموية والشرائع الخلقية مرتكزة علىٰ المادة والنفعية والإلحاد والانحلال في كل شيء ولا شك أنكم معشر الشباب إذا قارنتم حالة مدعي العروبة اليوم بحال أهل الجاهلية الأولىٰ عرفتم يقينًا مع سلامة فطرتكم أن الناس في جاهلية جهلاء أفظع وأشنع من كل جاهلية سبقتها فيتضح لمفاهيمكم أن ما عليه اليوم هو رجعية حقيقية بكامل معانيها ومبانيها، رجعية مشينة وأنهم كاذبون في زعمهم التقدمية ورميهم غيرهم بالرجعية، ثم إنهم في جاهليتهم هذه لديهم نظرية سياسية ومذاهب اقتصادية يؤمنون بها كعقيدة ورسالة كانوا من جرائها أشد قوة علىٰ من لا يدين بها وأضيق عطنًا من أهل الأديان والتقاليد الجاهلية واضطهادهم السياسي اليوم لمن ينافسهم ولا يدين بها أفظع بكثير مما يسمونه (الاضطهاد الديني) في العصور المظلمة، وأما الحروب التي قامت وتقوم في أغلب أنحاء العالم الإسلامي جراء ذلك وجميعها ظهرت بها جاهليتهم في صورتها الطبيعية الحقيقية فإذا هي أفظع صورة وأبشع ... يقل نظيرها في التاريخ قسوة قلب وضراوة بالدم الإنساني وهتكًا للأعراض ونهبًا للأموال وإحراقًا وتدميرًا وفظائع تستبشعها الوحوش، وقد جرىٰ ذلك بين المواطنين بعد استقلالهم من الحكم الأجنبي (تبًا له من استقلال) والعياذ بالله، فعلىٰ الشباب العرب أن ينابذوا هذه الجاهلية الجديدة بدلًا من أن يتعشقوها، وأن لا ترنوا أبصارهم وقلوبهم إلىٰ أي شخص من الأشخاص المولعين بها في حفظها ممن خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم التي

ائتمنهم الله عليها من شرائع دينه بنبذهم كتابه وتمزيقهم له تمزيقًا معنويًّا بعزله عن التشريع وإقصائه عن الحكم وتقديم المفاهيم الخبيثة عليه واتباع ملاحدة اليهود والنصارىٰ وأذنابهم من المحسوبين علىٰ الإسلام الذين تفيأوا من فضل أهله ظلًا ظليلًا فكفروا بنعمة الله.

عار عليكم معشر الشباب أن تثقوا بمن خان الله ورسوله وتعتبروه مخلصا فتكونوا محادين لله ورسوله باقتدائكم بمن كره ما أنزل الله واتبع خطط أعدائه، وقد وصف الله من لم يحمل كتابه بالحمار ومن انسلخ عن آياته بالكلب فمن وصف أحدًا بخلاف وصف الله فقد افترىٰ علىٰ الله الكذب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] عار عليكم أن يسبقكم غيركم إلىٰ رسالته التي اختاركم الله لحملها فتحملوا بدلها رسالة قوم غضب الله عليهم ما هم منكم ولا أنتم منهم وإن ادعىٰ بعضهم العروبة فهو كاذب تكذبه أفعاله المخالفة لرسالات الله ويكذبه ربه للافرنج وعاداته الافرنجية في منزله وسائر أحواله ممن قارنتم أحدهم بأي فرنسي أو إنجليزي أو أمريكي أو روسي ونحوه لما وجدتم بينه وبينهم فوارق الزي والتقاليد الأخرىٰ، فيتضح لكم أن عربيته المزعومة ممسوخة إلىٰ هذا وذاك، وأنه مسخ محسوب عليكم أو ملتصق بكم مهما اختلف لقبه أو بلده، والله أوجب عليكم الاستقلال النفسي والفكري وأن تتسلموا القيادة الفكرية الإسلامية في كل شيء فتكون لكم الزعامة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وأن تكونوا مصدرين لا مستوردين وتكونوا متبوعين لا تابعين تكونوا سادة وقادة في جميع أحوالكم لا تُمْلي عليكم إرادة ولا تتطفلون علىٰ شيء من مفاهيم غيركم وتقولون هذا يناسب قيمتنا ويلائم أوضاعنا، فإن هذا مركب نقص يبتلىٰ الله به من أعرض عن هديه، ثم هو استهانة

بعزة الله واتهام لله في حكمته لأنه حكيم في شرعه لا يحكم بغير الصالح الملائم لأحوالهم ولا يفضل شيئًا من حاجاتهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] ومن ابتغىٰ غيره حكمًا في أي ناحية أو تشريع فهو مستهين بعزته ومقدم عليه، والله عزيز في أحكامه غالب لا يقهر فمن ابتغىٰ السؤدد والتخلص من البؤس في غير شرعه فهو المخذول المرذول والمنتكس في أحواله فلا يضركم تلبيس شياطين الإنس وطواغيتها فإن كيدهم في ضلال ولا ينتقلون من نقمة إلا إلىٰ أشد منها.

نعم إن من حاول أن يغلب الله في حكمه وانتقد الله واتهمه في رحمته وحكمته فعمد إلىٰ تشريع نظم وقوانين يعتقد أو يلبس علىٰ الناس أنها هي الملائمة لعصره وأن فيها الكفاية للردع أو هي المقتفية للرحمة فقوله وفعله استدراك علىٰ الله وتهجم عليه في رحمته واتهام له في حكمته واستهانة بعزته والله غالب علىٰ أمره، فقد وقع هؤلاء في شر مستطير وأزمات متلاحقة وجعل أمرهم فرطًا ونظامهم كرهًا ازدادت بسببه الحوادث وارتفعت أرقام الجرائم بشكل غريب وفسدت أخلاق رعاياهم، فصار المنكر هو المعروف المألوف وتفككت الروابط بين الأسر وانعدم المواطن الصالح بمعنىٰ الكلمة، وصار الناس في حالة بهيمية وجاهلية قبيحة ووثنية همجية جديدة تعكس فيها المعان إلىٰ ضدها ولو التزموا بشرع الله ووقفوا عند حدوده لاستراحوا من كثرة الجرائم والسرقات وصلحت أخلاقهم وشرفت أعراضهم وسلمت أموالهم وكياناتهم وعمهم الأمن الكامل والنزاهة فحققوا إنسانيتهم أولًا، وحققوا جنسيتهم ثانيًا، واعتصموا بحبل الله الكفيل

بالرشد والهداية، ولكنها وثنية جديدة تقدس الجنس وتعبد الهوىٰ والمادة والشهوات ولا تقيم لحدود الله والفضيلة وزنًا إلا في الألفاظ الكاذبة عند التبجح والدعاوىٰ وهذه قوانينهم تشهد عليهم بعدم الغيرة والشهامة بتفضيل المال علىٰ العرض، ولخشية اتهامىٰ بالمغالاة أو التحامل أتساءل معكم معشر القراء الكرام سؤالًا واحدًا لعله يكفي عن الإطالة بالتدليل عن ما أقول وهو: هل الديانة خصلة شريفة يحسن إقرارها فضلًا عن الحث عليها وهل يرضىٰ أحد أن يوصم بها؟ ستجيبون بالسلب طبعًا هناك أذكركم أن جميع الحكومات القومية وضعت قوانين تبيح الزنا وتحمي مرتكبه عن إقامة حد الله، مكتفية تارة بغرامة مهما بلغت فليست قيمة للعرض إذ العرض والشرف قيمتهما فوق كل شيء وتارة تسقط الجريمة فيه وتبرئ مرتكبه إذا كان كبيرًا راضيًا عارفًا بنتائجه وهذا هو الدياثة بعينها، لأن المرأة المؤتىٰ بها أخت لكل إنسان وطنيًّا كان أو أجنبيًّا أو كانت وطنية هي أم أجنبية، والرجل الفاعل أو المفعول به أيضًا أخ للجميع فأصبحت (الدياثة) صفة لكل من رضي بهذا القانون أو أقره أو حكم به أو قام بتنفيذه عن رغبة أو استحسان، وأصبح المقنن لهذه القوانين رأس الديوثين مع كونه طاغوت حكم بغير ما أنزل الله بجلب أنظمة الكفرة والفجرة إلىٰ عرب ومسلمين لهم دينهم وشرفهم وعرضهم فسواهم بمن لا دين له ولا عرض ولا شرف، نكتفي بهذا المثل عن غيره من سائر حدود الله التي اعتدوا بها وشرائعه التي مزقوها تمزيقًا معنويًّا والخطا الوثنية الهمجية التي مشوا عليها لتعلموا أيها الشباب علم اليقين أن الناس في جاهلية جديدة ووثنية جديدة فلا تولوا

وجوهكم ولا تمشوا في ركابهم ولا تعلقوا عليهم الآمال، بل الواجب عليكم حقًا أن تلتفتوا إلىٰ رسالتكم السماوية الحقة وتعظموا شعائر الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] وإنه والله ليؤلمني ألا أرىٰ من شباب الجزيرة وأبناء مهابط الوحي من يشارك إخوانه في الدعوة إلىٰ الله من سوري وعراقي وهندي وهم أحق بها وأهلها لولا الولوع بهذه الوثنية الجديدة التي ظهرت بأسماء كاذبة وسيرة خاطئة رسمها اليهود والنصارىٰ وتلاميذهم من المحسوبين علينا (هداهم الله).

فالواجب عليكم يا شباب الجزيرة مشاركة إخوانكم في القيام بالواجب من الدعوة إلىٰ الله وأن تجعلوا نبيكم (ص) أولىٰ من كل شيء وأغلىٰ من كل شيء، لا تفضلوا عليه أي محبوب كان، وأن يكون حكمه أنفذ عليكم من حكم أنفسكم، وشفقتكم علىٰ ملته ونشر سنته أعظم من شفقتكم علىٰ أنفسكم وأهليكم وذويكم لأنه مصدر عزكم وشرفكم، وأن لا تتبعوا ما يصرفكم عن طاعته أو يشغلكم عن نشر سنته والدعوة إليه، وتجعلوا أمره ونهيه مقدَّما علىٰ أي مبتدأ ورائده أو مذهب ونابشه فإن ما دعاكم إليه (ص) هو الخير وفيه جميع أنواع القومية الصحيحة والحضارة النافعة التي كانت (أوربا) في خيرها عون علىٰ أسلافها الذين رعوها حق رعايتها، وما نهاكم عنه فهو الشر والرجعية التي يريد أن يوقعكم بها رائدوا المبادئ المخترعة الشيطانية والمذاهب المنبوشة من الأفكار اليهودية القديمة، وأن تعتبروه الناصح الأمين والقائد الأعلىٰ وتعتبروا كل من صرفكم عن شرعته وسنته خائنًا مشاقًا لله ورسوله متبع سبيل المغضوب

عليهم الضالين من أعداء رسول الله فلتعرضوا عنهم وترفضوا جميع دعواتهم رفضًا باتًا فإن الله لا يرضىٰ من عباده أن يقدموا عليه وعلىٰ رسوله وطنًا أو عشيرة أو مالًا أهلًا أو ولدًا أو والدًا ومن قدم علىٰ محبتهما وطاعتهما شيئًا من ذلك كان عرضة لعقوباته المتنوعة.

(ثانيهما): إن لاحظت المساجد فلم أجد فيها من الشبان إلا قليلًا وهذا تخلف لا يقركم عليه إلا من هو غاش لكم وخائن لرسالة ربكم، فالصلاة عمود الدين وهي أكبر صلة بين العبد وربه إذا وقف أمامه كل يوم وليلة خمس مرات بحب وتعظيم مملوء قلبه بالهيبة والوقار أعظم مما لو حل في بلاط حاكم، فإنه يكون مخبتًا منقادًا لأوامر الله منزجرًا عن نواهيه محسنًا معاملته مع الخالق والمخلوق، فيحسن سلوكه وتنظيم أحواله ويكون مواطنًا صالحًا حقًا، ومجاهدًا في سبيل الله حقًا، وقائمًا بالأخذ بوسائل القوة والاستعداد للأعداء بما يتمكن معه من قمع المفتري علىٰ الله والقيام بإصلاح ما أفسده المفسدون في الأرض، فإني أؤمل أن تصلوا صلاة نافعة تقيمونها حقًا أحسن مما يصليها آباؤكم الذين لم تؤثر فيهم إلا قليلًا، وأرجو أن لا يخيب أملي فأذكركم الله في إقامة الصلاة وعمارة مساجد الله فيها فإنه لا خير في عروبة ليس لها صلة روحية بربها ورسولها وليست آخذة بكتابها، وما هذه المواقيت المحدودة للصلاة إلا وجبات من الغذاء الروحي والدواء الشافي الذي أنت أيها الشباب بأشد الحاجة إليه لما يصيبك من اضطرابات وفتن في حياتك إن لم تداركها باللجوء إلىٰ ربك لجأت إلىٰ مخلوق مثلك فتألهته وعلقت عليه الآمال، وقد جعل الله الصلاة تشريفًا للمؤمن، ولن يكون أهلًا لهذا الشرف إلا من حقق الألوهية لربه، أما من

تعلق بغير الله وانشغل قلبه بحبه من ملك أو أمير أو رئيس أو معشوق أو نحلة أو مبدأ مخترع أو وطن.

واعلموا أن عدوكم قد عمل ويعمل جاهدًا علىٰ إغراقكم في المادية بإبعادكم عن القوة الروحية التي غلب بها أسلافكم أعداءه ... شبه أن تعيدوا مجدهم فتتفرقوا عليه فانتبهوا ولعل فيما سبق كفاية فالحر تكفيه الإشارة والسلام عليكم.

نحن والركب المتحرر

نحن والركب المتحرر

كتبنا فيما مضىٰ عن ما يسميه تلاميذ الإفرنج بـ (الزحف المقدس) ذلك الزحف المشئوم والمعكوس بجميع معانيه التي لمسناها واكتوينا بنارها وازداد به شقائنا وعظمت فرقتنا وساءت أحوالنا وفسدت أخلاقنا ومرجت عقول الكثيرين منا، وصرنا تحت شعارات هذا الزحف المعكوس ألعوبة للدجالين وفريسة للطغاة وأضحوكة لكل عدو متربص بنا من بعيد ومن قريب، وحيث إن المقام لا يتسع لاستيعاب ذكر النكصات والتلومات والمخازي التي لحقتنا من ذلك الزحف المقدس الذي كنا ندور فيه في حلقة مفرغة عشرات الأعوام فقد رأيت توزيع ذلك تحت شعارات العاطفية التي صاغها الماكرون للّعب بعقولنا والمتاجرة بعواطفنا واستلاب أرواحنا ليحتلوا الأمكنة العالية في قلوبنا وعلىٰ حسابنا بالدجل السياسي والتمويه الفكري، وقد سلكوا المذهب الفاشي في جعل التهريج لهم مذهبًا والتضليل لهم عقيدة ومن تلك الشعارات الدجلية الكاذبة التي أخصها بالبحث في هذه العجالة (الركب العربي المتحرر) فلنتساءل مع القراء الكرام عن تحررهم وعن العروبة التي يعتزون بها؟ أهي عروبة أبي جهل وقومه أم أحط منها أو أشرف؟ وأي رسالة يحملونها أرسالة الرحمة أم رسالة الجبت والطاغوت؟ وأي قيم ومثل عالية يؤدونها في هذه الأرض: أأعمال الجاهلية الأولىٰ أم خسائس تقاليد الغربيين أم القيم والمثل العليا التي جاء به النبي العربي (ص)؟ وما هي العقائد التي يعتقدونها والمذاهب التي يتمذهبون بها ويريدون من غيرهم التأسي بهم فيها أعقائد الملة

الإبراهيمية التي جاء به الإسلام وما يتفرغ عنها من مذاهب أم عقائد ملاحدة اليهود والنصارىٰ؟ وأي كتاب مستمسكون به أكتاب خالقهم الذي أنزله بلغتهم وجعله ذكرًا لهم وشرفًا، أم ما سطره لهم أعداؤهم من الباطل والهذيان؟ وهل يسير هذا الركب مع الأحداث مفتحرًا بخطة أعداء الله أو يسيرها هو كما أمره الله؟ وهل يسيره لصالح الإسلام والمسلمين أم لصالح أعدائهم؟ وهل مهمة هذا الركب المزعوم تطهير الأرض من الفساد وغرس الفضيلة في النفوس علىٰ ضوء ما أنزل الله في سورة النور أم علىٰ النقيض من ذلك؟ وما أولياؤهم الذين يتولونهم أيتولون الله ورسوله والذين آمنوا أم أولياؤهم الكفرة والفجرة من كل طاغوت وشيطان رجيم؟ وهل سار هذا الركب المدعي العروبة بنفسه دون مساعدة غيره أم سار بمن اغتر به وعاش علىٰ حسابه من المسلمين؟ وهل تحرك هذا الركب بذاته أم بمحرك حركة لحاجة في نفسه؟ وهل هذا الركب متحرر حقًا؟ وكيف تحرر؟ وممن تحرر؟ وهل فيه معنوية ذاتية وشخصية وحدوية مستقلة يستطيع بها أن يشق طريقه ويقمع من يجابهه أم شخصيته مزوجة ومعنويته مختلجة يتلاشىٰ أمام الأحداث إلا بسند يسنده أو معين يعول عليه؟ أتساءل مع القراء الكرام هذه الأسئلة راجيًا منهم حسن النظر والتعمق في أحوال القوم ليروا جواب كل سؤال مرقومًا في أنف القوم ومن وافقهم، مسطرًا بسيرتهم وأخلاقهم وسوء فعالهم وتناقضهم في أقوالهم وأفعالهم دون احتياج إلىٰ دليل أو شاهد خارجي، فإن من نظر إلىٰ أحوالهم السياسية والاجتماعية نظرة شرعية خالية من التعصب والحمية وجدهم في مكان بعيد عن العروبة فضلًا عن الإسلام ولا يزالون في ابتعاد عن معانيها الصحيحة لأنه لو نظر إلىٰ حالتهم السياسية وجدهم مشتتي الشمل مقتسمين علىٰ أنفسهم خادمين

لأغراض أعدائهم يتسابقون إلىٰ موالاة الكفار وتبنىٰ مبادئهم خلافًا لأوامر دينهم المرسومة لهم في السياسة، ومع هذا تجد أحدهم يعيب الآخر بما هو مرتكب مثله أو أشد حتىٰ بلغوا في التهارط والسباب إلىٰ حد يسخر منه الأوغاد ويتفكه به عليهم أعداؤهم في كل ناحية مما يكون تكذيبًا منهم لدعوىٰ الأصالة التي ادعوها لعروبتهم الكاذبة في مجاراة بعضهم البعض في الكذب الذي يأنف أهل الجاهلية الأولىٰ، وإذا نظر إلىٰ تفانيهم وجدهم أبعد الناس عن معان العروبة الحقة وحكم عليهم بأنهم غربيون لحمًا ودمًا باستثناء تشدقهم أحيانًا بلغة العرب التي ما رعوها حق رعايتها بل حصروها في إطار ضيق فمنعوها به من الانتشار بسبب تخليهم عن حمل القرآن الذي اختارهم الله لحمله، ولو أنهم حملوه لطبقت لغتهم ما بين الخافيين، ولكنهم استبدلوا رسالة الرحمن المشرقة برسالة الجبت والطاغوت التي أقعدتهم عن المعالي وأردتهم في الحضيض لأنهم قلدوا الغربيين من فصل دينه عن الدولة وعملوا وصدوا عن الفرق العظيم بين دين الغرب المدعىٰ ودينهم الصحيح الحيوي، إذ دين الغرب باطل لا يحقق لهم سعادة ولا قيادة بل يجعلهم عبيدًا للكهنة ورجال الكنيسة يتحكمون فيهم مما اضطرهم إلىٰ النهوض للتخلص من ذلك القيد الذي عطل مواهبهم ومنعهم من العلم والتصنيع، بخلاف الدين الإسلامي دين الله الذي اختار العرب لحمله وأناط به خيريتهم علىٰ الأمم، فإنه دين يساير الحياة مسايرة صحيحة ويحث علىٰ التقدم في العمل وأخذ الحذر والاستعداد بكل قوة، ويفرض علىٰ أهله الانطلاق في مشارق الأرض ومغاربها لإصلاحها من الفساد وتطهيرها من البغي والجور. وبما أنهم عموا وصموا عن هذا الفرق الشاسع جرهم ذلك إلىٰ تقليد الغربيين في ثورتهم علىٰ دينهم فثاروا عليه ينتقصونه

ويعتبرونه بأنه سبب التأخر والانحطاط فأقصوه عن جميع نواحي الحياة وقصروه علىٰ عدة أمتار في المسجد وما شعروا أنهم بعملهم القبيح استدركوا علىٰ الله ورسوله وشاقوا الله ورسوله إيثارًا لخطط الغربيين وولوعًا بتقليدهم فكانوا كمن آمن بالباطل وكفر بالحق فخرجوا بذلك عن سمة المؤمنين والتصقوا بسمة الكفرة الذين قال الله فيهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد: ٣] فمن نظر ما يحمله هذا الركب من رسالة وأخلاق عرف أنه ركب غير متحرر وإذا كان لا بد أن يحكم عليه بالتحرر حكم بأنه متحرر من عبادة الرحمن متعبد بعبادة الهوىٰ والشيطان، متحرر من تكاليف ربه ومتقيد بما رسمه أئمة الكفر من ملحد وطاغوت، هذا الركب متحرر من هدْي الكتاب الذي أنزله الله ذكرًا له متقيد بمبادئ أعداءة التي أظهروها له بشتىٰ الألوان والألقاب، فهذا الركب المزعوم أنه عربي وأنه متحرر ماذا يحمل من قيم ومثل عالية ليؤديها إلىٰ أهل الأرض؟ أيحمل قوميتهم المحررة من الدين المشبعة (بنفوس) الجنس والطين؟ أيحمل إلىٰ أهل الأرض المثل العالي في تفضيله للخائن علىٰ الأمين أو تسويته بينهما عند الخصام، وتفضيله للخائن لعهد الله وميثاقه بنبذه الإسلام علىٰ من أوفىٰ بعهده واتقىٰ واتبع ملة إبراهيم حنيفًا بحجة أن هذا مسيحي عربي أو يهودي عربي وهذا مسلم غير عربي حيث يكون قوميًّا مشركًا بتحكيم غير فيكون به حينئذ أمينًا؟ أهذا ما يحمله الركب المتحرر ويتبجح به مفتخرًا بين الأمم؟ أم القيم والمثل العالية التي يحملها هي النقاط التي نقطها وينقطها في مجلة (العربي) وغيرها بعض (الدكاترة) الذين أبرزهم الاستعمار بثقافته في عالم العروبة المنكوب بهم؟ أيطمع هذا الركب المزعوم من باقي العناصر البشرية أن

تنصهر في قوميته وتذوب من أجل الوثنية الجديدة التي يحملها والأشخاص التي يقدسها وخيانة الآلهة التي توزعها بإساءة التصرف في تراث نبيه ﷺ الذي لو أحسن هذا الركب حمله والتصرف فيه لكسب الدنيا بأسرها وصال فيها وجال متواصيًا بالحق متعاونًا مع أخوته في الله علىٰ البر والتقوىٰ؟ لكنه استجاب لعدوه الذي خاف من نهضته الدينية الكاسحة الوثنية ورسم له خطوطًا تفصله عن سداد السبيل، أيطمع بالسؤدد في الخيانة وبالوحدة في الضلال؟ سبحانك هذا بهتان عظيم (وتيتو وسوكانوا وملك الحبشة ونكروما) وأضرابهم وهؤلاء مع خبث جميعهم قد اعترفوا بإسرائيل عدوة العرب، وعملوا لصالحها (قنصرف) أيها القارئ الكريم بذلك أنهم ركب متحرر من الإيمان بما أنزل الله متقيد بالوثنية الجديدة: وثنية المادة والجنس ليس متحررًا من عبودية محبوبه ومتبوعه بل هو عبد لما يهواه من ذلك، ويعرف أيضًا أن (حق) الركب لم يتحرك بذاته وإنما تحرك بسبب ازدحام المعسكرين في المطامع فيحركه هذا تارة وذاك تارة أخرىٰ ثم إنه لم يتحرر في بادئ الأمر من الاستعمار العسكري بنفسه فقط بل بمساعدة المسلمين الذين هم الأكثرية في كل مكان من (الجزائر) فما دونها والذين ساروا ويسيرون في ركابه منخدعون بدجلة وأراجيفه ولو قيض الله لهم من يرفع رؤوسهم بالإسلام الصحيح لقضوا علىٰ هذا الركب الكاذب وأذابوه ذوبان الملح في الماء ولكنه يسارع لإقصائهم كلما انتهت مهمتهم أو شعر بخطرهم، ومن كان في شك فليذكر المواقف الجبارة من (رشاد مهنا وعبد المنعم وعبد الرؤوف وعشماوي وفرقلي ويوسف وخالد) وغيرهم وليذكر أن الذين برزوا في مصر أخيرًا باسم التوعية كانوا مندسين في صفوف المسلمين وأقلامهم تتحرك باسم الإسلام، ولم يعلنوا ما أضمروه حتىٰ تم لهم

ما أرادوا وأكثر أقطاب الذين قاموا بثورة (تموز) من المسلمين وثورة الجزائر قامت علىٰ أكتاف المسلمين فإذا مكر بالمسلمين (الماكرين) لسلامة صدورهم صفقوا وقالوا: نحن الركب المتحرر، فإذا أمعنت النظر في مجرىٰ تلك الحوادث ومن بذل ثمنها وغامر فيها مساندًا الدجالين عرفت أن من يسمىٰ نفسه (بالركب المتحرر) ليست فيه معنوية التهويش والتهريج ما كسب أحدًا، ولو حسب المسلمون له الحساب بادئ الأمر ولم ينخدعوا به لما برز إلىٰ الوجود بألوانه المصطنعة وقلوبهم المنكرة وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٢]، نعم إنه زحف عليك أيها المسلم لا علىٰ أعدائك، زحف عليك أيها المسلم في كل شيء ومناصرة لأعدائك الذين يقاومون دينك وعقيدتك وينكلون بإخوانك في كل مكان. انظر إلىٰ أصحاب هذا الزحف المقدس كيف يدسون الألقاب الحميدة التي لا تجوز إلا للأنبياء علىٰ الوثن الذي شرد وأهلك أكثر من ١٢ مليون مسلم في الهند وجريمته تزيد علىٰ جريمة إسرائيل عشرات المرات أو أكثر كيف لقبوه بـ (رسول السلام) علىٰ جرائمه النكراء بالمسلمين مع أنه اعترف بالصهيونية وصرح بعدالة قضيتها وتبادل معها التمثيل الدبلماسي دون أن يحسب لعروبة هؤلاء حسابًا، وانظر كيف خسرت (التهم من) حكومته مع فعلها الشنيع أخيرًا بالمسلمين في جبل (بور) الذي أحرق فيه قرىٰ كثيرة من قرىٰ المسلمين وجرىٰ فيه مأساة وخيمة لم تعرفها شريعة (الغاب) ولا ما سبقها وشرطة ذلك (اللقب) تتعاون مع المجرمين إيغالًا بالعداوة والتنكيل وشدة ضراوة بإهلاك المسلمين، هذا في الماضي وقد تجدد الحوادث المؤلمة والمساوئ الفظيعة بعد ذلك في (مالدا ومرشد أباد في البنغال الغربي) واختطفوا

عددًا كبيرًا من النساء المسلمات قرب كلكتا!! فهل سمعت من أصحاب الزحف المقدس المتشدقين في أغلب نواحي البلاد العربية أي احتجاج علىٰ هذه المجازر الوحشية؟ وهل صرفوا شيئًا من صيحاتهم علىٰ من اتسعت بلاده ورحب صدره بهذه المآسي والمخازي؟ أو لم تسمع بشيء من ذلك أيها المسلم؟ (أو بما جرىٰ قبل ذلك وكيف خرست ألسنتهم عمن فتك بمليون مسلم في يوغسلافيا) فضلًا عن موالاته ومصافاته؟ وكيف خرست ألسنتهم (من) الملك الذي ينكل بالمسلمين أعظم تنكيل (مع) الحبشة ليحولهم إلىٰ المسيحية ويفتخر بذلك علىٰ رؤوس الأشهاد أمام البطارقة الذين باركوا له خطتة الشيطانية، فيما انطلقت أصواتهم تشتم أقطاب المسلمين الذين تعاونوا معهم في الملمات بعدما أغدقوا عليهم المديح الذي لا ينسىٰ مما لا نحب صدوره بتلك المبالغة ونود منهم الاعتدال ومراقبة الله في المدح والقدح (أيها القارئ الكريم) أليس من أقل الواجب علىٰ من ادعىٰ الزحف المقدس أن تتضاعف صيحاته ويؤز الدنيا أزًا باحتجاجه علىٰ تلك الجهات التي عملت وتعمل الفظائع الوحشية بالمسلمين؟ أليس في موقفهم السلبي من المسلمين والمشجع لأعدائهم نقض بعهد الله وميثاقه الإسلامي الذي يربط العربي بالأعجمي والمشرقي بالغربي حيث تجمع الجميع أواصر الدين التي لا يشبهها شيء؟ أم عملهم هذا إشهاد منهم علىٰ أنفسهم بقطع تلك الأواصر ونقض ذلك الميثاق؟ ومن المضحك المبكي أن أصحاب هذا الزحف المقدس المزعوم لا يرضون إلا من إقامة حكومات علمانية في سائر حكومات البلاد الإسلامية فإذا ابتلي قطر إسلامي بحكومة علمانية كافرة واعترفت بإسرائيل وجهوا صيحاتهم علىٰ المسلمين واتخذوا من عمل تلك الحكومة حجة علىٰ قطع صلتهم بالدين

وأهله، بل علىٰ مناهضتهم المسلمين ومظاهرة النصارىٰ عليهم كأن النصارىٰ لم يكونوا أكبر عامل علىٰ تكوين إسرائيل وتكريس الجهود لخيرها، وتنطلي فريتهم علىٰ كثير من المطبوعين فيفضل الدولة التي تدين رسميًّا بالمسيحية لمجرد انتسابها للعروبة علىٰ الدولة المسلمة بحجة تلك العروبة المخالفة لملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويزعمون أنها عملت لخير العرب وهي وكر صهيوني أو استعماري أو سمه ما شئت هذا من بعض نماذج التضليل لأصحاب الزحف الذي يروجون به باطلهم ويبررون موقفهم المخزي من القضايا الإسلامية التي لا يُعذر كل صاحب ضمير عن التخلي عنها فضلًا عمَّن تربىٰ في أحضان المسلمين وتفيأ بما فتح له الإسلام ظلًا ظليلًا (بحمد) المعروف وكفر بالنعمة وقال أنا عربي ولا أبالي ونسىٰ أنه لم يتولد في تلك البلاد ويقطف ثمارها هو وآباؤه في عروبة كافرة وإنما زحف إليها بالعقيدة التي جاء بها محمد ﷺ امتداءً لملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فحاز بها القيادة والشرف حتىٰ لعب عليه أعداؤه من يهود ونصارىٰ وملاحدة (وكفروا به) وأرجعوه إلىٰ العصبية الجاهلية باسم القومية المحببة التي هي كعجل بني إسرائيل، ورموا الإسلام بدائها من (الطائفية) التي هي بها ألصق والإسلام بريء منها لأنه يقول لأهله ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] وإن تعجب فاعجب لتحريفهم الكلم عن مواضعه بتأويلهم قول الله تعالىٰ ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة: ٨] كيف اتخذوا منها دليلًا علىٰ موالاة النصارىٰ بل واليهود مع غمطهم للمسلمين وهذه الآية الكريمة لا تدل علىٰ

أكثر من إباحة الإحسان إلىٰ من لم يؤذ المسلمين ويغرر بهم من أولئك القوم، وليس فيها ما يدل علىٰ اتخاذهم بطانة من دون المسلمين ووليجه من دون الله ورسوله كما فعلوه باسم القومية، وما أسرع انتحالهم لما يناسبهم أو يقدرون علىٰ تأويله من آيات القرآن حيث لا يرفعون به رأسًا أو ما يلتفتون إليه إلا عند الخصومة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨] ولو رفعوا رأسًا بكتاب ربهم وأرادوا السير علىٰ هدايتهم لتدبروا الآيات التي قبل هذه الآية وعلموا بما نصت عليه من البراءة من كل كافر ومعاداته لما يحمله من مفاهيم بدلًا من الاستجابة إلىٰ مفاهيمهم والسماح لهم بافتراء الكذب علىٰ الله بل إغراؤهم علىٰ ذلك بالركون إليهم واتباع مخططاتهم، ثم إن الآية التي سمحت للمسلم (بعدة) الكافر قيدت السماح بمن لم يقاتلنا سرًا أو جهرًا، ولم يخرجنا من ديارنا أو يظاهر علىٰ إخراجنا، ومعلوم خطط المسيحيين في مظاهرة اليهود علينا وخدمة قضاياهم ضدنا في كل مكان، وترقب (الخرجي) للتنكيل لنا كما فعلوا في حوادث فلسطين في الأمكنة التي تكون لهم فيها الكثرة ثم في المد الشيوعي الذي أعقب ثورة العراق عام ٥٨ – ٥٩م (وفقدت) في حادث الاعتداء علىٰ مصر، زد علىٰ ذلك نشاطهم ضدنا باسم المسيحية في كل مكان مما يُعدُّ مناوئة صريحة للإسلام، فأصحاب الزحف المقدس نسوا حظًّا مما ذكروا به فكأن زحفهم لصالح حزب الشيطان وليس لصالح حزب الرحمن إذ أوقفوا نشاط المسلمين وعطلوا انتشار دعوة محمد ﷺ وخذلوا حملة دينه وكمَّموا أفواههم وجمدوا أقلامهم وعرضوا الأمة شيبًا وشبابًا للفتنة عن الدين ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] بسماحهم بانتشار الإلحاد وسعيهم الحثيث في سوء التربية الذي جعل من أولاد المسلمين مسخًا معنويًّا في كل شيء في زيهم وفي

تفكيرهم وفي عقيدتهم وفي أخلاقهم لقد تفننوا في اختطاف العقول وغزو البيوت كالشياطين، وإغرائهم الشباب علىٰ خيانة الله ورسوله، والتخلي عن رسالته الصحيحة المطلوبة منه إلىٰ رسالة شياطين الإنس وطواغيتها من ملاحدة اليهود والنصارىٰ ومن تتلمذ عليهم وذلك بتسميتهم المسلمين بألقاب شنيعة أسوة بسلفهم الكافر في عهد النبوات، وإعطاء ألقاب جذابة كالركب المتحرر والفريق الداعي والجيل الصاعد ومناوئ الاستعمار وكأن الاستعمار لم يعشش بأدمغتهم ويستحوذ عليهم بجميع أحوالهم وتقاليدهم، وكأنهم أقل إلحادًا وظلمًا وإفسادًا من المستعمر.

وإني سأنتقل بكم لمقارعتهم بنفس هذه الألقاب المكذوبة وأعكسها عليهم فارتقبوا ذلك قيامًا بحق الله ورسوله لنوضح للملأ زحف أولئك هل هو إلىٰ الفضيلة أو إلىٰ الرذيلة ونبين للناس ماذا يحملون ولأي شيء يزحفون ليتضح لهم أن أصحاب هذا الزحف أو لأعداء المسلمين من يهود وفرنسيس وفرنجة علىٰ تنفيذ خططهم في محو جميع آثار التربية الإسلامية وسجاياها الطاهرة وإحلال رجسهم مكانها وإفساد عقول الناشئة بالمبادئ المخالفة لملة إبراهيم والتي هي محادة لله ولرسوله واتباع للأهواء ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠] ودأبهم المجادلة بالباطل للتلبيس والتدليس أسوة بالكفرة الذين قال الله عنهم ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦].

هل هذا تطور أم جاهلية؟

هل هذا تطور أم جاهلية؟

وأتساءل الآن مع قرائي الكرام عن تحرر أولئك هل هو تطور أم جاهلية؟ إن الجاهلية ليست مقصورة علىٰ فترة من الرسل قد مضت عمَّ الضلال فيها والوحشية ثم انقضت وانتهت إلىٰ غير رجعة ببعث الرسول أولًا ثم بانتشار العلم ثانيًا- كلا ثم كلا - فإنَّ الجاهلية ليست مقصورة علىٰ قوم أو بيئة أو موطن خاص بل إنها تتجلىٰ في كل المفاهيم المخالفة لملة إبراهيم وشريعة سيد المرسلين عليهما السلام، كما تتجلىٰ في كل ميول تستدفع به البشرية إلىٰ ما يخالف ذلك، وتتجلىٰ أيضًا في اتباع الشهوات وفي الاحتكام إلىٰ ما تهوىٰ الأنفس من النظم والقوانين المخالفة لوحي الله، وتتجلىٰ أيضًا في كل مجتمع فرغت قلوب أهله من حب الله وتعظيمه وتخلوا عن الاشتغال بأخذ كتابه وحمل رسالته وحفظ حدوده لأنه إذا حلَّ في قلوبهم غير الله وعظموا سواه من المخلوق اتبعوا ما يتلوه ويتبناه ذلك الشخص المعظم فحملوا رسالة الجبت والطاغوت، وجعلوا لأنفسهم الخيرة فيما يسلكون ويشرعون ويحددون فكانوا أحزابًا متناحرة للاختلاف في الأهواء والمذاهب والتطلع للرئاسة وطلب العلو، وكانوا أيضًا من جهة الأذواق والمواجيد يتخبطون في ظلمات الغي والهوىٰ بعد صدورهم عن نور هداية الله فتسقط حينئذ القيم الإنسانية للدين والأخلاق وتتفشىٰ فيهم الجرائم وتتكالب الدول علىٰ فعل ما يكرهون ويخاف بعضهم من بعض فيكثر منهم الاعتداء والتطاول وغمط الحق والسب والإيذاء بفاحش القول والزور في كل قول علىٰ الآخرين لإقفار القلوب من تقوىٰ الله وخشيته

ومراقبته بالغيب، كما هو الحال في هذا الزمان الذي نحن فيه، فإننا في جاهلية أفحش من كل جاهلية سبقتها إذ لا تجد أيها المنصف أوضاعًا في كل جاهلية قديمة إلا والعالم بأسره عامة والعالم العربي خاصة آخذٌ بأفظع منها فمثلًا إذا نظرت إلىٰ عقيدة الجاهلية في اليونان والرومان وغيرها من مرابض الدهريين في الكونيات وجدتهم يعتقدون حدوث الكائنات بطريقة الصدفة والنمو والالتقاء الطبيعي وحركة نواميس الطبيعة المزعومة وتفاعلها عندهم دون خلْق خالقٍ وتكوين مبدعٍ عالمٍ حكيمٍ، ومع أن هذه النظرية باطلة عقليًّا وشرعيًّا فقد تشربت بها أدمغة أكثر المصريين وملكت عواطفهم فظهرت الجاهلية بلون جديد وأسماء جديدة فما تطورهم إلا رجعة إلىٰ الجاهلية الأولىٰ، بل انحطوا عنها وأهانوا أنفسهم كثيرًا بقبولهم نظرية (داروين اليهودي) لو كانوا يعقلون.

وإذا نظرت إلىٰ هذه الحالة السياسية في العصور الجاهلية الأولىٰ وعلىٰ الأخص العرب وجدتهم علىٰ تناحر وشقاق بعيد علىٰ غير عقيدة سوىٰ الإغراق في المادة والطمع في السيطرة والعلو في الأرض والفخر بعصبية الجنس التي يعتقد بعضهم فيها الأصالة وبعضهم يعتقد فيها القداسة وللعرب من ذلك حظ وافر كانوا بسببه يتفاخرون بالأنساب ويطعنون في الأحساب مما جعل نيران العداوة بينهم دائمة مشتعلة، والأحقاد والمطامع فيهم متفشية لم يمحها إلا الإسلام الذي جعلهم بنعمة الله إخوانًا وحوَّل طاقاتهم من هدم متواصل إلىٰ بناء متكامل منقطع النظير لا تزال أصوله باقية علىٰ الرغم من الأعاصير العنيفة التي دبرها اليهود وأعوانهم من الفرس الموتورين سابقًا ومن أدعياء العروبة المغرضين لاحقًا وها هي جاهلية اليوم قد أعادت الجاهليات الأولىٰ بأبشع صورها القديمة لم يحد من شرها التطور الهائل في العلوم والمعارف لأن العلم

سلاح ذو حدين بل ذو حدود كثيرة إذا خلا من الروح الدينية الصحيحة انقلب شرًا ووبالًا علىٰ أهله فإن ما شاهدناه من الأحوال السياسية في هذه الجاهلية الجديدة يندىٰ له الجبين وتتفتت منه الأكباد في جميع الأقطار التي ابتليت بهذه الجاهلية مما أجراه النازيون والفاشيون في بلادهم وعلىٰ خصومهم، وما أجراه الشيوعيون (والقبائل) المنبثقة منهم في الشرق والغرب خصوصًا في البلاد التي نالت الاستقلال المزعوم وتبجحت بالتخلص من الاستعمار (وفرخت) بما عندها من العلم الذي استعملته في أسوأ الأعمال وأقبح الفظائع مما يتسع لذكره مثل هذه المقالة، ولكن انظر إلىٰ ما جرىٰ في الهند من المآسي المتكررة الفظيعة وما جرىٰ في البلاد العربية فضلًا عن الغرب بأنواعه مما لم يجر مثله في أي جاهلية سبقت، وها هم يتهارطون في صحفهم وإذاعاتهم وينهمكون في صنع ما يدمر المدنية ويفتك بالحياة رغم ما يدعون من علم ورقي وحضارة لم تؤسس علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان والمصيبة فوق ذلك في هذه الجاهلية الجديدة من لبس الحق بالباطل وقلب الحقائق والكذب علىٰ التاريخ والجناية علىٰ العقول واللعب بالعواطف مما تفسد به العقيدة وتمرج به الأمور بشكل لم يسبق له مثيل في سابقة القرون فكم من قتيل (وكم من مقر له جنازته نقل إلينا سببها علىٰ صورته الحقيقية، ولكن اليوم نشوه) سمعة القتيل المظلوم بما هو بريء منه ولا يعرف أحد نتيجة تعذيبهم يعترف بسبب ما يخلصه منه ولو إلىٰ الإعدام، ثم المعارك نشوه أخبارها وتختلق الأكاذيب المتنوعة لأسبابها ونتائجها بخلاف الواقع مما تنعكس به الأهداف الصحيحة ويضيع به شرف الجندية وأبطالها لمصلحة المغرضين، ويتشفىٰ بعضهم من بعض مما يجعل هذه الجاهلية أحط من كل جاهلية سبقتها، وإذا نظرت إلىٰ الحالة الاقتصادية وجدت أهل هذه

الجاهلية الجديدة مرتكسين في أفظع مما ارتكس به أهل الجاهلية الأولىٰ من صنوف الربا والقمار بحيث يقامر أحدهم عن بيته، وقد بلغ جشعهم في الربا إلىٰ المستويات العالية، أما الإسْراف والبذخ والمغالاة في الفلل والأثاث الوفير والأواني المتجددة والملابس الفضفاضة التي لا يلبس أكثرها إلا مرة واحدة إلىٰ غير ذلك فحدث عنه ولا حرج، ونهمتهم في صنوف الأكل والشرب أعظم من نهمة أي جاهلية قد مضت لأن نهمة الأوائل مخصوصة في بيوت الطبقات العالية جدًا أما الآن فتكاد تكون عامة.

وأما في الشئون الاجتماعية والأخلاقية فجاهلية اليوم أشد ميوعة وقبحًا وفظاعة إذ فيها تحبيب الفاحشة والإغراء عليها بشكل منقطع النظير بحيث سميت الدياثة في هذا العصر تطورًا وحضارة ورحمة وتهذيبًا وتثقيفا وما إلىٰ ذلك من الألفاظ الخداعة حتىٰ قلت الغيرة وانعدم الحياء وذهبت المروءة العربية في أغلب الميادين الاجتماعية وانتشرت الرقصة الشيوعية (الروك أندوك) التي هي أفحش الرقصات وأقبحها في بعض العواصم العربية وتجرأ بعض أساتذة الجامعة بكل وقاحة إلىٰ توجيه دعوة لمراقصة بناتهم هذه الرقصة ترفيهًا منه لهذا الشباب الذي هو في أشد وقت الهياج مما يعتبر هدفًا مقصودًا مركزًا يقوم به تلاميذ الافرنج وخريجوا مدارسهم لتحطيم كيان الأمة الإسلامية في جميع نواحيه تحت الشعارات المختلفة لهذه النعرة العصبية بالسعي لإفساد عقيدتها وانحلال أخلاقها بما تبثه الدول المعرضة عن كتاب الله من المسارح والبلاجات الخليعة والتزحلق علىٰ الجليد بزي يشبه العراء في ذلك، والتهتك وإظهار الزينة والمفاتن ونشر القصص والأفلام الرذيلة المثيرة للغرائز، واختلاط الفتيات مع الفتيان حتىٰ في الجيش وإباحة الخمور والإغراء علىٰ

شربها بالإعلانات المتنوعة وتقديم شرابها للتوظيف وزيادة المرتب وغير ذلك مما هو إفساد ظاهر مقصود، فإن كانت الجاهلية بالاسم فلا عبرة بالأسماء وإن كانت بالمعاني فقد أعادوا جميع صنوف الجاهلية الأولىٰ وأنواعها بأبشع صورها وأخطر مراحلها وأحط أحوالها مما يكون الناس بسببه اليوم في أخص صنوف الجاهلية والرجعية علىٰ الرغم من زعمهم الكاذب للتقدمية السلبية في كل خير وهدىٰ وفضيلة.

نعم إن الذين يتبجحون بالتطور والتقدمية قد ارتكسوا في أحد أنواع الرجعية بما رجعوا إليه من خسائس الجاهلية الأولىٰ التي حذر القرآن منها ونعىٰ علىٰ أهلها ومقلديها، فالجاهلية الأولىٰ فيها شيء من الفضائل بجانب ما فيها من الرذائل والشرور أما جاهلية اليوم التي رجعوا إليها باسم التطور المفتوح والتقدم الكاذب فليس فيها من الفضيلة سوىٰ الدعاوىٰ الخداعة لضعفاء البصائر والمغرضين الذين أعمتهم أغراضهم ودفعهم الحقد إلىٰ تعشق كل نحلة يحصل بها التمرد والصيحات علىٰ خصومهم وعلىٰ من أبغضوه وحسدوه لسبب ما فمثلا الاتحاديون من الأتراك كما اندفعوا إلىٰ القومية الطورانية لهذه الأسباب من الإغراء الذي تلهبه الأصابع الخفية الاستعمارية واستبدلوا الذهب بالخذف والقصب بالجزع إذ نفضوا أيديهم من الاعتزاز بالإسلام الذي رفع شأنهم عاليًا بين الأمم ورفضوا الانتساب للسلاطين الذين نالوا ما نالوا بالإسلام ورجعوا إلىٰ الاعتزاز بكفره المغول الذين لم يسجل التاريخ سوىٰ ما يوجب اللعنات كما نفضوا أيديهم من ملة إبراهيم التي هي رابطة الميثاق للعالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها واستبدلوها بالإلحاد وموالاة كل كافر وخبيث ماكر بهم من كل ملة مما جعلهم بسبب ذلك

يتنكرون للعرب لكونهم مسلمين لا ينسجمون مع نحلتهم، ثم لما حلت النعرة العصبية القومية بالعرب التي تحفزوا إليها بسبب قومية أولئك ازداد التنافر واحتدم الخصام ذلك أن المسيحية الماكرة لمصلحة الاستعمار (فرضا) بإخراج المسلمين من دينهم (لغيرما) فشلت خططها في تنصير المسلمين رمت بآخر سهم لها فأصاب بآثارة طغاتهم (زويمر وأضرابه) ولكن الغزو الثقافي (المذجج) بالنعرات القومية وإيلاعهم بالرجوع إلىٰ كل قديم فركزوا جهودهم بادئ الأمر بالأتراك ليحصل بينهم ما حصل بسبب نبذ الدين الحنيف الذي هو الرابطة الدينية التي تربطهم بالعرب وبجميع الأمم؛ إذ بحلول النعرة الطورانية فيهم اختلت الرابطة لما جرته تلك النعرة حتىٰ إذا (انتقض) العرب من تنكر الأتراك وزال التصافي وانحلت الرابطة كان فيهم الاستبداد لتتلقي نظير ما تلقاه اولئك من النعرة العصبية التي يتحفزوا بها إلىٰ الانتقاض من حكم تركي قومي لا يرتبط معهم بصلة ولا يحفظ لهم كرامة ذلك لأن القومية الطورانية ترىٰ نفسها فوق العالم وتزدري العرب خاصة لأنها انبثقت من الوثنية الحاقدة التي تبغض أمة القرآن، ولا غروة فإن جميع القوميين علىٰ هذا المنوال كل دولة تغريها الأخرىٰ علىٰ تقديس قوميتها عند شعبها وإلهاب الشعب بإطراء أدبه وثقافته وآثار أسلافه وتمجيد تاريخه بكثرة الأساطير المعكوسة المعاني في الحقيقة فيدل بنفسه ويعجب ويقصر نظره علىٰ ما تحت رجله غالبًا ويقطع صلته عن العالم إلا بقدر ما يهدف إليه من المصالح، وكثيرًا ما يتحرش بغيره ولو كان أقوىٰ منه للغرور بمجده القومي الزائف الذي يناقض الفضيلة وكل خلق قويم كما يعبرون عنه بالمثل الكامل للشعب وهو المثل الناقص المعكوس المنكوس الذي يجر الويلات العاجلة والآجلة علىٰ الأمم السائرة

فيه بجميع أحوالها ومرافقها وصلاتها بالآخرين فانصياع الأتراك إلىٰ اعتناق قومية رجعوا بها إلىٰ العهد السحيق سهل للمسيحية باستعمارها الثقافي الهائل أن تغري العرب علىٰ الرجوع إلىٰ ما رجع إليه الأتراك لا سيما مع التحدي المفتعل منها وغمط الحق منهم بسبب القومية التي أبعدتهم عن تعاليم الإسلام وأخلاقه فاستقل القوميون العرب هذا مع أعمال قام بها أصحاب البدع التي ركزها اليهود للطعن بالمسلمين من غير العرب علىٰ العموم تلبيسًا وقلبًا للحقائق ليبرروا خطتهم في الانتفاضة من الإسلام والمسلمين، وهكذا انبعث إلىٰ ضروب من الوثنية الجديدة والجاهلية الجديدة تحت شعارات قوميتهم المنبوشة، وثاروا علىٰ جميع التعاليم الإسلامية وتقاليد الحشمة والحياء ونادوا بوجوب تقليد (أوروبا) في كل شيء، وتقبل جميع ثقافتها بخيرها وشرها زاعمين أنها هي التقدمية بكاملها رامين التعاليم الإسلامية والآداب الشرعية بعكسها من التخلف والرجعية علىٰ طريقة (رمتني بدائها وانسلت) فإنما جلبوه واستحسنوه هو القبيح الرجعي المقبوح كما سنفصله إن شاء الله ونعود للإيضاح هنا بأن القوميين العرب (ملئوا) الدنيا صياحًا علىٰ الإسلام وسبابًا لأهله بحجة فعل الأتراك الاتحاديين القوميين الذين هم أول رمية رمىٰ بها الصليبية الحاقدة في مخططها الأخير وزحفها الثقافي الأثيم بحربه الباردة للإسلام بعد ما عجزت عن الحروب الدامية الكاوية للقضاء عليه، (فإساءة) إلىٰ العرب حصلت من القوميين الأتراك الذين نفضوا أيديهم من الإسلام وهربوا من الاعتزاز برجاله إلىٰ الاعتزاز بكل جبار أثيم، فما جرىٰ علىٰ العرب من الأتراك وما قوبلوا به منهم هو بعض الثمرات الحنظلية للقوميات في الشرق الإسلامي إذ بسببها تحولت عند الاتحاديين محبة العرب والقيام بنشر لغتهم

باسم الدين والاعتزاز بهم إلىٰ العكس من ذلك مما صار له أسوأ النتائج وحصل بسببه تعاون بعض زعماء العرب مع المستعمرين واتخذوهم بطانة لهم ووليجة من دون الله وعباده المؤمنين مؤملين الاستقلال بما يطعن الاستقلال في الصميم حتىٰ انتقلت البلاد العربية إلىٰ احتلال واستعمار فظيع تبلورت أدمغة الأمة بثقافته الكافرة تبلورًا يصعب تخليصها منه، بل لا تزال ترزح تحت أثقل أنواعه لأن الذين احتلوا الصدارة في العالم العربي وكان بيدهم أزمّة الأمور والتوجيه هم الذين احتسوا من دم الاستعمار وقيحه وصديده، بل ممن تشرب ذلك في لحمه ودمه فسار كل واحد منهم بشعبه بعد تخلصه المزعوم من الاستعمار علىٰ أسوأ منهج لا يستطيع الاستعمار تنفيذه مباشرة، (فحصل علىٰ كل شعب ضروب) من النكبات في الأنفس والأموال وجناية علىٰ العقول والأعراض بما اقترفه أولئك الذين تزعموه وما أجروه من تخطيطات التقليد المختلفة التي لا تتناسب مع أكثر الأوضاع الدينية والمادية والأخلاقية وينال معارضيها صنوف الشقاء والوبال وهكذا نجح الاستعمار في تكوين دولة علمانية لتركيا وتولي كبره الاتحاديون أولًا فعملوا علىٰ قطع صلتهم بالإسلام وتنكروا لأهله حتىٰ دفعوا الثمن غاليًا بخسارة (بلغاريا وألبانيا المسلمتين) وخسرهما المسلمون أيضًا بجريرتهم، ثم خسروا العالم الإسلامي كله الذي تبوأ بسببه أعظم مكانة في التاريخ حتىٰ دُحِرُوا من جراء ذلك فانكمشوا علىٰ أنفسهم في حدود قوميتهم الضيقة التي تولىٰ كبرها فيما بعد (أتاتورك) وعصبة السوء الذين يدورون في فلكه فعملوا علىٰ إبعاد شعبه عن دينه وقطع صلته بإخوانه المسلمين وبالثقافة الإسلامية، وأعادوا لذلك كل قديم، وقلدوا النصارىٰ في كل شيء حتىٰ بجعل العطلة يوم الأحد، واتبعوا أئمة الكفر وعملوا

بحسب الخطط النصرانية ما لا يقدر الاستعمار علىٰ فعله مباشرة أبدًا، ثم نجح الاستعمار في الشرق الإسلامي وكسب من أبناءه جنودًا مجندةً طائعةً له مسارعةً إلىٰ ما يريده سائرةً في فلكه، وإن تظاهرت بعداءه وشتمه غالبًا فهي المنفذة لخططه في كل ميدان وعلىٰ الأخص في البلاد العربية التي قاوم الاستعمار فيها - بواسطة أعوانه وحمله رسالته- كل (منهجة) دينية وعمل علىٰ إحباطها بجميع وسائل المكر والهدم والتضليل بما كسب من أولئك الجنود وما زال دائبًا في نشر الوثنية الجديدة وإحلال جميع أرجاس ثقافته الخبيثة، كما نجح في إقامة دول علمانية في أغلب البلاد تزيد علىٰ ما كان في الترك، (وكذلك يسعىٰ حتىٰ يبقي دوله غير علمانية) ومن هنا نجده يشجع كل حركة ثورية متعاونًا مع أعداءه الروس في ذلك تنفيذًا لهذا المخطط، والأتراك وإن خسروا بانتهاج القومية إمبراطوريتَهم العظيمةَ وارتباطهم بالعالم الإسلامي الفسيح وما لهم عنده من الثقة والمحبة والمكانة العالية فإنَّ خسارة مصر أعظم وأعظم لأنها بانتهاجها القومية وتبجحها بالفرعونية خسرت العالم الإسلامي الكبير الذي لم تحتل المكانة العالية فيه إلا بسببه ولا تزال في بقية آثاره ولم تربح العرب والوطن الكبير الذي تزعمته إلا بالإسلام، ولكنها راحت تدور في حلقة مفرغة ازداد شقاؤها بها وشقىٰ العالم العربي بسببها فكان مسرحًا للخلافات والمعارك الدامية التىٰ تكررت بتكرر الانقلابات المغرضة التي تقذف بشعوبه ذات اليمين وذات الشمال فأصبحت هذه الشعوب كالأرجوحة يحركها اللاعبون المغرضون من كل جهة، وتتجاذبها الأحزاب المتناحرة التي بأكل بعضها بعضًا باسم المبدأ والهدف من كل جانب، وبعضها يدفع الثمن غاليًا لمقابلة أولئك باستنزاف ثروة بلاده وإراقة دماء أبنائها واستعمال السلاح

بسفك الدم العربي بأيدي عربية يجب أن تسدد (الضريبة) لعدوها الذي جعلته بسوء صنيعها آمنًا مطمئنًا يتفكه عليها وينمو علىٰ حسابها.

وحصل من جراء ذلك إهلاك للحرث والنسل الذي جعل أغنىٰ البلاد العربية تستورد المواد الغذائية من أمريكا وروسيا وغيرهما عكس ما كانت تصدره من المبالغ الهائلة المنقطعة النظير وانفك الحصار المضروب علىٰ إسرائيل حيث نفدت من خليج (إيلات وشرم الشيخ) إلىٰ ما تريد مما تضخمت به صادراتها وقويت عملتها، بل خدموا جميع أعدائهم بما أنتجوه من هذه الخطط المغضبة لربهم بابتعادهم عن دينه وسنة رسوله ﷺ واستجابتهم لأعدائه وسلوك طرقهم بدلًا من صراط الله المستقيم ولا يزالون في غيهم سائرون وفي طغيانهم يعمهون ينشدون الوحدة بالضلال ويضيعون جهودهم فيما يزيد في فرقتهم وشقاقهم في كل محاولة ولا يعتبرون فيما يُجريه الله عليهم من النكسات عليهم.

مقصودهم الذي يريدون أن يبدلوا كلام الله ويغيروا سنته، ولا تزال دعايتهم علىٰ شدة قوتها في التضليل وجهودهم متواصلة فيما يزيد من خسارتهم، ولكن أدمغتهم متخبطة بالثقافة الاستعمارية وتزداد تخبطًا بسبب ميولهم الشديدة إليها وجعلهم إياها المورد الوحيد الذي لا يَرِدُون سواه، فسمموا أفكار الناشئة بدعوىٰ أنهم لم يجلبوا أفكارًا غربية وأن ما هم فيه منبثق من واقعهم تستوجبه مصالح بلادهم وخير أمتهم والأمر والله بالعكس من كل الوجوه ولأن خير الأمة لا يحصل إلا بسلوك ما كان عليه نبيها وأصحابه ولو سلكته لصلح مجتمعها فارتفع بؤسه وحسنت أخلاقه ولم يتخذ بطانة من غيره ولم يجعل من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ

مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨] ولكنه المخطط الاستعماري الوثني المرسوم من اليهود والنصارىٰ بهذه الأمة والذي يعمل علىٰ تنفيذه بكل إغراء وتضليل بواسطة من تقدم ذكرهم وكما جُرِّب من رجوع القوميين الأتراك إلىٰ جاهليتهم الأولىٰ وافتخارهم بطواغيت المغول واطِّراحهم سبب عزهم وسلطانهم في الشرق ومكانتهم الروحية العظيمة في العالم الإسلامي فكذلك القوميون في مصر رجعوا إلىٰ جاهليتهم الأولىٰ يعتزون بالفراعنة الكفرة الفجرة ويشيدون بحضارتهم الظالمة التي أقاموها علىٰ التسلط وتستخير الشعب بحرارة السوط علىٰ حمل الأثقال وبناء الأهرام وتقديس الوثنية مما أخبرنا الله عنهم بقوله ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤١ - ٤٢] فهم يعتزون بأئمة الكفر وطغاة الظلم ويضربون الذكر صفحًا عن المحرر المسلم الكبير عمرو بن العاص الذي أنقذ مصر وحررها من الظلم والاستعباد وبعث فيها طاقات الخير المتنوعة وجعل لها المكانة العظيمة الروحية في المشارق والمغارب فيمسخون التاريخ الصحيح الأبيض الناصح المشرف ويزخرفون الأسود البشع المظلم فيرفعون تماثيل الفراعنة الفجرة بل يتبجحون بإهداء صورة المقبوح الإله الكاذب (بتاح) إلىٰ الأمم المتحدة بدلا من العمل علىٰ إنارة القلوب بتوزيع هداية الله التي اختار العرب لحملها وأنزل كتابه بلغتهم لتكون هي الرسمية في كافة بقاع الأرض فما رعوها حق رعايتها ولا شكروا نعمة الله بل بدلوا نعمة الله كفرًا عمليا باطراحهم رسالته ونبذهم كتابه ظِهْرِيًّا، وقطعهم ما أمر الله به أن يوصل، ونقضهم جميع عهوده (الإسلامية)، وخيانتهم أمانة الله بترك أوامره وإضاعة حدوده وتنكرهم لدينهم

الحنيف ومعاداة الله وتعشق كل مبدأ ومذهب يخالفه وينافقه في كل شأن، وقبولهم لكل نظرية مخالفة لنص القرآن ومدلوله من نظريات اليهود والنصارىٰ أمثال (داروين وفرويد) في الاجتماعيات وأمثال (كارل ماركس – ولينين – وتيتوا – وعفلق – وجورج حيس وكلوفيس مقصود – والخوري وأشكالهم) في السياسة والاقتصاد كأن الله جعلهم صفر اليدين من كل هدىٰ ورسالة فأحوجهم إلىٰ هؤلاء ولكنه الإلحاد في أسماء الله بل الإلحاد في مدلول (لا إله إلا الله) إذ قلبوا النص فيها إثباتًا لغيره والإثبات الذي فيها لله قلبوه عن حقيقته بحبهم وتعظيمهم غير الله وانقيادهم لمفاهيم من أحبوه وعظموه من دون الله، وجعلوا لهم الخيرة من أمرهم فيما يريدونه من أنواع الحكم كأن الله ليس ربًا ولا إلهًا ولا ملكًا ولا وليًّا، وزعموا أن الدين بأصوله وتشريعاته لا يصلح لهذا العصر ولا يسائر التطور كأن الله ليس عليمًا ولا حكيمًا، وأسقطوا حدوده بحجة قسوتها كأنه ليس رحمانًا ولا رحيمًا، وموالاتهم أعداء الله ونفضهم أيديهم من المسلمين في كل مكان وتبنيهم كل قضية منبثقة من الوثنية وتقليدهم لأعداء الله وأعدائهم في كل شيء يعتبر مسخًا لشخصيتهم الصحيحة وسقوطًا للنفس.

فتطورهم المزعوم ما هو إلا عودة للجاهلية الأولىٰ وعودة إلىٰ عبادة كل عجل بشكل أفضح من عبادة بني إسرائيل لعجلهم، تالله إنه تطور كاذب ذاقت منه أمتنا العربية مختلف النكسات في كل ميدان بسبب الجناية علىٰ العقول والأخلاق فضلًا عن الدين والتاريخ فانقطعت صلتها بالله وبحبله المتين الذي عهد به إليها مختارًا لها بأن تكون هي الحاملة لرسالته لأنه أنزل كتابه أي (حبله المتين) باللغة العربية الكريمة مختارًا لها بأن تكون هي اللغة الرسمية في جميع بقاع الأرض وقد حصل هذا حين قام أسلافنا بحمل رسالة الله ولو قمنا بذلك

في الوقت الذي تقاربت فيه الأقطار والأخبار والمخاطبات لحصلنا علىٰ أضعاف ما حصلوه من النتيجة.

إن اليهود وأذنابَهم النصارىٰ نجحوا فيما أرادوا لنا من مخططات السوء حيث أطعناهم واستجبنا لهم من دون الله علىٰ يد من تزعموا فينا بحجة العروبة المجردة من القرآن، وفرضوا علينا الثقافة الغربية وأعادوا إلينا كل سنة جاهلية باسم التطور والوطنية، ورسولنا ﷺ يقول: «أبغض الخلق إلىٰ الله ثلاثة: «**ملحد في الحرم، ومتبع في الإسلام سنة الجاهلية، ومطالب دم أمرئ مسلم بغير حق ليهرق دمه**».

كل هذه الأمور قد حصلت باسم القوميات والوطنيات وشعاراتها المتجددة المزعومة ومذاهبها المادية، فالإلحاد لغة هو الميل ومنه سُمِّي الميل بحفر القبر إلىٰ جانبه (لحدًا) وشرعًا هو الميل عن الحق والعدول باللفظ أو الحكم من معناه إلىٰ معنىٰ آخر.

أما المبتغون في الإسلام سنة الجاهلية فحدث عنهم ولا حرج فهم الذين (ملئوا) الدنيا صياحًا من كل ناحية في هذا السبيل سبيل الشيطان، وتاجروا بالعواطف والعقول وافتروا علىٰ الله كذبًا فيما زعموه من المبادئ والمذاهب الجنسية والوطنية والمادية، وما شرعوه من النظم والقوانين وما بدلوا به ملة إبراهيم من كل سنة جاهلية علىٰ مختلف الجاهليات الأولىٰ مما جرَّهم إلىٰ التمادي والإيغال في النوع الثالث الذي يبغضه الله من إهدار دم المسلم بل إهدار دماء المسلمين في كل مكان وموالاة من ينكل بهم وارتياحهم لذلك، وسعيهم في إثارة الانقلابات ونقض العهود التي يحصل بها الشر المستطير وقتل

عشرات الألوف من المسلمين الأبرياء وهتك أعراضهم وتدمير بلادهم مما قد يترفع عنه الكافر المستعمر، فقد حصلت واجتمعت هذه الأشياء الثلاثة التي هي أبغض بغيض إلىٰ الله في قومنا الذين يتبجحون بالشرك المطلي باسم جديد وبنقض عهد الله وتبديل ملة إبراهيم والانسلاخ من هدىٰ محمد ﷺ بالإلحاد المتنوع، والمعلوم أن من عمل واحدًا من هذه الأشياء الثلاثة يكون أبغض الخلق إلىٰ الله فما ظنكم بمن يفتخر (بثلاثتها) جميعًا ويزداد في الافتراء علىٰ الله كل حين؟ بل وما الظن بمن هو قائم علىٰ قدم وساق بنشر وسائل الاستهتار بالإسلام بين الطلبة، وبمن يقوي البرامج التعليمية التي تضعف الدين، وبمن يتسع صدره لصحف بلاده وغيرها التي تنشر ما يخالف الدين بل تنشر بين الحين والحين إنكار الإله ورسله ودينه (ومعاداة مصرحة بوقاحتها أنه (خرفة؟) وما تظن بمن يسعىٰ حثيثا بفتنة شباب الأمة عن دين الله وصدهم عن كتابه، هل هو كالملحد في الحرم وهو يوزع صنوف الإلحاد علىٰ أهل الحرم وغيره أو هو أشد منه جرمًا بآلاف المرات؟ هذا ومن المعلوم شرعًا أنه لا يباح دم المسلم إلا بقصاص أو زنا مع الإحصان أو رده عن دين الله حسب أنواعها من إصرار علىٰ ترك الصلاة مع تكرر دعوته إليها أو جحود ما علم وجوده من الدين بالضرورة أو الإقدام عمدًا علىٰ ما نص الفقهاء في أبواب الردة أنه ردة وفيما سوىٰ ذلك فلا.

وهؤلاء لا يبالون بقتل المسلمين بل يحثون علىٰ إشعال كل فتنة يحصل بها إراقة الدماء بحجة وحدة هدف أو تنفيذ مذهب مادي محرم تبنيه فضلًا عن اعتقاده.

والله أوجب عليهم العمل والجهاد المتواصل لوحدة العقيدة الإسلامية

التي هي ملة إبراهيم وهم يطِّرحونها ضاربين بحكمه وقضائه عرض الحائط ويسعون في تنفيذ رغبتهم من المبادئ والمذاهب التي جعلوا لأنفسهم الخيرة فيها من دون الله وجعلوا لأنفسهم أيضًا مقامًا أعلىٰ من الله بفرضها عن الناس خلافًا لأمر الله والإرجاف بهم ورمي من لم يَسِر في ركابهم بالتخلف والرجعية وسائر الألقاب الذميمة، والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] وجميع المخططات الاستعمارية الثقافية منها والسياسية يقصد بها القضاء علىٰ الدين الإسلامي وإذابة أهله بأي طريقة وكل ما يجريه تلاميذ تلك الثقافة وأفراخها من أقوال وأفعال ظاهرها محاربة الرجعية أو الحكام الرجعيين أو العلماء الجامدين أو ذوي العقول المتخلفة ونحو ذلك من أنواع الحرب الباردة وما أعقبها في البلدان التي ظفروا فيها من الفتك فإنما هدفهم النيل من الدين (بالقضاء علىٰ كل منتسب إلىٰ تشويه) سمعته إيغالا في تضليل الدهماء وجناية علىٰ العقول والتاريخ.

بين تقدمية صادقة وزائفة

بين تقدمية صادقة وزائفة

القيام الصحيح بين مدلولات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] يحقق التقدمية الصحيحة للأمة الإسلامية وعلىٰ الأخص العرب الذين هم حملة لوائها والذين ربط الله مصيرهم بحمله وتوعدهم علىٰ تركه بشيئين:

١- الذل المتواصل الذي لا ينزعه عنهم حتىٰ يعودوا إلىٰ حمله.

٢- استبدالهم بغيرهم من الأمم وأن لا يكونوا أمثالهم.

فهذه الآية الكريمة من فاتحة الكتاب الكريم مشعرة تمام الإشعار بالتقدمية الصحيحة في جميع مجالات الحياة، أول ضروب التقدمية حصر العبودية بجميع أنواعها لله تعالىٰ من حب وتعظيم وخوف وخشية وطاعة وإخلاص وإسلام الوجه له تعالىٰ دون غيره وكون عبوديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تمنع تعبيد النفوس لأي طاغية من طواغيت الإنس والجن وإسلام الوجوه لأي سلطان لم يأذن به الله بل حصر التلقي الذي تتغذىٰ به العقول علىٰ وحي الله دون غيره من الأفكار البشرية التي أغلبها من غش اليهود كما أن عبودية الله الصحيحة التي يرتضيها لا تسمح لأي نظام كهنوتي أن يتدخل بين البشر وبين الله كما سيأتي توضيح ذلك في موضعه في سورة آل عمران بل تجعل الفكر الديني قائمًا علىٰ صلة الناس بالله صلة روحية، كلٌّ يتوسل إليه بالأعمال الصالحة المرضية له ويدعوه ويرغب إليه في حاجاته تطوعًا وخفية دون أي واسطة من الأحياء أو الأموات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السجدة: ٤] وسيأتي في ذلك عند تقرير الكلام عن قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعبودية الله وفق وحيه تقرر عدم اشتراك أحد بخطيئة أحد ولا ارتباطه أو تأثره بها لا خطيئة آدم كما تزعمه الكنيسة المفترية علىٰ الله ولا خطيئة غير آدم بل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وليس في عبودية الله الصحيحة شيء من مرجفات المفترين عن الله أبدًا بل هي جديدة توافق المعقول الفطري الصريح غير المتبلور بالغش والدجل وعبودية الله الصحيحة توجب علىٰ أهلها مواصلة الجهاد والزحف المقدس لإنقاذ البشرية جميعًا من استبعاد الطواغيت والظلمة وحشو قلوبهم بالنور الإلهي لإصلاح ضمائرهم وشفائها من مرض الشبهات والشهوات وكبح (طغيان) الأنانية المسعورة وإعلاء كلمة الله في الأرض حتىٰ لا تتحكم في رقاب أهلها ومصائرهم أي جماعة من البشر الذين يفترسون الحكم بالقوة ويزعمون أنهم أبناء الشعب وحماة مصالح (العامل) الرافعون رأيهم وهم قد رفعوا رجليه ونكسوا رأسه كما أن عبودية الله لا تسمح لأحد أن يؤله نفسه بتشريع الأنظمة والقوانين بل (تحق) جميع الأحكام التشريعية لله حتىٰ لا يكون (قد حق) للظلم والظلام علىٰ البشرية.

ثم إن العبودية لله فيها القوامة الصحيحة لحفظ جميع دعائم المجتمع التي أولها: حفظ الوحدة وحياطة الاتحاد بوحدة العقيدة وكونها هي الحاكم المهيمنة علىٰ الأرواح والجوارح وإيجابها قتال البغاة والخوارج الذين يحاولون الشغب أو شق عصا الوحدة وتحريمها الخروج علىٰ ولي الأمر بدون صدور كفر صريح بواح واضح فيه لا شبهة فيه كل هذا حفظًا للوحدة.

ثانيها: صيانة العقيدة من دسائس الإلحاد التي تقذف في اليهود وقتل الملحد المرتد والداعية إلىٰ الردة لأن في ذلك أعظم سبب لشق عصا الوحدة.

وثالثها: حفظ النفوس بمشروعية القصاص حتىٰ لا يطمع أحد في قتل أحد إذا جزم أنه مقتول به بخلاف استبقائه بأن مصيره سجن يأكل فيه ما يشاء ويقرأ فيه ما يشاء أو يدافع عنه محام ظالم فتخفف عقوبته.

ورابعها: حفظ العقول والقلوب بتحريم كل مسكر ومخدر ومفتر مهما اختلف نوعه أو اسمه ما دامت هذه صفته إذ لا عبرة في الدين للأسماء فهو قد حرم كل ما هذه صفته وأوجب الجلد علىٰ متناولة ردعًا له وتربية يرحمه بها ثم حيث لم يرحم نفسه ولم يحترمها بأن سعىٰ إلىٰ هدمها بالجنون أو التخدير.

وخامسها: حفظ الأجسام بتحريم تناول كل ما يضرها في صحتها علىٰ وجه اليقين أو كراهته إذا كان محتملًا حتىٰ أنه نهىٰ عن الإسراف في الأكل والشرب وأرشد إلىٰ التثليث في ذلك (ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) مما لو عمل به الناس لقلت العيادات الطبية والصيدليات ولكن اتباع الهوىٰ يصد عن اتباع الأوامر.

وسادسها: حفظ الأنساب والأحساب وتطهير البيوت من الفواحش بتحريم الزنا وإقامة حدود الله علىٰ فاعله بدون رأفة لأن الرأفة بالزنا ليست رحمة وإنما هي دياثة وقواده إذ عرض كل امرأة مزني بها عرض لكل مسلم يجب أن يغار عليه وأن يعتبر الرحمة بإقامة الحد لا في إسقاطه وليس أحدًا أولىٰ بالرحمة من أهلها المجني علىٰ شرفهم والمهدرة كرامتهم.

فهذه التقدمية الصحيحة لا تقدمية المفسدين في الأرض المرخصين

للأعراض الكريمة الغالية والناصبين أنفسهم ديوثين وقوادين علىٰ أعراض الشعوب وتسهيلها لكل فاسق وإرخاصها بتشريع للزناة من إقامة حدود الله فهؤلاء رجعيون في الحقيقة قد أرجعوا أنفسهم وأحوالهم إلىٰ الغابرين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١ - ١٢] ورحمتهم بالزناة أخس من رحمتهم للقاتل الذي أيتم أولاد وأيَّم نسوة وفجع أسرة أو عدة أسر يجب أن يكونوا أولىٰ بالرحمة منه ولكن العقول (المارجة) بما احترمه حشائش الأباطيل الاستعمارية لا ينصر الحقيقة علىٰ وجهها.

وسابعها: وقاية الأمة من اقتراف الفواحش بتحريم التبرج وإظهار المفاتن من الجسد أو الزينة الجذابة وإيجاب الاحتشام في اللباس ومنع الاختلاط بل منع نعومة الكلام مع المرأة حتىٰ لا يطمع بها من في قلبه مرض وهذا يسلم به كل عاقل عقلًا فطريًّا ويوجبه لأن الوقاية خير من العلاج، ولا يحيد عن هذه القاعدة عاقل صحيح أما الذين تحجرت عقولهم فقد مرج تفكيرهم وحادوا عن هذه القاعدة الأساسية تقليدًا للغربيين تقليدًا يقدح في أصل عقيدتهم بل يزيد شخصيتهم المعنوية بحيث لا يبقىٰ معهم فيها بين الأمم سوىٰ الاسم الصوري بلا حقيقة ولا ريب إن التقليد وصمة عار عند من يعقل فطريًّا لأن فيه تشتمل التبعية الممقوتة، وصاحِبُهُ تابعٌ لكل جبهة وطرف منسلخٌ من أصالة العقيدة وحرية التفكير واستقلال الاتجاه، فبالتقليد يكون الإنسان منحط الشخصية مستعمرا بعقله وتفكيره خصوصًا المسلم ولهذا نرىٰ المجتمعات الإسلامية أو المحسوبة علىٰ الإسلام كقطعان تابعة للناعق الأوروبي الكافر الذي تقوده الماسونية اليهودية بحيث لا تجد فرقًا بين العائلة المنتسبة للإسلام والعائلة

الغريبة في إظهار المفاتن والزينة وترك الاحتشام مما هو مجلبة للفوضىٰ الاجتماعية والفساد الخلقي بين الجنسين بل مما يجعل المرأة في هذا العصر جنسًا ثالثًا لخروجها عن حقيقة أنوثتها الصحيحة باسم التطور الذي هو رجوع إلىٰ أخس ضروب الجاهلية وهروب عن التقدمية الصحيحة بالمعقول الفطري السليم.

ثامنها: حفظ السمعة وشرف الأعراض وتحريم القذف والسباب ومشروعية إقامة الحد علىٰ القاذف بثمانين جلدة ليرتدع كل إنسان من جرح الآخر من ذكر أو أنثىٰ بما يسيء إلىٰ شخصيتة أو شرف بيته وأسرته فكل قاذف يكلف بإقامة بَيِّنة مضاعفة من أربعة شهود علىٰ صدق ما قاله وإلا تناله عقوبة القذف (قباله من تحصين) لكرامة الإنسان يحفظها من كل جارح ولم يوجد هذا التحصين في أي تقدمية مزعومة إلا في التقدمية الإسلامية الصحيحة.

تاسعها: حفظ المجتمع الإسلامي من التفكك الذي سببه العداوة والبغضاء الناشئة من لمز بعضهم لبعض أو اغتياب بعضهم لبعض أو النميمة من بعضهم علىٰ بعض فقد شدد الله علىٰ شأنها وبالغ في النهي عنها وبيان سوء عاقبتها وذلك في الآيات ١١، ١٢، ١٣ من سورة الحجرات التي هي كدستور عميق للإسلام والمسلمين، قال ﷺ ما معناه: «لا تفاحشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا بحسب كل امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام ماله ودمه وعرضه» «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» إلخ في أحاديث كثيرة وقال «لا يدخل الجنة قتات » أي نمام وقد تكاثرت لتحريم الغيبة والنميمة ونحوها بل بلغت حياطة المجتمع الإسلامي بتطهير قلوب أهله وحسن معاملة بعضه لبعض وتحقيق أخويتهم المعنوية أن

حرم البيع والسوم والخطبة علىٰ بيع الأخ المسلم أو سومه أو خطبته حتىٰ يعيشوا في إخاء ووئام لا يتسرب إليه شيء من دواعي التفكك فيا لها من تقدمية صحيحة لا يحظىٰ بها أدعياء التقدمية الكاذبة.

عاشرها: الضوابط الاقتصادية التي تقتضيها عبودية الله والاستعانة به حسب مدلول الآية إذ جعل الشارع اكتساب المال من طرقه المشروعة شعبة من شعب الإيمان وإنفاقه في مستحقه شعبة من شعب الإيمان أيضًا فشريعة الله تفسح المجال الكامل في التنافس في اكتساب المال بشتىٰ أنواع الحلال من جميع صنوف التجارة والمضاربة وشركة العنان والمساهمة أو شركة الوجوه أو شركة الأبدان أو شركة المفاوضة الجامعة للثلاث أو الاتجار بجميع العروض والأراضي والقيام بسائر أنواع الحرف والصنائع والتصنيع ودون مصادرة شيء من ذلك أو التسلط عليه بالتأميم القاضي علىٰ الحرية والقاضي علىٰ التنافس النافع للمستهلك مما أحدثته الماسونية اليهودية بمذاهبها الاقتصادية لفقر الشعوب وبؤسها والرابطة أرزاقها بأيدي طغمة مفترسة للحكم بالخيانة والتسلط ومخبطة لأدمغة الناس بصنوف الدجل والتضليل حتىٰ أنهم + يصنعون فعلهم السامق الساحق بالتقدمية وسواه بالتخلف والرجعية قلبًا للحقيقة وجناية علىٰ العدل والإنصاف بل مسخًا لهما.

ثم إن شريعة الله تحرم علىٰ عباده جميع طرق الغش والتدليس والتلبيس قولًا أو فعلًا كما تحرم عليهم الغبن في المعاملة وأخذ الربا صراحة أو تحايلًا وأوجب عليهم رده اكتفاء برأس المال قال تعالىٰ: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٩] ونص علىٰ لعنة خمسة فيه حيث قال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» وأوجب عليهم استغلال

الأراضي وعمارتها بزرع أو غراس أو بنيان ليعم الانتفاع بها ولا يقتصر علىٰ المالك الذي يقصد التكاثر وربط صحة الإقطاع[١] علىٰ ذلك بتحديد مدة يقوم المقطع فيها بذلك أو يبطل إقطاعه.

فضوابط الاقتصاد في الشريعة كفيلة بسعادة المجتمع ورفاهية وحصوله علىٰ التقدمية الصحيحة الفعالة لا التقدمية الكاذبة التي يزعمها الدجالون المفسدون المنتهبون للأموال ومصادر الخيرات بضروب الإرهاب والكبت وقتل خيرة الرجال رجال الشعب من ذوي الفن والسياسة والخبرة العسكرية حتىٰ أنهم بأنفسهم يأكل بعضهم بعضًا كما هو المشاهد من حال الثوريين في كل مكان.

ثم إن الشريعة بضوابطها لاكتساب المال قد جعلت ضوابط لحفظة تمنع من الجناية عليه وذلك:

أولا: بمشروعية قطع يد السارق خلسة أو قطع يد المنتهب ورجله من خلاف.

وثانيًا: تحريم صرفه في البذخ والإسراف أشرًا وبطرًا والتشديد في تحريم صرفه علىٰ المعاصي والفواحش وسائر الملاهي المفسدة للقلوب والمغرية علىٰ اقتراف الفواحش وينشأ من ذلك العداوة.

---

(١) الإقطاع منح الإنسان قطعة أرض لحرثها وزراعتها والانتفاع بها علىٰ شرط إتقان ذلك والقيام بحق الشريعة في الزكاة دون أن يتعدىٰ هذا الإقطاع إلىٰ ملكية العمال والفلاحين فيها. وهذا يخالف تمامًا الإقطاع الذي عرفته الحضارة الأوروبية التي لا تعرف عدالة الإسلام ورحمته.

الحادية عشرة: وهي حصر صرف المال في صالح المسلمين الذي من أعظمه سدانة الإسلام والدفع به إلىٰ الأمام فيصرف فيما يقتضيه هذا السبيل من نشر الدعوة بإمداد الدعاة والصرف للمؤلفة قلوبهم والاستعداد بجميع المستطاع من أنواع القوة حسب مقتضيات العصر مهما تطورت الصنعة من وسائل القوة الحربية ووسائط النقل البرية والبحرية والجوية وتمهيد الطرق بما يصلح لناقلات العصر وطبع ما تحتاجه الدعوة والقيام بقمع من يقف دونها من ذلك الدعامة.

الثانية عشرة: وهي التحرك المتواصل لتوسيع رقعة الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض ورفع كلمته فيها دون إكراه أحد علىٰ اعتناق العقيدة ولكن بإلزام الجميع لحكم الإسلام ورفض حكم الطاغوت فالدين الإسلامي تقدمي حركي بجميع معانيه وليس مسئولًا عن التخلف الذي حصل علىٰ أهله نتيجة استسلام قدري أو تواكل يعكس معنىٰ التوكل المطلوب أو ارتكاس في تقليد ونحو ذلك من ضروب الغزو الماسون المتنوع الذي هدفه التنويم تارة وقلب المفاهيم تارة أخرىٰ.

لقد برهن الإسلام علىٰ أيدي أهله العارفين بمقتضاه حقيقة علىٰ أنه دين الفتح والتحرير والزحف المقدس والنافع المنفذ لأهل الأرض من الظلم والاستعباد والمصلح لأخلاقهم والمفجر لطاقاتهم فأنعم وأكرم بما فيه من تقدمية صادقة صحيحة نافعة بخلاف ما يزعمه دجاجلة العصر وتلاميذهم المصبوغون بهم من التقدمية الكاذبة تقدمية الفسق والفجور والملاهي والبلاجات وغيرها مما هو خروج الإنسانية عن حقيقتها وانحطاط بها إلىٰ مستوىٰ البهائم تقدمية الجلادين لشعوبهم بسائر أنواع الفتك والإرهاب، تقدمية

المسخ والرق المعنوي الذي هو أفظع من كل رق سبق وكل من صدق مع الله في ضراعته إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] كان خطه التقدمية الصحيحة التي يحيا بها حياة طيبة في الدنيا والآخرة وما عداه فإنه تنعكس أموره ويرتكس في جحيم الدجالين ووعودهم الكاذبة وصدق الله العظيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٥].

المنطق الشيوعي في تفسير المادة

المنطق الشيوعي في تفسر المادة

إن هذا التعليم من الرب لعباده بتكرار الضراعة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ إيقافًا لهم عند حدهم، عند الشرود بفكرهم، إلىٰ فلسفات مبتكرة متعجرفة يتطلب الوقوف علىٰ حقائق الوجود جميعًا، والتعرف علىٰ كونه الخالق، ومعرفة قوانين الخلق جميعها، وتعليل كل منها بعلل مادية وطبيعية ونحوها، مما يسميه الماديون: حتمية التأريخ، إما غلطًا، وإما زورًا وفكرًا شنيعًا، فإنه أراح عباده بإيقافهم عند حدهم، وإقرارهم بالعجز، والاعتراف بعدم قدرتهم علىٰ النفوذ إلىٰ أسرار الوجود، وتفسير الكون لئلا يقعوا في سفسطة المنكرين للحقائق ويشردوا في متائه الإلحاد كما شرد كثير من الفلاسفة قديمًا والشيوعيين وأتباعهم أخيرًا.

ومن رزقه الله العقل السليم، عرف عجزه عن معرفة كنه نفسه، فلا يطمع في معرفة ما هو أكبر منها، وأعم وأشمل بل يجزم بكل يقين، أنه لم يعرف من الحياة إلا قشورها دون اللباب، ويرىٰ وجوب الاعتراف بالعجز والتقصير، فيقف حيث أوقفه الله، ويحصر تفكيره علىٰ خلق السموات والأرض وما فيهما من دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وإن الله لم يخلقهما باطلًا بل خلقهما بالحق وأجل مسمىٰ.

ويعتبر بآجال من يراه من البشر، ويتفكر في آثار الماضين، وكيف كانت عاقبتهم، وهم أشد قوة وعمارة للأرض من الآخرين ويتفكر في إسرار هذا النبات الذي يسقىٰ بماء واحد وتمده تربة واحدة كيف يفضل الله بعضه علىٰ

بعض في الأكل وغير ذلك مما يغرس في قلبه، تعظيم الله وإجلاله وتقديسه وإكباره.

وينظر في ترادف نعمه وتسخيره له كل شيء فتنفرد محبة الله في قلبه وتزداد فيكون شغوفًا بحبه منشغلًا بذكره قائمًا بأمره منفذًا لشريعته، محترمًا لحدوده، فإن سلطان الدين هو محراب القيم الإنسانية الخيرة المرتبطة بالوجود يدعوه إلىٰ التأمل والتفكير في مخلوقات الله، ونعمه السابغة، فيريح الفكر ويدخل الطمأنينة علىٰ النفوس العابدة لله.

أما عبادة المادة وأتباع شياطين الجن والأنس فإنهم يلقون ذواتهم؛ لأنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم، فأخرجوها من رحمة الله إلىٰ عبودية من يخنق مؤهلاتهم الفكرية والعلمية، ويسلب حريتهم ويجعلهم كالآلات المدارة، أرقاء لطواغيت النزوات وعبيدًا لأخطر النزعات والشهوات، فكأنما هم منادون إلىٰ حتفهم، مساقون إلىٰ مصارعهم بتأثير العوامل الاقتصادية.

ولما أسلموا وجوههم لغير الله، سخت المادة منهم أقدس الجوانب الإنسانية التي هي الجانب الروحي، ولم يبق منهم سوىٰ آثار الصلصال الفخار، وصاروا يسيرون وراء السراب والإفك الماركس المضحك الذي صبغه الشيوعيون كقواعد لجدلهم الإلحادي مما أسموه «قانون الترابط والتفاعل الشامل» «قانون التحول والنمو المستمر» «وقانون التحول النوعي»، وقانون لقتال الأضداد، المعتبر كدافع لكل تحول، ما يريدون به قصر الإيمان علىٰ السببية دون المسبب، ودون الاعتراف بما يؤول إليه هذا الترابط، من الحقيقة الحتمية الشاهدة بوجود الخالق، باعث الحياة والمسير الأول لكل شيء، وإنما

يريدون من الترابط والتفاعل مجرد الاعتقاد بوحدة العالم، معارضة لفكرة الخلق، وفضل الخالق واجب الوجود، وخالق الموت والحياة.

والعلم الصحيح يسلم حتمًا بأن الكون فيه من الاستغلال الذاتي ما قد يكون معه مرتبطًا أو ليس مرتبطًا بغيره بحسب طبيعة الوجود والمكان والزمان، ومن يعرف الشيء البسيط عن الإنسان، يراه بداهة أنه مخلوق مستمر فكريًّا وعاطفيًّا، وعقليًّا، وإن انعكس عليه آخر الوسط الخارجي قال بعض الخبراء: وإن تشريح الجمجمة الدماغية للإنسان، يوقفنا علىٰ خصائص كل جزء، بل كل خلية من خلايا الدماغ، فهناك منطقة الذاكرة، ومنطقة الرؤية، ومنطقة الزكاء وبالرغم من وجودها ككل؟ فكل مركز من مراكز الدماغ يشرف علىٰ عمل ذاك يؤديه مستقلًا، وإن أي تخريب يحدث في مركز من المراكز فيؤدي إلىٰ فقدان الوظيفة القائم عليها، دون أن يسبب أي خلل في باق المراكز.

هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ، فإن استقلال التفكير والشخصية الفردية ترينا أن من المستحيل أن نجد مخلوقين يفكران بطريقة واحدة ويتصرفان بأسلوب واحد، ويصلان إلىٰ هدف معين، دون اختلاف ضمني ذاتي وستبقىٰ فكرة الترابط والتفاعل بالطريقة المعطاة من قبل الفلسفة الماركسية، أعجز من أن تحقق الهدف الذي أريد لها.

وهكذا نجد في فكرة الاستقلالية الموجودة في حقائق كل جوهر وعنصر من عناصر الأشياء، والقائمة في مدار كل ذرة من ذرات الكون تشكل استقلالًا ذاتيًّا مقيدًا، لم يبلغ الإنسان علىٰ ما بلغ من التطور النفوذ الكهنية مما يجعل مبدأ الترابط إدانة لأفكار مبدعي الماركسية القائمة علىٰ مغالطة الفكر وتضليله

بحجج واهية من اختلاق الخيال الذاهب بعيدًا في تصدراته، ومن ادعاء فكر مريض يحاول أن ينصب عن الأوهام وجودًا حقيقيًّا.

وليس هذا فحسب بل إن فكرته في مبدأ (الترابط والتفاعل) لا بد أن تصل إلىٰ نتيجة تعكس حقيقة وجود الخالق (المحرك الأول) والباعث الوحيد لهذه القوىٰ الطبيعية الكونية كالميكانيكية والفيزيائية أو ظواهر علوم الطبيعة أو الكيمياء الكامنة في مظاهر الحياة انتهىٰ.

وأما الذي يسمونه بقانون التحول والنمو المستمر فهو متصف من نظرية (داروين) تلك النظرية التي لا تضطرد علىٰ كل شيء؛ ولكن الشيوعيين تساقطوا عليها لغرض خبيث في نفوسهم متعامين عن مغايرتها للحقائق ليلبسوا علىٰ الطغام أن كل شيء خاضع للعوامل الطبيعية، وأنها تؤثر علىٰ غيرها ولا تتغير وهذا مكابرة للحث وحفظ وتناقض؛ لأنها إذا لم تتغير فليس التحول عاما كما يزعمون فهم لم يراعوا أمر المطلق والنسبية إذا كل شيء نسبي في الحياة، والمطلق لا وجود له علىٰ ظهر هذه البسيطة؛ ولكنهم لشدة إلحادهم آمنوا بالمطلق وعمموا عليه صيغة التحول وطبعوه بطابع التبدل.

وهذا ولا خلاف إخفاء للحقائق وتشويه لدافع فالجوامد غير الإنسان والموت لا يمكن أن يدخل في قانون الأحياء والمادة بها هي لا تختلف ولا تتبدل كما هو ثابت في القوانين الكيماوية وتفاعلاتها التي جبلها الله عليها، فالحديد لا ينقلب إلىٰ ذهب، والنحاس لا ينقلب إلىٰ قصدير بل يبقىٰ كل من هذا وهذا محافظًا علىٰ ماهيته بالوزن والجوهر مهما طرأ علىٰ صفاته من تبدلات فيزيائية، اللهم إلا إذا أدخل في نطاق التفاعلات النووية فإنما يحصل

من تفاعلاتها لا يدخل تحت الجدل الكاذب في قانون التحول قطعًا، وإنما تبنىٰ الشيوعيون هذا المبدأ الجدلي بشكله المغائر لحقائق الحياة والمجتمع؛ لأنهم طرحوا الجانب الروحي في المجتمع طرحًا كليًّا هادفين طمس القيم والتعاليم السماوية فأرادوا التستر بذلك الجدل تحت ستار العلم ليملئوا الدنيا ضجيجًا بأن (الكل مادة) ويقيسوا الإنسان علىٰ الجماد والنبات، ولا يجدوا سائلًا يسألهم هل تنقلب المادة الجامدة إلىٰ حياة عضوية وتكتسب روحًا وملكات فكرية؟ وهل يتحول الإنسان إلىٰ مادة جامدة؟ أم أنه سيبقىٰ ذلك الكائن الراقي الذي كرمه الله؟ ولو سئلوا فهل يفرقون بين التكييف وقوانين التحول؟ أم يغالطون فيسوون بينهما؟ مع أن التكيف هو حالة من التأقلم مع وسط خارجي واكتساب بعض معطياته، فشتان بينه وبين التحول في عرف الشيوعيين الجدلي.

وما زعموه من التحول النوعي فهو أشد إضحاكًا من الأول وأعظم جناية علىٰ العقل وخيانة للعلم بالتلبيس الجدلي حيث قاسوا المجتمعات الإنسانية علىٰ التفاعلات الفيزيائية، وهذا من أفسد القياس لوجود الفوارق فضلًا عن الفارق بل تجنوا علىٰ الأرقام الحسابية العددية في علم الجبر ونحوه مما لا يقبل الجدل والمغالطة تبريرًا لما يأتون به من أفكار خبيثة عدائية للشعوب وإيثار بعضهم علىٰ بعض، ومن رجع إلىٰ العلوم الرياضية استبان له أخطاؤهم المضحكة وجنايتهم علىٰ العلم مما لا يصوغ لنا التعرض له في مثل هذا التفسير.

(وأما سخريتهم الرابعة بالعقول وهي نضال الأضداد) فهو محور الفكر الماركسي ومنطق ماديته العرجاء وهو يتركز علىٰ أن ماهية الأشياء تحتوي علىٰ متناقضات داخلية من سلب وإيجاب وقد سبقهم علىٰ إلحادهم في ذلك

الفلسفة الإغريقية من أيام (هرقليطس) الموصوف بفيلسوف التفسير وعدم الثبات، وكذلك الهيجلية أيضًا؛ لكن الماركسية وجدت في كلتا الثقتين مناط رجائها وحل عقدتها، فأخذت منها الجانب السلبي طلبًا لغايتها الملعونة من نفي فكرة الخالق لإقناع الغوغائية بأن للمادة قوة ذاتية تحركها وتحولها علىٰ أثاث أن التناقض فيها هو الوجود بحد ذاته حتىٰ زعموا أن في المادة قوة دائبة التصارع باعتبارها في طبائع مختلفة، ومن هنا يحدث النمو والتطور في الكون والطبيعة والإنسان لكن تعاموا عن مودع هذه القوىٰ في المادة.

ثم إنه هو يقر العقل الإنساني إن للحجارة مثلًا قوىٰ تتصارع، وهل الحجارة تنمو كالطبيعة الحية تكبر وتتطور؟ والكل يعرف بداهة أن الحجارة تتفتت؛ ولكن ليس بفعل عوامل داخلية ذاتية، وإنما بفعل المؤثرات الخارجية من تبدل الحرارة، وفعل الرياح والأمطار.

والنبات ينمو؛ لكنه لا يملك القوىٰ الداخلية المحركة، وإنما نموه بفعل الوسط الخارجي من تغذية وتنفس وانعكاسه علىٰ النبات بدور التمثل الذي يلعب الدور الأكبر بتطوير العوامل الذاتية التي تتضمن نمو النبات وكيف يكون شجرة «السنديان» وهي تشكل وحدة نوعية في تركيبها أن تنتج بفعل «عوامل المتناقضات» ثمار البلوط؟ عن أن الأمر أشد صعوبة إذا انتقل بالتطبيق إلىٰ دراسة الإنسان الذي احترف كبار الباحثين بعدم إدراك كنهه وعقله، وأن خلايا المخ ليست هي العقل كما يزعمه المجادلون الذين لو رجع كل واحد منهم إلىٰ ذاته وإلىٰ النفس البشرية التي هي بعيدة كل البعد عن المادة؛ لانكشف له خطأ مزاعمه، ولما أخذ واحد منهم علىٰ أكذوبته من أن العقل هو المادة المفكرة، والفكر نتاج صراع الأضداد، ولكن أنىٰ يرجىٰ منهم التعقل وهم مبالغون في

المغالطة بقولهم: إن الرجل الذي يدرس هو جاهل ويحتاج إلىٰ المعرفة في نفس الوقت ويحسبون علىٰ أنفسهم بأنفسهم ويقولون: إن درسه يشمل النضال ويشمل تصارع الأضداد في هذا اللعب بالأفكار؟ أين هم من المنطق فضلًا عن الحقيقة؟ فهل الدرس موقوف علىٰ وجود الجهل؟ كيف عموا عن وجود حب المعرفة وعن فعل الهداية وعن الانطلاقة النفسية الاستقلالية وعن القدرة الذاتية؟ وأي نوع من التناقض ونضال الأضداد يحصل من دراسة الرجل الذي يمثلون به في مخيلاتهم البديعة في الافتراء؟

والحقيقة: أن الباعث المحرك والدافع للتغيير ليس هو مجرد تناقض بين ضدين – الإيجاب والسلب – وإنما هناك عديد من العوامل الخارجية الداخلية كالقابلية والحاجة والفطرة والغريزة والميول وغيرها من الدوافع كما أن هناك الإمكانات ولو سلمنا جدلًا وجود صراع بين المتناقضات، فإنه لا يوصل دائمًا للغاية التي يقررها هؤلاء الملاحدة ولا موصل للكمال كما يزعمون بل قد يكون موصلًا للهلاك بسبب الغلبة التقاتل والتدمير – وليس عندهم دليل علىٰ تصارع الأضداد سوىٰ الأزمات والأحداث السياسية وهذه ليس سببها الصحيح ما يزعمونه من تصارع الأضداد. بل هذا تنافس وتشاحن قد يحصل مع القريب والحبيب سببه تفاوت الأفكار أو التنافس علىٰ القوىٰ المنتجة أو التشويق أو الإعجاب بالقوة والطمع في التوسع.

ومن عجيب الأعيبهم في الفكر وجنايتهم علىٰ العقول قولهم: بوحدة تصرف الأضداد المتصارعة، وهذا أفك يفضحه العلم المادي بالتجارب الفيزيائية فضلًا عن تصور العقول السليمة والنظر في الواقع المحسوس، فإن اجتماع المادة بنقيضها يؤدي إلىٰ انفجارهما وتلافيهما جميعًا، وهذا طبق ما

يقع في صفوف المجتمع الإنساني، وإذا كان الماركسيون يؤمنون بوحدة المتناقضات بعد الصراع، فكيف يجرون القتل الجماعي والإبادة لمن يضادهم في فكرتهم؟ ألا يمهلون خصومهم للانسجام والوحدة التي لا تنقصهم؟ ولكن خبطهم في الهرج يثبت فساد أفكارهم وسوء معتقدهم وأخلاقهم.

وهداية الله لعباده في ضبطهم عن الشرود الفكري وإيقافهم عند حدهم، وتوقفهم عند ماخلقوا له هي المسعدة لهم والحافظة لأوقاتهم وأموالهم وسائر طاقاتهم من الضياع، فيما لا ينتج لهم الفائدة التي يطلبونها ويتطلعون إليها تطلعًا أنانيًّا خارجًا عن الفطرة كما حصل للذين هم عن آيات ربهم مصرفون.

وقد حمىٰ الله عباده عن الشرود الفكري بإيقافهم عندما أوقفهم حين سألوا نبيه عليه الصلاة والسلام عن الأهلة وعن الروح قال تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ وقال ﷺ في النجوم: «إنها زينة للسماء ورجوم للشياطين» أي قفوا عند هذا الحد وفي صفات الذات والأفعال لله قال عنها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ ليقفوا عن البحث والخوف ويؤمنوا بها لما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل.

وكل من شرد بفكره في الذات العلمية فأنكرها طلبًا للحس والمادة كالملاحدة من الشيوعيين وغيرهم اضطربوا واتخذوا آلهة من البشر زادوا شقائهم وتعاستهم وجروا الويلات علىٰ أنفسهم وعلىٰ غيرهم من الشعوب، ومن شرد بفكره في الصفات الإلهية واتبع تتلوه شياطين الإنس أفراخ اليهود

كطالوت وحفيد بن الأعصم معلم جعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن علىٰ شاكلتهم ممن خلطوا الينبوع المحمدي الصافي بغلوط المنطق اليوناني وأشركوا فلاسفة اليونان برسالة محمد ﷺ بل أكثرهم فضل قوانين منطقهم علىٰ وحي الله حيث جعلها تفيد اليقين، والوحي لا يضيره بزعمهم.

فماذا يبقىٰ من الإسلام بعد هذا؟ وقد أحدثوا في الأمة شيعًا ومذاهب كثر بينهم الجدل،والشقاق وأخذوا ينبذون أهل السنة بالألقاب الشنيعة، ففسحوا بذلك المجال للعابثين المغرضين من كل نوع.

الأثر السيئ لعدم ضبط الحب والعاطفة

الأثر السيئ لعدم ضبط الحب والعاطفة

الحبُّ من الوظائف الباطنية التي تنبعث من أعماق القلوب وتلهب مشاعر الإنسان وأحاسيسه وتجعله يندفع بجميع أعضائه وجوارحه ويستسهل الصعاب ويقرب عنه البعيد ويرخص عنده الغالي ويبذل الطارف والتليد في سبيل نيل محبوبه أو الأنس بقربه أو السعي لنصرته أو ما شابه ذلك. ولما كان الحب بهذه الغاية من التأثير علىٰ المشاعر والجوارح والسيطرة علىٰ العاطفة فقد أولته القضية السماوية حق اهتمامها من أول وهلة وجعلته الركن الأعظم والأصل الأصيل في ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المأمور بإتباعها كل نبي وأمته بما فيهم نبينا ﷺ وأتم الدين جميع الثقلين منذ رسالته إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد حدها الله تعالىٰ بحدود لا يجوز تخطيها ومن تخطاها فقد وقع في الشرك والضلال الفساد والانحلال وابتلي بالشقاق وسوء الجهد وضياع أكيد فيما يعود عليه بالضرر كما هو مشاهد الآية في كل زمان ومكان: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ ولا شك أن كل ما زاد عن حده انقلب إلىٰ ضده ولذا قيل: (حبك الشيء يعمي ويصم) وقيل: (وعين الرضىٰ عن كل عين كليلة) وفي الأثر: (أحبب حبيبك هونا ما عسىٰ أن يكون بغيضك يومًا ما) ولا يمكن أن تنضبط الأعصاب والمشاعر التي يحركها الحب تحريكًا جنونيًّا إلا بالالتزام بالعقيدة السماوية وجعلها ميزانًا يضبط الميول والعواطف عن الانزلاق في المحبة فوق ما يريده الله ورسوله منا، ومن فقد تلك العقيدة أو ضعفت في قلبه استهوته الشياطين وجعلته ألعوبة يمتلك قلبه كل شيء، فيهوىٰ

ما يسنح له ويوجهه شياطين الإنس إليه مما انتحلوا وينتحلون من المبادئ والمذاهب المادية تحت اسم الجنس والعرض الذي يكون الإنسان في الغالب أكثر ميولًا إليهما أو إذا انصرف قلبه من ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فيتشبث بما يهواه من مبدأ أو رائد مبدأ أو مذهب أو نابش مذهب وتجتذبه تلك المحبة إلىٰ ما تضيع به دنياه وآخرته ويضر بمستقبله المادي ومستقبل وطنه الذي أحبه من أجله وأشرك به مع الله، وتارة تجتذبه الشهوة المحرمة وغير المحرمة، فيبقىٰ عبدًا أسيرًا لمن لو اتخذه هواه عبدًا له لكان عيبًا ونقصًا في حقه، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة فيوالي من يمدحه ولو بالباطل، ويعادي يذمه ولو بالحق كما هو مشاهد معروف وغالبًا يستعبده الدرهم والدينار وشهوة البطن والفرج فيحيق به الدعاء النبوي الذي تقبله الله وواقعه في كل شيء شغف بمحبوب دونه؛ لأنه اتخذ إلهه هواه واتبعه بغير هدىٰ من الله والحب هو الذي يحرك إرادة الإنسان وتقدس تلك الإرادة في سبيل المحبوب بحسب قوة الحب في القلب، فإذا كانت محبته شاقة استلزمت منه إرادة حازمة ببذل النفس والنفيس في تحقيقها ويندفع بكل غرور إلىٰ ما يضره بل إلىٰ ما ينقلب لعدائه سريعًا؛ لأنه اندفع بغير هدىٰ من الله، ووقع تحت إلحاح من ضغوط مزاجه لا يستطيع تأجيلها أو إلغاءها، إذ ليس في حسابه وتقديره إلا خدمة من انصرف إليه الخضوع لما يفرضه عليه مما هو أثقل من أوامر الله أضعافًا مضاعفة، والحب إذا لم يكن تابعًا لمرضاة الله وموافقًا لشرعه أوقع صاحبه في الأنانية أو في الإلحاد، فإن أوقعه في الأهوال التي لو تحملها في ذات الله لفتح عليه بركات السماء والأرض وأمده بالنصر؛والتمكين ولكن بابتعاده صراط الله المستقيم وولوعه بحب ما يبغضه الله أصبح كالمنبت لا إرضا قطع

ولا ظهر أبقىٰ، فلا يزال يستجيب لطلبات لا تنتهي ورغبات لا تسعف ولا تفيد معذرة أو تعريف فطانة إله الهوىٰ مالا يطيقه من مخاطر بدنية وعقلية ونفسية يعيش بها في حجج من الاضطرابات والتخليط مما يؤدي به غالبًا إلىٰ الانتحار الحسي أو المعنوي، وإذا تدبرت سلوك أهل هذا النوع وجدتهم في انتحار معنوي ومسخ معنوي وانتكاس علىٰ الرغم مما يزعمونه أو يظهرون به من المظاهر الخلابة أما إذا أوقعه ذلك الحب المخالف في الإلحاد، فإنه يفرض لنفسه ولن يقربه من أتباعه وأحبابه أهواء ضخمة ونزعات جمة لا يفرقها الله الرؤوف الرحيم كما يفرض عليه وعلىٰ أتباعه نواهي يحتم عليه أن يسقطها من اعتباره، وإن كانت هي المفروضة السمحة شرعًا وعقلًا قد يتحمل المجتمع في الغالب تضحيات كبيرة وخسائر فادحة من جراء أهواء ذلك الملحد الذي يدفع ضريبة البشرية بآلامها وتضحياتها ونقائها وهي تسير معه في حلقته المفرقة وأفقه المحدود ومجاله الهزيل الذي ربط نفسه به وربط أتباعه المنكوبين به، فقد جره إلحاده وصدوده عن آيات الله إلىٰ تقليد كل أفاك أثيم وأوقعه ومن معه في دركات جحيم الإلحاد التي يتكلف من أهوائها الهزات السياسية والأزمات المختلفة والقلاقل التي لا يتعرض لشيء منها لو كان علىٰ الملة الحنيفية التي من خرج عنها واسترسل في غيرها ذهب منه ما وفرته له من خسائر وما وقته من ويلات ودخل في حرب ضروس بين الآلهة المادية والعصبيات الجديدة المجنونة التي يفتح من أجلها كل سلاح فتاك، وتكتوي منها البشرية بالمجازر الهائلة الرهيبة انتقامًا للجيش الثلاث والمذهب الثلاثي أو الفلسفة الثلاثية حتىٰ قاله القائلون (نحن في هذا القرن العشرين الميلادي نخوض أزمة المتمذهب وكل هذا من عدم ضبط الحب والعاطفة بالمعيار الشرعي، وقد قرر الباحثون

أن الولاء الجماعي كلف الناس ما كلفهم الهول الفردي من شطط بالغ وخسارة فادحة وللكاتب الشهير (دوركايم) حيث يفسر بعض مقالته وذلك في كتابه قواعد المنهج ترجمة د. قاسم صفحة ٣٢- ٣٣ يرفع إليه من أراد المزيد فإنىٰ له لا أريد الإطالة بنقله ولا أحب تلخيصه والتعرض فيه لذا أحيل الراغب في الاستزادة إليه مباشرة والمقصود هنا أن الحب إذا كان يسائر العاطفة والشهوة لا العقيدة السماوية ذهب بعقل الإنسان ولبه إلىٰ ما ينسيه نفسه ويجعله يسعىٰ في خدمة عدو وطنه صديقًا ويعاني بعض البؤس والشقاوة، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ وأجرىٰ سنة الكونية علىٰ ذلك بحيث تجد المعرض عن حب الله ورسوله المفرط في جنب الله ساع إلىٰ ما يهلكه ويشقيه بفرط محبته لأناس باسم الوطنية والجنسية مثلًا أو باسم مذهب من المذاهب المادية دون التفكير فيما يضر بوطنه أو بني جنسه فاختلاف المحيط أو سير التخطيط أو غير ذلك من العقبات والعوارض هذا إذا افترضنا أن محبوبه معصوم وهذا مستحيل أما إذا مشينا علىٰ القاعدة الكونية الصحيحة التي لا تكون إلا بتحقيق استجلاب المادة والجحود حتىٰ لنعمة ربه، وهذه الأوصاف التي هي غاية الأنانية ومنتهىٰ قمتها لا يمكن أن يتخلص الإنسان منها إلا بتحقيق الدين الخالص الذي طهرت به ضمائر سلفنا الصالح، أما الأشخاص الذين اندفع الناس إليهم بالحب والولاء والتبجيل وانصرفوا عنه بعد يلعنونهم؛ لأنهم خيبوا الآمال وغدروا وبطشوا بمن حولهم فهؤلاء وهؤلاء منحرفون عن الطريق الصحيح، فأولئك اندفعوا دون ضوابط لحبهم وعواطفهم ولم ينطلقوا بها منطلقًا صحيحًا إسلاميًّا، فخاب فألهم بأصنامهم، وضاعت آمالهم وانخرصت قلوبهم، وذاك الذي نافق وضلل واشترىٰ العواطف سقط في

نهاية كانت تنتظره وبعد فها وذاك لم ينطلقا إلا من مصلحة ولدتها الأنانية، وجشع قطع الطريق ولو قلب القارئ الكريم التأريخ والوقائع قديمًا وحديثًا لوجد صحة ما قلته ويعرف أنه لا خطر من الأنانية والطمع إلا بالدين الخالص الذي يكاد يكون منعدمًا عند من احتلوا الصدارة في جميع العالم، ليعرف مدىٰ انزلاق الناس تحت تأثير الحب والعاطفة وأنهم صاروا أضل سبيلًا من الأنعام التي تستجيب لنداء الجزار إلىٰ المجزرة.

ولا يغرب عن بالكم أن الحب نوع من العبادة لا سيما إذا اقترن بالتعظيم والإجلال، أو وصل إلىٰ حد الشغف بالمحبوب بحيث يؤثر بالتعلل به علىٰ الواجب الديني وينشغل به عن ذكر الله، أو تكون الشفقة علىٰ المحبوب أعظم من الشفقة علىٰ الدين ومنه سيد المرسلين، أو تكون الغيرة عليه أزيد من الغيرة علىٰ شعائر الدين وامتهان الكتاب والسنة، أو يكون الغضب به أشد من الغضب لله ورسوله وانتهاك حدوده، كما هو شأن المندفعين بحب الأشخاص في هذا الزمان. إن الضوابط والحدود للمحبة الشرعية المرضية كلها تدور علىٰ تكون محبة الإنسان وهداه يجب أن يكونا تبعًا لما جاء به نبيه ﷺ من إيثار حق الله في كل شيء وإجلاله وتعظيم حرماته فوق كل شيء، والقيام بنصرته دون التعلق بأي شيء، وجعل الأولوية لرسوله في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وأن تكون الشفقة علىٰ دينه من جميع النواحي فوق كل شيء، والغيرة علىٰ شريعته أعظم من كل شيء والغضب بانتهاك حرماته أشد من كل شيء والقوة في أمر الله فوق كل شيء، حتىٰ تعدىٰ هذه الحدود والضوابط بتفضيل محبوب علىٰ ذلك أو مساواته به في هذه الأمور، فقد وقع في الشرك المخالف لما جاء به نبينا ﷺ من ملة إبراهيم الحنيفية وكثيرًا ما نرىٰ الناس غضبوا ويغضبون للنيل ممن

يحبونهم من رؤسائهم في الدين والدنيا دون أن يغضبون للنيل من نبيهم ﷺ بل لم يغضبوا لله عندما صرحت بعض الصحف المصرية بإنكاره وبعدم تأثيره في الكائنات وإنكار الرسل والبعث مرات عديدة وبصفة واضحة جدلية تهكمية مما يعد أعظم محادة لله ورسوله، ولم نجد من المسلمين الذين راجت عندهم هذه الصحيفة غضب له كما يجب عليهم ولم يتأثروا أو لم تتمعر وجوههم لله بل اتسعت بلادهم وصدورهم لهذه الصحيفة الفاجرة ودخلت أعماق بيوتهم ولا تزال تحتل الصدارة عندهم، وبتنا نجد كثيرًا من يؤدىٰ شعائر الإسلام الظاهرة لم يكترس بما قالته هذه الصحيفة وما تحمله في طياتها من الغسق غالبًا والكف أحيانًا بل تجدهم يؤيدونها بالشراء والانتماء ويعتبرونها عاملة لخيرهم؛ لأنه تصدر من بلاد فيها ما يحبونه أو تصدر الشعارات من يحبونه من دون الله من المبادئ والمذاهب العصرية الأوروبية المادية والجنسية وموادها وناشريها فاعتبروا يا أولي الألباب فما جره الحب والعاطفة علىٰ الناس من الانزالاق في الشرك والإعراض عن الله وانشراح صدورهم لإنكاره وإنكار دين رسله وعدم الاكتراس بذلك وأكثر الولوع بهذه الوثنية الجديدة أو الجاهلية الجديدة في العصر المسمىٰ بعصر النور، وهو نظم تقديس التابع للمتبوع والاستسلام له في كل شيء. واعتبار كل ما يصدر منه أو عنه حسنًا وما سواه قبيح وتبديل الناس قولًا غير الذي قيل لهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون؛ لأن عواقب الاستعمار وآثار ثقافته السيئة غرست في قلوبهم حب الجنس والوطن والتعلق بالمادة ومتع الحياة، فاستولىٰ علىٰ قلوبهم بحجة القواد والزعماء المدعين العمل لذلك صدقًا أو كذبًا فاتخذوهم لذلك وبذلك أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله بل نراهم يحظون منهم بالحب والاستسلام ما لا يحظاه رب

العالمين، فقد قفوا بذلك في نوع من الشرك قد يزيد علىٰ شرك أهل الوثنية قديما وحديثا لأن الله أخبرنا عن الوثنية أن أقصىٰ ما يعتقدونه في آلهتهم أنها شفعاء ووسائط تقربهم إلىٰ الله زلفىٰ ويعتقدون أن الخلق لله والمؤثر في الأشياء من سبب وسبب هو الله، ولذلك يضرعون إليه في الشدائد والشواهد علىٰ ذلك في القرآن كثيرة، أما الماديون اليوم ومن انصبغ بصبغتهم فلا يرون مؤثرًا في الوجود إلا المادة والجنس ويرون أن من سيطر علىٰ الموارد ولم تكبت شهوته البهيمية بحكم أو راض فهو الغالب في الحياة والقادر علىٰ تسخيرها دون اللجوء إلىٰ سلطة روحية عليًّا يستلهم منها الرشد والهداية ويستعين بها في سيره بأعباء الحياة إنكارهم للسلطة الإلهية وعقيدة الملة الإبراهيمية ظاهر معروف لم يجرأ علىٰ مثله سائر أهل الملل والنحل عن اختلاف إلحادها ووثنيتها وجميع مخططاتهم في سائر الميادين مبني علىٰ المادية الصرفة بجميع أنواعها ومن لم يكتحلها فهو سائر في الطريق الذي سار عليه غيره لا كما ظننا بها معرضًا عما سواها والملتفت للسلطة العليا الروحية القاهرة يعتبر رجعيًّا وذنبًا وعميلًا أما الذي يترسم خطأ أعداء الله ورسوله ويعبد المادة من دون الله ويتعلق بأذيال الملاحدة فليس دنيًّا ولا عميلًا بل هو في عرفهم متحرر وهو في الحقيقة عبد وبئس العبد بشهادة محمد ﷺ ولم يتحرر إلا من عبودية الله التي هي أشرف المقامات وأعلىٰ الغايات والوثنية معشر القراء ليست مقصورة علىٰ عبادة صنم أو الرغبة إلىٰ مقبور ونحوه فهذه وثنية انتفىٰ معها توحيد الإلوهية وبقي معها توحيد الربوبية ووثنية اليوم انتفت منها الجميع بل إن الوثنية طابع عام يتمثل في التعلق بغير الله من كل شيء والاستسلام لغير الله في شرعة الحياة وتحكيم غير ما أنزل الله علىٰ رسوله فيما يأتي الإنسان ويذر هذا وهو عن ما

غرسته الإفرنج ويغرسه الآن في الجامعات والمدارس كبار تلامذتهم الذين احتسوا من قيحهم ودمهم وصديدهم وأخذوا يمجونه علىٰ قلوب الطلاب الذين تلطخت أدمغتهم بالوثنية من طريق أولئك. والإنسان إذا أحب شيئًا وجعله غاية قصده كان عبدًا لما أحب ولذا قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**». فسمىٰ المحب لشيء من الدنيا عبدًا له ودعا عليه بتلك الدعوات التي ظهرت أثار استجابة الله فيها علىٰ عبادها المتعلقين بها، إذ الفرق عظيم وواضح بين المحبة لله والمحبة علىٰ الله فواجب المسلم ألا يحب شيئًا إلا الله، وإذا أحب معه شيئًا صار مشركًا وكل من طغىٰ وآثر الحياة الدنيا فهو عبدًا له من دون الله ولا بد له أن يتقلب في جحيمها قبل الآخرة من الاضطراب والأنانية المستمرة؛ لأنه تجاوز حده والذي خلق من أجله فالمسلم يجب استثمار الدنيا وتسخير كل مادة لإعلاء كلمة الله، وأن تكون غاية إصلاح ما أفسده المبطلون وقمع المفتري علىٰ الله لا أن يركن إليهم ويقلدهم فيما أفسدوا ويعتنق ما اعتقدوا والمولعون بحب الأشخاص وتعظيمهم وإجلالهم من هنا وهنا بتقبل خططهم واستحسان نظمهم وتشريعاتهم عبيد لهم سلكوا تلك الدنية بهذا العمل.

فاعتبروا معشر المسلمين وعودوا من جديد لتصحيح إيمانكم بتجديد الحب لله وحده فإن الله ابتلىٰ أباكم إبراهيم بذبح ولده لما رزقه إياه عند الكبر لئلا يكون في قلبه شيء أحب من الله والانقياد إليه ولما حقق المحبة بالامتثال رحمه الله ففدىٰ ابنه وترك له لسان صدق في الآخرين، فيجب أن يكون أقوىٰ ألوان الحب كلها لله وتكون أقوىٰ البواعث منه منصرفة إلىٰ الله؛ لأنه هو مصدر

بواعث الحب كلها فهو العظيم لكل معنىٰ يوجب التعظيم وهو الجميل الكامل الذي فاق الأكوان العصرية والسفلية من كمال وجمال فهو من آثار كماله وجماله، ومن أعطىٰ الجمال فهو أحق بالجمال من المعطي وهو دائم المعروف والإحسان المتفضل علىٰ خلقه بجميع أنواع النعم والمسخر كل ما في السموات والأرض وهو الحفيظ والرقيب عليهم وهو الرحمن الرحيم الرؤوف بهم الحليم عليهم إلىٰ غير ذلك من موجبات المحبة التي من صرفها لغيره فهو نذل طبعًا كافر شرعًا.

فينبغي أن يحتل حب الله من القلب المكانة الأولىٰ وأن يهيمن عليه بحيث لا يتسع قلب المسلم لغيره محبة من يحب من رسله وحملة شريعته بصدق وإخلاص، وأن يندفع بتلك المحبة للتضحية بالنفس والمال في سبيل الله لإعلاء كلمته وقمع المفتري عليه، وأن يكون ملتزمًا في جميع حركاته وسكناته مرضاة محبوبه العظيم ويغار من أجله ويغضب لانتهاك حرماته ولا يحب أحدًا أبدًا إلا إذا رآه عاملًا علىٰ نصرة دينه حاملًا لكتابه بقوة ممن أحب شيئًا مما يكرهه الله أو كره شيئًا مما يحب الله أو ركن إلىٰ أحد من المخالفين لشريعته المجاوزين لحدوده المهلكين محققًا لمحبته بل العكس أمره، وكان من المشاقين لله ورسوله مكذبًا بفعله مدلول ما نطق به من الشهادتين، وكان فيه من الشرك بحسب كرهه ما يحبه الله وما أحب مما يكره الله؛ لأن بغض ما يحبه الله أو حب ما يكرهه الله متابعة للهوىٰ والموالاة علىٰ ذلك والمعاداة فيه من الشرك المناف لمدلول الشهادتين فمن أحب شيئًا وأطاعه وكان غايته قصده ووالىٰ لأجله وعادىٰ لأجله فهو عبده وكذلك قد سمىٰ الله طاعة الشيطان في معصية الله عبادة له إذ قال: ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ فمن

لم يحقق عبودية الرحمن لطاعته له وانقياده لشرعه دون ما سواه فهو عبد للشيطان؛ إذ لم يخلص لربه حسب ما يقتضيه مدلول الشهادتين، وكذلك إتباع هوىٰ النفس قادح في تمام التوحيد إذ هو تأليه للهوىٰ، وكذلك القول علىٰ الله بلا علم جعله الله عديلًا للشرك وشدد في منعه فالملصقون بالشريعة ما ليس منها تقليدًا لمحبوبهم من دون الله وتحسينًا لفعله هم علىٰ خطر عظيم، وكل ما فعلناه من النتائج السيئة لعدم ضبط الحب بالمعيار الشرعي وما فاتنا لسبب الاختيار عسىٰ أن يكون فيه عبرة وعظة فالذكرىٰ تنفع المؤمنين.

الأثر السيئ لعدم التواصي

الأثر السيئ لعدم التواصي

إن صلاح المجتمع وكونه معمورًا بالغيرة الصحيحة والعفة والحياء والاحتشام متوقف علىٰ القيام بما أوجبه الله علىٰ خلقه من التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحبس اللسان عن النطق بالمكروه إذ من الواجب علىٰ كل مسلم أن يعتبر نفسه في هذه الحياة موظفًا لله تعالىٰ مسئولًا أمامه عما يجري في هذه الأرض من كفر وظلم وفسق وفجور ويسعىٰ كل فرد من هذه الأمة لحمل هذه الرسالة العظيمة والقيام بهذا التطهير الشامل ببذل مجهوده في نشر الهداية والدعوة إلىٰ الله وبيان حكمة وإيضاح الحكمة في أمر من الشريعة بما يحييها الناس مبتدئًا بإصلاح العقيدة، وتركيز حب رب العالمين وتعظيمه في القلوب والتعلق به دون سواه وعدم التقديم عليه وعلىٰ رسوله أي شيء من أنواع التشريع والاستحسان وتوجيه الناس إلىٰ خالقهم وابتغاء مرضاته وطلب الهداية من وحيه وتنزيله والاقتداء برسوله ﷺ، وحسن التصرف فيما أورثه من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ورفض ما سواهما، مما يبثه المغرضون أصحاب المبادئ والمذاهب المنبوشة من قيد الجاهلية والملاحدة التي يخدعون بها الناس باسم الحضارة والتقدم والتطوير وهي في الحقيقة رد جديدة عن كل دين وخلق قويم ورجعية إلىٰ كل خالق ومذهب أبطله الإسلام علىٰ الرغم من أنهم يسمون المسلمين بالرجعية ويصفون أنفسهم بالتقدمية إفكًا وتضليلًا وهم يتقلبون تحت زعم الحضارة والتطوير في مسخ معنوي؛ لأن الحضارة والتطوير لا يبدوان في الحقيقة ارتقاء الإنسان في تحسين

ملبسه ومسكنه ومركبه وأثاثه، وذلك من زينة الحياة دون أن يؤثر علىٰ دين المرء وأخلاقه فإذا تعديا ذلك فقد تغير معناهما إلىٰ ردة وفسق وانحلال وتهتك وضياع قيم يصبح في مسخ معنوي يتكون منه فتنة في الأرض وفساد كبير كما حصل الآن فعلًا وما نشأ هذا ولا نبت هذا إلا علىٰ حساب الدين الذي نسي أهله خطأ مما ذكروا به وفرطوا في جنب الله وأعرضوا عن واجبه في أداء الأمانة التي ائتمنهم الله عليها وتقاعسهم عن حمل رسالتهم الآنفة الذكر التي من تركها فقد خان الله ورسوله والمسلمين بتخليهم عن هذا الواجب المقدس جنوا علىٰ أنفسهم وعلىٰ العالم جناية تذوقوا مرارتها واكتووا بنارها وغمتهم النوائب بالأحداث من كل جانب وذلك من عدة أمور:

أحدها: أنهم بتخليهم عن واجبهم وتقاعسهم عن حمل رسالتهم، وبخلهم علىٰ الله بأنفسهم وبأموالهم فسحوا المجال لغيره وأحدثوا فراغًا عظيمًا شغله المبطلون في كل ناحية وغزوا البلاد والعباد بما نبشوه من الأفكار الزائفة القديمة البالية التي طمسها الإسلام بنوره وثقافته والتي لا تنبش ولا تنتشر لو قام المسلمون بواجبهم ووقفوا سدًا منيعًا أمام تيار الباطل وحراسًا علىٰ قصور الإسلام من كل مبطل بل لو شغلوا الفراغ بالحق لما وجد الباطل سبيلًا للانتشار إذ لا ينشر الباطل إلا مع عدم وجود من يدفعه بالحق ولكنهم بوجودهم أفسحوا المجال ووسعوا الثغرة للغزاة بهذه المفاهيم الباطلة والمذاهب والمبادئ العالية التي نبشوها من مخلفات القرون الماضية فتمكنوا بسب تفريط الآباء وإفساد قلوب الأبناء والأحفاد بهذه المبادئ والمذاهب التي بدلوا بها ملة إبراهيم واقتعلوها من القلوب وطبقوا معالمها من الوجود وحشوا قلوب الناس شيبًا وشبابًا بتهريجهم وضلالهم وأولعوا الناس بالتعلق بالمادة

والشهوات تحت شعارات حب الوطن والجنس الذي انفعلوا به وجعلوه فوق حب الله وتعظيم شعائره بمراحل لا تحصىٰ وأسرفوا بسبب ذلك في كل شيء حتىٰ فسدت عقائدهم وأخلاقهم وانحلت روابطهم واختل توازنهم في كل ميدان.

ثانيها: إنهم بتركهم التواصي بالحق والأمر بالمعروف استمرؤوا الباطل وذهبت منهم الشهامة وانطفأت من قلوبهم جمرة الغيرة المحمودة وصار المنكر هو المعروف المألوف وذهب منهم الحياء مما يصاب لهذا رؤيتي للمنكرات فيها لكشف العورات في الحرمات وشرب الخمر علىٰ أقاريز الطرقات وكثرة سماعي لقول الزور خفف استبشاع ذلك في نفسي وضعف كره أصحابه والنفور منهم فإني كنت في بلدي «**القلمون**» المجاورة لطرابلس الشام إذ سمعت بأن رجلًا ارتكب فاحشة النظر إليه ولا الحديث معه قلت ذلك للشيخ محمد محمود التلامذي الشنقيطي فقال لي الشيخ: «**وأنا أنكرت مثلك**» فلا حول ولا قوة إلا بالله قلت: هذه الحالة التي استنكرها أولئك من خمسين سنة فأكثر فكيف لو رأيا الآن في مصر ونحوها من القبح البشع والتهتك الملعون والبلاجات العارية والمسارح الخليعة والمراقص التي تتوعت بفتنتها ومجونها؟ وسيعم البلاء كل بلد تخلىٰ أهله عن واجبهم الشرعي ولم يندفعوا برسالتهم إلىٰ الأمام فإنه لا بد أن يتبعه التيار الخبيث الملون بألوان شتىٰ ويجرهم إلىٰ ما لا يريدونه ولا يشتهونه ويتلاشىٰ من مجتمعهم الحياء والاحتشام إذ لم يتناهوا عن منكر فعلوه لأنه إذا لم يتواصىٰ الناس بالحق ويتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ويتناهوا عن المنكر يذهب الوازع ويقل الحياء مع استمرار عدم الوازع والرادع، فتصبح الوجوه من كثرة ما نشاهده من تألف

الرزيلة المتفشية كأنها سنة ماضية ألا ترىٰ من اعتاد الدخول علىٰ فسقة أو عرآة تزول من نفسه ما يستبشعه شيئًا فشيئًا حتىٰ يجاريهم فيما يفعلون فهكذا انحطاط المجتمعات وتغيرها في أخلاقها وآدابها لقد احترف الممثلون في المسارح أنهم لما بدأوا أعمالهم في لبنان لاقوا عنتًا وقلة إقبال بسبب الحياء ثم أخذ يتلاشىٰ ذلك الحياء شيئًا فشيئًا حتىٰ ضاقوا كثرة الفتيات الراغبات وكذلك وقع في مصر حسبما قالوا لما جاء بعضهم إلىٰ الكويت منتدبًا لهذه المهمة وشكا إليه بعض المسئولين قلة الرغبة صرح له بذلك علنًا وقال: إن سببه بقايا من الحياء ستزول كما زالت من أولئك وهكذا ينتشر الجهر بالسوء من القول بدلا من الهمس به قليلًا مما يؤثر في نفوس السامعين تأثيرًا ضارًا ويزداد ضراوة فيه وتقدير القائلة خصوصًا النشء المستعد للتقليد، فإذا ظهرت المنكرات وفشت كثر الجهر بالسوء.

ثالثها: إن القوم إذا تركوا التواصي بالحق وتخلوا عن حمل الدعوة إلىٰ ربهم، فقد جافوا أمانة الله التي حملهم إياها من نشر الهداية والإصلاح في الأرض وخرجوا بهذه الخطة الأثيمة من كل وصف شريف وسمة كريمة والتصقت بالأوصاف والألقاب المقبوحة من الفسق والفجور والخيانة والنافق لأنهم لم يصدقوا مع الله ولم ينصحوا أو يخلصوا له ولم يؤدوا ما ائتمنهم عليه أو يشكروا نعمه العظيمة المتنوعة شكرًا حقيقيًّا بالعمل الذي يرضيه ومن كانت هذه حالته فهو نذل طبعًا كافر شرعًا مستحق لكل وصف ذميم شبهه الله بالحمار تارة وبالكلب تارة وبالخيانة والكفر والفسق والظلم والفجور والعصيان إلىٰ غير ذلك مما هو كفؤ له ولا يجوز أن يوصف لغيره ومن وصفه بوصف محمود فهو مشاق لله ولرسوله.

رابعًا: إن النابذ لكتاب ربه والمعرض عن هديه ورسالته الصحيحة ينشغل عن الحق بالباطل ويكون عرضة لغزو أعدائه فالمسلمون لما تقاعسوا عن واجبهم وتخلوا عن حمل رسالتهم غزاهم أهل الباطل في قعر دارهم غزاهم أعداء الله وأمدوهم برجسهم ومفاسدهم وأدخلوا الردة الجديدة والجاهلية الجديدة إلىٰ بيوتهم بإفساد أولادهم عقائديًّا وأخلاقيًّا وجعلوا أولادهم حربًا عليهم وصاروا معاول للهدم والتخريب كما جرىٰ فعلًا لكل من فرط في جنب الله ونسي حظًا من ذكره الله به والإنسان لا يمكن له أن يحقق شرف إنسانيته ويزكي نفسه فيكون مفلحًا حقًا إلا بالقيام بما أوجب الله عليه من حمل الرسالة عملًا وتبليغًا ودفعًا لكلمة الله وسيوف وحيه إلىٰ الأمام فإذا هانت عليه نفسه وضعف إيمانه ففرط في جنب الله وأطرح الواجب الذي عليه فقد دساها ولم يذكها فباء بالخيبة والخسران في كل ميزان وكان فريسة لأعدائه في قعر بيته وعلىٰ كل حال فالنفوس العالية تأبىٰ النزول عن مكانها الذي اختاره الله لها أن تشرف به وطلب منها أن ترتقي إليه ولا يعرض ساقط النفس خارج من سماة الرجولة الحقة التي اختارها الله له إلىٰ الأخلاق القردية بالتقليد والسفالة فهل بعيد عن تزكية نفسه بما أمره الله قريب مما يهينها ويدسها والله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾. فهذه جل من الآثار السيئة الناتجة من عدم التواصي بالحق والأمر بالمعروف وترك التعاون علىٰ البر والتقوىٰ وما ذكرناه علىٰ سبيل الآجمال وإلا فالنتائج السيئة للتفريط في ذلك كثيرة جدًا تحيق بالإنسان في جميع حالاته وتجعله يتقلب من شيء إلىٰ أسوأ ومن خسر إلىٰ خسر أفظع فتسفر السيئات وتنحط المجتمعات ويكون الإنسان ديوثًا من

يشعر أو لا يشعر كيف أن الله خص حالة المفرط بواجبه بالخسران علىٰ العموم في جميع أحواله وتقلباته إذ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾

موقفنا من القرآن وتربيته

موقفنا من القرآن وتربيته

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١] وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا القرآن حبل الله المتين والنذر المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه (لا يزيغ) فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة التردد اقرأوه فإن الله يأجركم علىٰ قراءته بكل حرف عشر حسنات لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

وليست قراءته المطلوبة هذرمة ولا (ترغمًا) عن شرف مكانه وعلو رفعته إلىٰ فن الأغاني والمطربات كما أولع أهل هذا الزمان ولا أن تقصر قراءته علىٰ المآتم كما يفعلون ولا أن يؤول تقديسه إلىٰ أن يجعل تعاويذ يحملها المرضىٰ والصبيان فإن الكتاب بل وكل كتاب لا يرسل لأجل نقوشه ولا لتكييف (الإصطوانة) بكلمه وحروفه وإنما ليعلم مراد المرسل منه ليعمل به فقد ضرب الإمام الغزالي مثلًا للعاصي (إذا قرأ القرآن وكرره (جعله) بمثابة من يكرر قراءة كتاب الملك كل يوم مرات وقد أمره فيه بعمارة مملكة هو نازلها أو مشغول بتخريبها ومختصر علىٰ قراءة كتابه فلو ترك تلك القراءة عند المخالفة لكان أبعد من الاستزراء والمقت) وجاءت الأحاديث بوصف أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم إنهم شرار الخلق فالقرآن دستور كامل شامل لنظام الدنيا

والآخرة وصفة منزله إنه (هدىً للمتقين) في عامة أحواله لأن جميع قصصه محشوة بالأحكام والعبر وللاختصار علىٰ القراء الكرام تقتصر بتذكيرهم بسورة واحدة قصيرة أودع الله فيها دستورًا شاملًا لنظام السلم والحرب وموافيًا بحقوق الإنسان ما لم يأت مثله عن المجلس الدولي الكبير العام في (سان فرانسيسكو) ولا عن منظمة حقوق الإنسان التي كفر بها واضعها من أول وهلة بفعله المتناقض فهذه السورة التي سبقتهم بأربعة عشر قرنًا تقريبًا إلىٰ أشرف الغايات وأكملها هي (سورة الحجرات) ومع هذا نجد بعض مديري الجامعات في العواصم العربية يرسم ويا للأسف في مجلة (العربي) للقومية نقاطًا لا يتفوه بها إلا أبعد الناس عن القرآن وأجهلم به يريد في (آخر) للقومية (أن تحقق المثل العليا الدولية) كأنه ساكن في غير هذه الكرة الأرضية لا يسمع ولا يرىٰ ما فعلته الدول في شرق أوروبا والبلقان والجزائر وأفريقيا وفلسطين وعمان والشرق الأقصىٰ وما أعظم خسارة المسلمين عامة والعرب خاصة بإغفالهم كتابهم وانحرافهم عنه مما جعلهم بعد السيادة والسياسة عبيدًا وسوقة في انحطاط (خض سحيق) وسبات من التقليد عميق وما أعظم خسارة العالم كله بإضاعتهم مملكة الرحمن وهدي القرآن الذي شرفهم الله به وأنزله بلغتهم الكريمة مختار لها أن تكون هي اللغة الرسمية في جميع بقاع الأرض مستجيبًا دعوة أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلنتساءل جميعًا عن (موقفنا من القرآن) الذي قال فيه منزله جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠] هل تلوناه حق تلاوته بإقامة حدوده وحمله إلىٰ جميع البشرية المتعطشة إلىٰ دين يحميها من الانحلال ويغريها بأشرف الخصال؟ هل عرفنا أنفسنا وشكرنا ربنا علىٰ هذه الصبغة فقمنا بواجبه وحققنا الذكر الحسن؟ أم

علىٰ العكس سفهنا أنفسنا واستخففنا بربنا فنبذنا ذلك الكتاب ولم نعره اهتمامًا تأسيًا باليهود واشتركنا معهم في المثل السيئ الذي ضربه الله لهم إذ قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥] بالله عليكم أي فارق بينهم وبين من ترك العمل بالقرآن وأضاع حدوده ومزقه تمزيقًا مصحوبًا بعزله عن التشريع وإقصائه عن الحكم وحرم نفسه وأهل الأرض جميعًا من الاهتداء به فلم يبلغ رسالات الله علىٰ (صورته).

أيها المسلمون إن مسئوليتنا في حمل كتاب الله مسئولية عظيمة وإنها والله من الخطورة بمكان كبير تأملوا أيها الأحباب إذا كان الذي يتلو الكتاب لمجرد التلاوة ويعطل أحكامه مثله كالحمار فكيف حال من لا يقرؤه ولا يعيره اهتمامًا بل يراه كتابًا رجعيًّا يعتبره مدعاة للتأخر زاعمًا أنه لا يوافق حال العصر ولا يتمشىٰ معها ويعكف بدلًا عنه علىٰ قراءة كتب الشيوعية والاشتراكية التي هي ينقضها وما تقذف به دور الطبع الحديثة من المصورات الماجنة الخليعة ويعمر دور العهر والسينمات لا من المساجد هل حال هذا شر ممن ضرب الله لهم المثل السيئ أم لا؟ وهل هو بحالته البهيمية إلا كمن قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾ [محمد: ١٢] لقد أثبتت التجارب أن طلب العلوم والفنون مع إهمال النفس عن التربية الدينية المحمدية لا يجدي نفعًا ولا يحل مشكلة بل يتكون منه عالم مادي لا هم له سوىٰ النفعية والصولية بأي وجه كان وعلىٰ أي حساب كان وما هذا التفاخر والتكاثر والانهماك بصنع ما يدحر المدنية إلا من فراغ الضمائر بسبب ابتعادها عن وحي رب العالمين يقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ

تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣٢] التفتوا أيها الأحباب إلىٰ سلفكم الصالح تجدوا أحدهم يحمله بعض سور من القرآن أصلح (ما) أفسده الفرس والروم وفتح القلوب بحفاظه علىٰ الأنفس والأموال والأعراض دون استئثار بشيء أو طمع بلقب أو طمع منصب وانظروا أهل زمانكم وما ضاع ويضيع من مال ويهتك من عرض ويراق من دم وإذا عاتبهم تتبجح بالحرية وخدمة الشعوب إفكًا وتضليلا (أما العرب المسلمون) الذين صلحت ضمائرهم بالقرآن فقد ترفعت أنفسهم عن المادة وظهرت أخلاقهم عن تسخير الشعوب والجناية علىٰ عقولهم واللعب بمقدراتهم لأن القرآن هداهم إلىٰ العدل والرحمة والصدق والإحسان فقضوا بالحق وأطلقوا الفكر حرًا لا تقيده الأوهام المعنوية ولا تستره حجب الأباطيل التي قرف به الصحف والإذاعات في هذا الزمان، (أيها المسلمون) لقد سيطرت الثقافة الاستعمارية علىٰ (أدفعتنا) وجعلتنا بأبعد الأمم من القرآن الذي أنزل علينا في لغتنا فأحدثت فينا عصبية الجنسية التي حرمها الإسلام وشد في منعها بعد أن ضعف الدين والعلم فينا وقد بذل المستعمر جميع وسائله في تركيزها بأذهان الناشئة والرعاع لأنه يرىٰ فيها نقض عهد الله بإتباع الحنيفية ملة إبراهيم وقطع لما أمر الله به أن يوصل من الميثاق الإسلامي الذي يربط العربي بالعجمي والشرقي بالغربي لولا إبعادنا عن القرآن لما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا فالواجب علىٰ كل من يعتز بعروبته أن يجعل منها أكبر حافز علىٰ أخذ القرآن بقوة وحمله بالتبليغ الصحيح العام الشامل كما أمر الله ليكون محققا بعروبته مصدقًا انتسابه لذلك النبي الكريم ومرضيًا لربه الذي أنعم عليه بذلك وليكون مكرمًا لنفسه غير مهين لها ولا يستخف بها فإن لم يحمل القرآن حملًا صحيحًا إلىٰ جميع المعمورة ورضي لعروبته بما رسمه لها أهل الزيغ والضلال فقد سفه

نفسه ودساها بنبذه لرسالات ربه ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ١٠].

وكيف يرتفع من وصفه الله بسبب قصور همته ونقص إيمانه ممن حمل رسالة ربه؟ كيف يرتفع من أبىٰ أن يشرف نفسه بالكتاب الذي شرفه الله به فاختار (الصفة) لنفسه باقتنائه ما رسمه له أعداء الله وأعدائه، إن من جعله الله بهذا المثل السيئ لا ينفعه ما يسري عليه البشر من ألقاب ولا يرتفع برفعة مركزه عن ذلك بل يأخذه الغرور (برفعة) الشأن الخلابة فيتمادىٰ بإعراضه عن القرآن واستهجانه لوحي رب العالمين حتىٰ يهبط إلىٰ مثل أسوأ من ذلك وهو المثل الذي ضربه الله أيضًا لمن أوتي الكتاب وانسلخ منه واستبدله بتقديس الجنس والوطن فجعله الله بهذه النوايا بمثابة الكلب حيث قال جل وعلا: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧] ذلك أن الشيطان له سلطان علىٰ عباد الله المخلصين له قصدًا وعملًا ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠] فأخبرنا الله عمن هذا شأنه لإيلاء الشيطان به واستيلائه عليه تخلىٰ الله عن نصره فلم يرفعه بتلك الآيات التي انسلخ عن العمل بها فقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦] ولكنه لانسلاخه التام عن وحي رب العالمين أخلد إلىٰ الأرض واتبع هواه فكانت رغبته ومنتهىٰ عزيمته في الأرض تقديسًا للجنس والوطن رغبة في المادة وتعلقًا بالأنانية التي هي مصدر عبادة الهدىٰ والغواية ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦] وهذا المثل منطبق علىٰ أهل هذه الصفات من المعرضين عن القرآن إلىٰ أبد الآبدين إذ الواقع المحسوس يشيد بذلك ففي الماضي يقص التاريخ كثيرًا عن هذيان الذين اقتصروا عن إرادة حرث الدنيا وأعرضوا عن كتاب الله وفي الوقت الحاضر تكاد

تصم الآذان من كثرة تهارطهم وصيحاتهم الوحشية في الإذاعات كل يدعو إلىٰ معسكره ويشتم الفريق الآخر وإذا سكت فريق لم يسكت الآخر فهذا المثل الرائع من معجزات القرآن الخالدة إذ جميع الصفات الكلبية الخسيسة موجودة فيمن انسلخ عما جاء به الرسول الأمين من وحي رب العالمين لأنه محروم من الآداب القرآنية الجليلة فالتصقت به خسائر الصفات الكلبية حتىٰ فيما نحبذ تنزيه أقلامنا عن ذكره وبما أنه جرت سنة الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل لأن أصحاب المخالفات إذا تمادوا في غيهم ولم يؤوبوا إلىٰ رشدهم تكون عاقبتهم التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها فإني أربأ بقومي وبني ملتي من التمادي في انحرافهم عن تعاليم القرآن وتحكيمه خشية أن تحيق بهم هذه العاقبة المشينة كما حاقت بغيرهم فيكونوا من أهل هذا المثل السيء الثاني الذي هو أسوأ من الأول وأفظع أجارهم الله منه ووفقهم لانتهاج الخير الذي يكون به مثلًا أعلىٰ قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الروم: ١٠] أيها القراء الكرام لنتفكر جيدًا في موقفنا من القرآن هل هو موقف سلبي فحسب أم أن موقفنا هو موقف المنابذ له؟ فلنحذر أن نكون ممن ابتغىٰ غير الله ربًا أو افترىٰ عليه الكذب فإن الله توعد نبيه وحبيبه محمد ﷺ بمضاعفة عذابه في الدنيا والآخرة إن هو ركن إلىٰ الكفار شيئًا قليلًا في طلبهم منه افتراء شيء غير ما أوحىٰ إليه كيف حال من يركن إليهم شيئًا كثيرًا؟ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥] أي لو ركنت ذلك الركون القليل الذي جال خاطرك

لضاعفنا لك العذاب المعجل في الحياة الدنيا وضاعفنا العذاب الذي يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار.

(فيا أمة القرآن) إن في هذا الوعيد الشديد دليلًا علىٰ أن أدنىٰ مداهنة الكفار وانصياع لتقليدهم محادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه وقد صدق عنه هذا الوعيد بزيادة ركوننا إليهم ومداهنتنا لهم فما هذه الكورات والنكبات المتلاحقة التي حلت وتحل بالمسلمين في كل زمان ومكان إلا من غضب الله علينا بذلك، وتنفيذه وعيده بمضاعفة العذاب في الحياة فمتىٰ نؤوب إلىٰ الله ونعطي القرآن حقه ليرفعنا مما نحن فيه؟ قال صاحب الكشاف (وصلت) المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثوا عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر بأن يستشعر الناظر فيها بالخشية وازدياد التصلب في دين الله) (وأقول)، هذا واجب المؤمن الذي يتلو القرآن حق تلاوته كما أمره الله، ففيه ما يهيئ النفوس ويثير العزائم، ولو طهرت قلوب المسلمين من أمراضها، وأخلصوا دينهم لله لعرفوا قيمتهم وواجبهم أمام القرآن خاصة إذا تلو هاتين الآيتين: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣ - ٤] أليس من المؤسف المبكي أنهم عالة علىٰ غيرهم في كل شيء؟ أليس من المؤسف المبكي أن أغلب أولاد المسلمين في حاجة ملحة إلىٰ لغات الأجانب ولو استمسكوا بكتاب ربهم وحملوه كما أمر الله لطبقت لغتهم ما بين الخافقين ونطق بها جميع أهل الأرض عن حب ورغبة فحققوا عزهم وذكرهم الذي اختاره الله لهم وكان لهم السؤدد والقول الفصل في هذه الحياة بدلًا من حالتهم المعكوسة التي (نالوا) بها ضعف العذاب في الحياة، حقًا إن من لم يرتض القرآن دستورًا بمعنىٰ الكلمة لا بد له من ابتداع

شيء أو اقتداء بشيء من وضع البشر يكون ممن افترىٰ علىٰ الله الكذب وهو يدعي الإسلام وبهذا يكون عرضة لعقوبات الله الشرعية والفردية كما قدمنا: ﴿سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢] لقد أورثنا سوء موقفنا من القرآن الكريم انحطاطًا عامًا في كل شيء وجعل العاطفة تسيطر علينا سيطرة لا تجري إلا علىٰ فاقد التمييز، وجعلتنا كالذي استهوته الشياطين في الأرض ... يتأرجح بين صحيح المبادئ الهدامة فبلغ بنا الانحطاط إلىٰ أن نقلد أعدائنا في الرزائل ونقصر عن إلحاقهم في المخترعات وكسب الأسواق والنفوس حتىٰ صرنا في (مهول) لا يجوز أن يسمىٰ إلا بـ(سقوط النفس)، وهذا من بعض عقوبات الله لمن أعرض عن وحيه وهداه وفي مثل هذا يقول الشاعر:

يا أمة ذاك ماضيها الذي عرفت ... عنه بمجد صريح غير (مؤثقب)
ماذا دهاك فقد أصبحت هاوية ... مهاوي الذي من حسن إلىٰ عطب
ما السر أسوأ من لو سحرت به ... ماذا دهاك فساوىٰ الأسن بالذنب
والسحر ليس له فعل ولاعمل ... يحكي انقلابك من رأس إلىٰ عقب
قذفت بالمجد من مهدت لو ... فيه النجوم غدت فحيمًا بلا لهب
قد انسحبت عليه شر منسحب ... بما اكتسبت إليه شر مكتسب
وبت في نوب للظهر قاصمة ... لم يذكروا منها في سائر النوب
فالجسم في شلل والعقل في خلل ... والقلب في نصب والروح في وصب
والله ليس بظلام فيظلمنا ... ولا يغير من حال بلا سبب

فيا أمة محمد ﷺ عمومًا ولا من تعتز بعروبته خصوصًا غيروا موقفكم من القرآن إلىٰ موقف أحسن يليق بكرامتكم ويصدق انتسابكم إلىٰ هذا النبي واعتزازكم بحقيقتكم ولغتكم الحبيبة لغة القرآن الذي من قصر في حمله فهو مفرط بجميع مقدساته، ولاعن نفسه، متنكرًا لحقيقته متعرض لشكاية الرسول ﷺ إذ يقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] انشلوا أنفسكم من وصمة العار وغضب الجبار الذي أوقعنا شر موقع أمام الصهيونية والشيوعية الساحقة التي شعارها التنكيل والنهب والسحب، ألا تعتبرون بالأحداث الجسام؟ ألا يلهب الخطر في صدوركم إن هؤلاء يتفانون في حمل مخازيهم ويتحملون المشاق لنفث قيحهم وصديدهم وأنتم تتقاعسون عن حمل رسالة النور والهدىٰ؟ أيها القراء الكرام إن من تتبع ما جرىٰ ويجري في بقاع الأرض من إضاعة الأموال وقوام البشرية في أعياد ومراسيم شكلية وتسابق التسلح القاضي علىٰ المدنية وإزهاق الأرواح وإهدار الكرامة وضياع العرض والشرف عرف أن الناس قد دفعوا ثمنًا غاليًا لإضاعة القرآن وخسروا خسرانًا لا يجبره إلا الرجوع إلىٰ وحي رب العالمين، وتصحيح الإيمان من جديد. فعودوا إلىٰ حمل رسالتكم ليحق الله الحق الذي كتبه علىٰ نفسه بقوله جل وعلا: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم: ٤٧] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم: ٦] فإن من استمر في إعراضه ضاعف الله له عذاب الخزي في الحياة الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فصلت: ١٦].

إن التربية الحسنة والأخلاق الفاضلة المتزنة التي يتكون منها الجيل المثالي هي أعظم أمنية من أماني الشعوب التي تحتاج إلىٰ الأمن والراحة من

مختلف الجرائم والشقاء، هذه الأمنية لم تتحقق علىٰ أيدي فلاسفة اليونان أو مفكري اليهود الذين استقصىٰ من مجاريهم النجسة جميع ملاحدة الإسلام من الطابور الخامس كالفارامي وابن سينا (...) الطوسي وابن رشد والكندي والسهروردي وغيرهم مما (انتبه) الثقافة الاستعمارية وأبرزت اسمه في مجال العلم والتربية في هذا الزمان وهي لم تحقق كذلك عن أيدي حكماء الصين الذين عجزوا عن تخليص مجتمعاتهم من عبودية الإمبراطور المتسمىٰ ب(ابن السماء) ووارثيه وعجزوا عن تخليص مجتمعاتهم عن عبادة الهياكل وتقديس الأفلاك والأشخاص والأسر، بل تقيدوا بالرموز والإشارات والتأويل الذي هو تحريف لكلام الله عن مواضعه مما أولع به اليهود وعملاؤهم من (...) التافهة التي تكونت منها فرقة الباطنية والإسماعيلية والقرطمية المتنوعة والجهمية المنبثقة وأذنابها وطغاتها. فلا كتاب (الجمهورية) لأفلاطون ولا كتاب (المدينة الفاضلة) للفارابي ولا كتاب (السياسة والإشارات) لابن سينا ولا كتاب (بعد نوبيا) لتوماس مور، ولا كتاب اليهود (دارون – فرويد ماركس) ومن علىٰ شاكلتهم من تبلورت أدمغتهم بالنظريات المأخوذة. أقول: لا بهؤلاء ولا بكتبهم تحقق ما يحلم به المجتمع المثالي، وإنما تحقق بذلك الهدىٰ والنور الذي أرسل شعاعه القرآن الكريم فأضاء ظلمات القلوب وأنار العقول والأذهان، وانطلق به محمد بن عبد الله المربي الأكبر لشق الطريق ودفع عليه صندوق المؤمنين المتراصة المتلاحمة تحمل مشاعل الخير والحضارة والحق، إن القرآن الكريم هو الذي (علم درس) وخطط وبرمج وكان للبشرية دستورًا وموجهًا وهاديًا، ومحمد ﷺ هو الذي طبق وصدق وألف القلوب حول منهاج تلك المدرسة التربوية الخالدة، لكن أقوامنا مع الأسف انصرفوا

عن نور هذه الحقيقة في تطلعاتهم وتربيتهم ووسائل إعلامهم وراحوا يجرون خلف السم الزعاف الذي دسه لهم أولئك في تصانيف كتبهم وأفكارهم مما أرادوا به ضلال البشرية عامة وتفتيت قوة الخير المسلمة خاصة، راحوا يجرون خلف ابن سينا وفرويد وسلامة موسىٰ وأمثاله ممن جذبهم الدهاء الماسوني، ليساهموا بتمزيق القرآن وتعطيل تربيته الربانية وهدايته التي لا تسمو إليها هداية ولكن مزق الشيوعيون القرآن تمزيقًا معنويًّا يعزله عن الحكم والتشريع، وإقصائه عن دوافع الحياة فإياكم أن تنخدعوا بالشعارات والألقاب بل انظروا إلىٰ المعان واللباب لتكونوا من أول الألباب، فتسلم عقولكم وتعتصموا بحبل الله الذي هو كتابه فتحصلوا علىٰ الوحدة التي أرادها الله لكم ومن لم يعتصم بحبل الله لا بد أن يتخبط في الضلال والشقاق.

إن العابد لله لا يقرأ القرآن لأجل المزيد من المعلومات فقط، ولا لأجل تحصيل الثواب الموعود به عن كل حرف فيشرع في قراءته ويكررها دون تفهم وخشوع، ودون تصميم عن التنفيذ لأوامر الله بكل قوة وتحمس، ولا تكون قراءته بقصد الاستماع والتذوق من بلاغته وشأن المنافقين المتحذلقين من ذوي الابتعاد والشكوك في الماضي والحاضر، بل يقرأ القرآن لأجل أن يتلق كلام رب العالمين كلام الملك العلام مالك الملك المختص بالفصل يوم القيامة، اليوم الذي لا ينجو فيه إلا العاملون بالقرآن.

فعبودية الله تستلزم عبودية الصادق أن يقرأ ذلك الكتاب لقراءة الجندي والموظف الذي يقرأ كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه، وينفذ وصاياه متشرفًا به، إن كان مخلصًا، فعبد الله المخلص له الصادق معه، يتشرف بقراءة كتابه العزيز ووحيه الشافي المفسر له من سنة نبيه ﷺ. ويفرح بها أعظم فرحة، ويتلقاهما

كتلقي الجندي في الميدان لتوصيات رئيسه، معرضًا عما سواها، لا يرفع به رأسًا وبذلك تحصل الطواعية لله ولرسوله، وتنحصر صلة العبد بها، وينفصل عما عداهما انفصالًا كاملًا، عن شعور إيماني عميق، منبثقًا من محبة الله ورسوله ﷺ ومنابذة ما عداهما، فرارًا من الإثم والتزامًا بقواعد المحبة وضوابطها.

وإذا قرأ عباد الله كتاب الله علىٰ هذا النحو وتلقوه بهذه الصورة انفتحت لهم كنوز العلم والمعرفة وتيسر لهم العمل به دون إحساس بأي تكليف، بل يستطيعون العمل لله، ويتلذذون به وينافسون بالتضحية في سبيله، وينساقون إلىٰ الفداء، لأن ذواتهم تكيفت بوحي الله التي انجذبت به قلوبهم وتغلغل في شرايينهم وهناك تتفجر طاقتهم وتصيح ثقافتهم ثقافة محمدية (متركة)، (رصافة) في كل ميدان، إلىٰ كل (صقيع) وواد، لا تقتصر علىٰ ملازم الكتب أو أعمدة الصحف والمجلات ولا تنجرف العقائد إليه والدواليب التي ترك أهلها ذات اليمين وذات الشمال حيث أراد الله من الزحف المقدس، الذي قام به أسلافنا عباد الرحمن والتي لا تزال تسعىٰ في آثاره وبقاياه من الأرض.

هذا نتاج القرآن لمن أقبل عليه بفرح وحب وشرف وشوق، وتعاهده حتىٰ ينغرس في قلبه وينحو في عروقه، ولقد كان السلف لا يتجاوز بضع آيات منه حتىٰ يحفظوها ويتدبروها ويقوموا بواجبها من التنفيذ ولم يكن همهم مقصورًا علىٰ الاستكثار من قراءته كحالنا في هذا العهد لشعورهم بعظم المسئولية من الواجبات والتكاليف حتىٰ حصلت عندهم الملكة بمن تحملها بكاملها ورعايتها حق رعايتها.

فإن هذا القرآن لم يجعله الله كتاب قصة وفن أو أدب وتاريخ إنما جعله

الله ميثاقه العظيم المتين لعباده في الأرض ليكون منهاجًا لسيرهم في جميع الميادين والحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومرجعًا وحيدًا لهم في سائر ما ينوبهم من ذلك، لا يبقىٰ رمزًا في الخيال مجمدًا في الذهن أو محجورًا في مكان أو مقصورًا في شيء دون شيء.

والذين لا يريدون حصره في شيء من ذلك من المثقفين ثقافة عصرية مادية حسب مخطط أعداء الإسلام قد سلكوا أقبح مسالك الشرك في تنقيص الله وبخسهم لحقه وإشراعهم لسلطانه، وتأليه أنفسهم من دونه يجعل الحاكمية لغيره من البشر الذين يريدون أن تكون لهم الخيرة من أمرهم.

أقول عن هؤلاء المتلبسين بأقبح أنواع الشرك وأفظعها أنهم لا يرضون لمواثيقهم وأنظمتهم التي دبروها أن تكون خيالًا في الذهن لا وجود له في الخارج، أو يكون العمل بها مقصورًا علىٰ ناحية دون ناحية، بل ليعتبرون هذا ردة وخيانة، كما لا يجوزون لأحد من الشعوب المدنية بها أن يخرج عن طاعة واضعيها، أو يختار لنفسه منهجًا يلائمه سواها، فيعتبرونه متمردًا أو عميلًا خائنًا ومتآمرًا علىٰ سلامة الوطن أو الدولة إلىٰ غير ذلك من التهم التي يصبون عليه بسببها أنواع العقوبات، فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من الله، إذ جعلوا لأنفسهم ونظرهم الوضيعة كامل الإيمان والسلطة والنفوذ في كل شيء دون الله، ووحيه العزيز الذي يزعمون أنه في الضمير فقط، بالله عليكم أي شيء في الضمير لا يلهب الحماس، ولا يحرك الجوارح؟ هذا خيال لا وجود له.

وهل يقبلون من أحد دعوىٰ وطنية في ضميره، وهو لا يعمل لصالح وطنه ولا ينطق لصالح وطنه، أم هل يقبلون من أحد دعوىٰ إيمانه بالقومية في ضميره،

وهو يسلك المسالك المخالفة لها في عرفهم العصبي؟ أو يقبلون دعوىٰ الإيمان الشيوعية وفروعها من الاشتراكيات في الضمير دون التقيد بخططها ومواثيقها الماركسية؟ إذا كانوا لا يرضون ذلك وطبعًا لا يرضونه، فما قيمة دعواهم أن الدين في الضمير؟ أو أن العبادة تخصصت في المساجد والمعابد، أو أن القرآن جاء بشريعة ودين لعصور قديمة مختلفة أو نحو ذلك من المفتريات الماسونية.

حقًا أن ما في الضمير لا بد أن ينطق به اللسان، وتتحرك به الجوارح والأحاسيس، فإن حل حب الله ورسوله (ضاق) الضمير كان وحي الله من كتاب وسنة غذاء للقلب، ومنفعة للأحاسيس، فانشغل اللسان بوحي الله وذكره، وتحركت الجوارح إلىٰ طاعته، وتنفيذ أوامره، وابتعدت عن موجبات سخطه بدافع وحي روحي لا مثيل له، بحيث أن الإنسان يقدر علىٰ التهرب من النظم الوضيعة، فيخالفها بشتىٰ الوسائل، ولكن الوازع الديني من خشية الله ومراقبته والطمع في ثوابه الجزيل، والخوف من عذابه الأليم المقيم، يجعله لا يستهين بأوامر الله أو يتهرب عن تنفيذها، لما حل في ضميره من الحب والمراقبة، وعلىٰ العكس إذا خلا الضمير من حب الله وتعظيمه، وصل فيه حب غير الله أو تعظيم غير الله والخوف منه، انصرف إليه واستمال إلىٰ ما يقذفه عليه وتحرك إلىٰ ما يريده دون مبالاة بالله، كما هو المشاهد من حال أكثر هذا العصر.

ثم إنا نسأل الذين لا يحصرون الدين في الضمير نقول لهم هل تسمحون للمسلم الصحيح أن ينطق فيما يمليه ضميره، ويتحرك عما يوجهه إليه ضميره المحب لله حقيقة؟ أو تقييده به من كل ناحية علىٰ حسب ما تريدون؟ فأىٰ قيمة لما في ضميره؟ بل أي حرية تتشدقون بها؟

إن المواقف الماركسية والدساتير الوطنية بأي صبغة صبغت لا قيمة لها، إذا

كانت خيالًا في الضمير لا يظهر مفعولها ويبرز وجودها في الخارج ولكن جندت لها جميع القوىٰ الإعلامية والثقافية والعسكرية حتىٰ انطبقت بها الأقمعة وفرضت علىٰ الناس، وأبرز اسمها طواغيت شتىٰ، فرضوا ألوهيتهم ونفوذهم علىٰ البشر بمختلف أنواع التسلط من فكري وعسكري، فما بال الدين يبقىٰ أكذوبة مزعومة في الضمير؟ وما بال المسلمين يظنون متوسلين عطف غيرهم عليهم؟

إن من أعظم الواجب لتصديق حب الله وتحقيق تعظيمه في قلوبهم الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق وتدبر القرآن بكل حب وشغف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] والتعميم عن تنفيذ أوامر الله والزحف برسالاته والسعي لإعلاء كلمته في الأرض أشد مما يسعىٰ غيرهم من أهل المبادئ العصبية، والمذاهب المادية الوثنية، فمن العار أن يغلبهم أولئك، أنهم لا يحققون عبودية الله حتىٰ يرعوا ميثاقه الأعظم، بتنفيذ وصاياه في وحيه وإقامة حكمه، وأن يقوموا لله قومة الصادق المخلص، لا يخشون غيره ولا يرغبون سواه، فكل منهم مطالب بتحقيق شعار المسلمين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وكيف يتحقق هذا الشعار بدون تدبر القرآن والتزام نصوصه وتحكيمه فقط علىٰ نفسه وعلىٰ غيره في كل ورد وصدر؟ لا بد من ذلك، وبتحقيقه يحصل البعث الإسلامي من جديد وتحصل الوقفة الصحيحة أمام كل جاهلية، مهما انصبغت بالأسماء والألقاب، ومهما ادعت لنفسها من العلم الذي ادعاه أسلافنا من الجاهليات، إذ يقابل عباد الله خططهم بما يدفعها ويرغمها

ويزهقهاقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] أما الذي يتبع معهم أويؤول النصوص علىٰ وفق أهوائهم أو اكتشافاتهم أو يضرب بعضها ببعض طالبًا وراغبًا الرأفة في حياة بهيمية يذوب بسببها في بوتقتهم أو يقتصر من كلام الله علىٰ مجرد التلاوة فهذا فيه شعبة أو شعب من النفاق شعر به أو لم يشعر، وبعضهم يكون جاهلًا ناقض الإيمان، وبعضهم فيه مشابهة للذين يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به، أو فيه مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، أي مجرد تلاوة ومنهم من هو سماع للقوم الظالمين، فيه استعداد تام لقبول الكذب.

وجميع أهل هذه الأصناف مذموم عند الله كما هو صريح وحيه، فلا يكون من المحققين لعبادته بالعمل الصحيح لدينه وقد روىٰ مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**». وفي الأثر المعروف الذي رواه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وقد ذكره الطلمنكي حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بقية، حدثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثنا عمارة بن راشد الكناني عن زياد عن معاذ بن جبل قال: يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوىٰ ونية يفليه فلي الرأس، يلتمس أن يجد فيه أمرًا يخرج به علىٰ الناس، أولئك شرار أمتهم، أولئك يعمي الله عليهم سبل الهدىٰ، ورجل يقرأه ليس فيه هوىٰ ونية يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به وما اشتبه عليه وكل إلىٰ الله لتفقهن فيه فقهًا وما فقهه قوم قط حتىٰ ولد أن أحدهم لبث عشرين سنة ليبعثن الله له الآية التي أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه – (قال يفيه)– أشهدني ابن عيينة حديث عتبة هذا.

تربية النفس بالطاعة

تربية النفس بالطاعة

إن ما أمر به الشارع من قول وفعل وعلىٰ الأخص الصلاة فيه مصلحة لجسم الإنسان فضلًا عن المنافع الأخرىٰ والأجور المضاعفة عند الله وما نهىٰ عنه الشرع فيه أضرار في الجسم والقلب زيادة علىٰ أضراره الأخرىٰ في المجتمع فضلًا عما فيه من الإثم والعقوبات، وتخص الحقد والكراهية والحسد والشك واستعمال الأشربة المسكرة والمخدرة بأصنافها المتنوعة حتىٰ المفتر منها، وقد أثبت الطب الحديث بالتشريح والمناظير المكبرة جدًا أن في الجسم مواد كثيرة متنوعة تدفع عنه ما يعرض له من أدواء وجراثيم مثل الكرويات البيضاء التي تتصادم مع الجراثيم الوبائية وتفتتها أو تبتلعها وغيرها من مواد إضافية وتعزيزات كيماوية يحملها الدم فيتحول بعضها من سائل خفيف إلىٰ شبه نسيج من الخيطان يتجمع حول الجرح الحادث ليضيق مساحته ويجعله يلتئم بسرعة وهذا يسمىٰ في عرف الطب الحديث (فبيد نيوجن) إلىٰ غير ذلك مما بثه الله للدفاع الداخلي في جسم الآدمي مما يطرأ عليه ولكن هذه الوسائل الدقيقة العظيمة ومقاومة الأدواء تتأثر جدًا بما يلتبس به الإنسان من حقد ملتهبًا وكراهية متبرمة وحسد وغضب ينشأ عنها، وبتأثرها لا تستطيع مقاومة عوارض الأدواء فيستعمل المرض في البدن حتىٰ قد يعود خطر (...) إلىٰ تلك الأشياء عن المقاومة بسبب هذه المخلوقات، وإن المشروبات التي بها كحول مسكرة أو مخدرة أو مفترة يكون لها أسوأ التأثير في شل حركة مقاومة الأمراض وزيادة علىٰ مما تنقله بها من الأدواء المضرة فإذا تواصل هجوم الأدواء علىٰ البدن مع

انعدام المدافع فيه اشتعل المرض وامتدت جذوره الفتاكة. فالله لم يحرم علىٰ عباده إلا الخبائث التي ينتج عنها الضرر ماديًّا أو معنويًّا وأدبيًّا وروحيا ...، الخبائث التي تضرهم في الدين والدنيا وتسلب صحة الأبدان والقلوب والأرواح العزيزة فهو الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، لا إله إلا هو.

وما أمر به عباده فكله خير ونعمة وشفاء ورحمة ومنفعة مادية وأدبية لأموالهم وأفهامهم ومقوية لأبدانهم وأرواحهم فالتوحيد الذي هو أصل الأصول له تأثير عظيم في ضبط الصحة وحمايتها ومدافعة أكثر ما يطرأ عليها من أمراض لأن سبب الأمراض في الغالب هو في (نفيه) أوامر الله من إسراف بأكل أو شرب، وافتراق معصية تحدث أوجاعًا في القلب أو البدن كالزنا واللواط أو إطلاق النظر إلىٰ ما لا يحل والتولع بعشقه ثم التحسر علىٰ صعوبة تحصيله والهيام سحر من يتأثر به (الفكرة) فيشفىٰ هو والبدن جميعًا ويصاب بعلل شتىٰ قد يكون من بعضها الشلل أو السرطان، وقد تزداد الآلام إذا انضم إلىٰ ذلك صرف المال دون حصول المطلوب، فتزداد الحسرة وتتفاقم الأمراض. أو بما يولع به نفسه من المشروبات المسكرة والمخدرة التي يسترسل (معها) طالبًا الشفاء ببعضها من بعض والتعلل بها بفقدان الإحساس كي ينسىٰ ما يجده من الحسرات لعدم تحصيل مطلوب من مال أو رغبة أو معشوق كما قال شاعر هذا النوع في موقف كهذا:

وكأس شربت علىٰ لذة وأجره تداويت منها به

فإن التوحيد الصحيح الخالص يقوي القلب إلىٰ الخير ويشرح الصدر ويجعل الإنسان متوجهًا إلىٰ الله متصلًا به في جميع أموره منصرفًا إليه بالحب

والتعظيم والخوف والرجاء والإجلال والطاعة والانقياد والتوكل والإنابة ودوام الذكر محبة وخضوعًا فيمتلئ القلب من محبته وتعظيمه حتىٰ لا يكون فيه فراغ لغير حب الله وما نزل من الحق بل يكون الله أحب إليه مما سواه وأجل مما سواه، ولا يرىٰ اللذة والنعيم والسرور إلا بذلك ويكون هذا القلب الذي هو ملك لأعضاء قد استكمل ملوكيته ومعنويته من الحياة والعلم وقوة الجنان ونفاذ البصيرة وكمال الرغبة إلىٰ الله والاعتماد عليه والاستلذاذ بذكره وتلاوة كتابه فيكون القرآن ربيعًا لذلك القلب يرتع في حكمه ومواعظه وتوجهاته أعظم ما يرتع بالتنشيط في الربيع المخصب فيكون شفاء لهمه وغمه ومسليًّا له يستغني به عن سواه فلا يألف إلا الطاعات المزكية لنفسه المرغمة لعدوه من شياطين الجن والإنس ولا يكون فيه هوىٰ مخالفا لما في كتاب ربه فيسلم من الأمراض التي تنشأ غالبًا من الفواحش كما قدمنا ثم يتحصن عنها ويحتمي بطاعة الله فتحقق مقتضيات التوحيد ويتفتح للعبد بأن الخير والسرور واللذة والابتهاج، ويستنير القلب بنور الله الذي يكون له فرقانًا يفرق بين الحق والباطل والصحيح والسقيم فيكون نشيطًا في طاعة الله قويًّا في أمره معظمًا لشعائره غيورًا علىٰ دينه وحرماته مسارعًا لمرضاته مبتعدًا عن المخالفات التي ينشأ منها الإثم والحرج، مجتنبًا معاصيه محاذرًا منها، عالمًا أن الهوىٰ من أكبر أدواء النفوس، ومخالفته من أعظم أدويتها، ولا يسلم من إتباع الهوىٰ ويحظىٰ بمخالفته إلا من استمسك بالعروة الوثقىٰ بسلوك جميع ما يقتضيه توحيد الألوهية والربوبية فكان له القرآن هاديًا والرسول ﷺ قائدًا، فلم يتبع نفسه هواها ولم يستجب لشيء من همسات شياطين الجن والإنس أو نداءاتهم بل يحصر استجابته في كل شيء لدعوة الله وندائه متيقنًا أنه لا يدعوه أو يناديه إلا ما يحييه الحياة المعنوية الطيبة

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤] جازمًا أن الله أقامه في الدنيا مقام جهاد متواصل بجميع أنواع الجهاد جهاد النفس والهدىٰ وجهاد شياطين الجن والإنس الذين يغرونه بالباطل ويروجون إليه زخرف القول ويزينون له ما يخالف وحي مولاه مما (يمرج) قلبه ويفسد حياته، ثم جهاد أعداء الله الذين يقعدون بكل سبيل يرعدون ويصدون عن سبيل الله جهادًا ممتنوعًا متواصلًا يقحمهم به عن الوصول إلىٰ غايتهم الدنيئة التي يخدعون الناس فيها بشتىٰ الأسماء والألقاب جازمًا أن من أقام لنفسه هذا المقام واشغلها في ذلك يحصل علىٰ الحياة الطيبة النافعة في الدارين ويكون من جند الرحمن المنصورين وحزبه المفلحين، وأن من انعكس أمره فلم يستعمل نفسه من طاعة الله والجهاد في سبيله فتح علىٰ نفسه أبواب الشر فغلبه هواه واستهوته الشياطين وانقضت عليه من كل جانب فكسبوا نفسه العزيزة كسبًا رخيصًا وكان من حزب الشيطان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] فهكذا مصير الإنسان في حياته لا محالة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٢] والنفس إن لم يشغلها صاحبها بالحق ويعينها بوحي الرحمن الرحيم شغلته بالباطل وسلكت به خطوات كل شيطان رجيم، فهذا كان لا بد للإنسان من الإيمان بالغيب واستشعار عظمة الله والخوف الشديد من هجوم الموت الذي ما بعده إلا دقة الساعة الكبرىٰ يوم الفزع الأكبر قَالَ تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٥ - ٤١] فالإيمان بالغيب هو مصدر الهداية والرشد

والسعادة لأنه يجعل ضمير الإنسان رقيبًا باطنيًّا يراقبه في كل عمل ويخوفه من كل عقوبات الله العاجلة والآجلة فيكون من ناحية خوف ووجل من سوء المصير التقصير فيرقب الله تمامًا، ومن ناحية أخرىٰ يكون متعلقًا بالله مقدمًا علىٰ طاعته مسارعًا لمرضاته يبذل النفس والنفيس لتنفيذ أوامره في كلماته الحسنىٰ التي تضمنها القرآن فينشغل جسمه وعقله وقلبه بأعمال الخير والهداية من أعمال الشر والغواية، فتتفتح له أبواب الخير والسعادة بالمقاصد الحسنة والأعمال الصالحة وتغلق عن أبواب الشرور باستدامة ذكر الله ومراقبته والاستحياء منه حق الحياء ومواصلة التوبة والاستغفار. قال ثابت بن مرة: (وراحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام، والذنوب للقلب بمنزلة السموم إن لم تهلكه أضعفته والضعيف لا يقوىٰ علىٰ مقاومة العوارض).

قال عبد الباقي المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدهانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

ومن أعظم أمراض القلوب (فتنة الشبهات) التي يقوم بها شياطين الجن والإنس في كل زمان ومكان ليلبسوا علىٰ الناس دينهم ويشككوهم في خالقهم بل في جميع أمور الغيب ويولعونهم بحب الجنس والوطن والمادة، فيحلوا المذاهب المادية والمبادئ القومية الجنسية والوطنية محل الروحانيات التي بها سلامة الصدور وشفاء القلوب ويشغلوهم بالمطربات الشيطانية ولهو الحديث عن ذكر الله وما نزل من الحق لتكون قلوبهم فارغة متألهة للافتتان بالشهوات،

وإذا تسلطت علىٰ المجتمع فتنة الشبهات مع فتنة الشهوات فقد شقي وضل عن سواء السبيل، وهم يهدون بالأولىٰ للأخرىٰ ليحدها الفراغ حول جميع أنواع الحق الذي تقتضيه عبادة الله فيشغلوه بالباطل كل علىٰ حسبه من ذلك الفراغ والعياذ بالله والإنسان لو كان مسلمًا كلما ضعفت في قلبه محبة الله ومراقبته وضعفت فيه الغيرة علىٰ دين الله ومحارمه ومالت نفسه إلىٰ ما تألفها وتشتهيها من ملذات الحياة الدنيا دون مبالاة بحكم الله فيها أو بسوء نتائجها، لأنه بحصول ذلك يندفع إليها اندفاعًا لا شعوريًّا يقضي به وطره ويشغل به فراغه الذي حدث له، فإن حصل علىٰ شيء من التوفيق ينيب به إلىٰ الله لينجبر الصدع الذي نابه من طائف الشيطان وإن لم يحصل له ذلك استمر في طريق الغي والهوىٰ الذي ينسيه الله فيعاقبه الله بأن ينسيه نفسه فيكون منهومًا بإشباع شهواته التي لا تنطفئ وإتباع هواه الذي (لا يقبل) معذرة ولا تسويفًا فيحل في قلبه الجشع والتلهف علىٰ ما يهداه ثم الحسرة والغيظ علىٰ عدم نيله مما يجره إلىٰ تناول مسكر ومخدر يغطي عقله ويريح شعوره المتبلبل، وقد يندفع إلىٰ أنواع المشروبات يقصد بها التقوىٰ عن نهمته ناسيًا أنها استنزاف عاجل يطيح بقوته عن قريب، وقد يشرب القبيح المكروه عنده من أنواع الدخان يتسلىٰ به عن وساوس خاطره ووهج صدره، ويعاود أنواع المعاصي للاستشفاء بها عما قبلها أو عن آثار ما فيها وهكذا. وكل ما حصل ويحصل للناس من التمادي في الإثم والفساد وشرب ما لا يليق لهم شربه إنما هو ناتج من ضعف القيام بعبودية الله وتحقيق محبته وتعظيمه وضعف استقبال القلب لذكر الله وما نزل من الحق، وعدم الفرحة الصحيحة بكتاب الله الذي أنزله شفاء للقلوب وعزًا وفخرًا للنفوس المؤمنة التي تعرف قيمتها بين الأمم ما هيأها الله للخيرية واصطفاها

لحمل الرسالة وأداء الأمانة وإصلاح الأرض بنور الله وتطهيرها من كل كفر وظلم وفسق وفجور. فمن عرف قيمته وقام بواجبه ورعىٰ أمانته حق رعايتها وحمل رسالته الإلهية الثقيلة سمحت نفسه بها وترفع عن الدنيا والسفاسف.

(...)وربأ بنفسه وأهاب بها من النزول إلىٰ مستوىٰ الطعام والتشبه بالبهائم في مثل الشهوات، إذ كيف يتدنىٰ بنفسه إلىٰ فعل ما ينهىٰ الناس عنه واقتراب خيانة الله أو ترك ما يأمر الناس بفعله؟ إذ لا يكون صحيحًا حاملًا رسالة ولا صادقًا مع الله ولا شريفًا في نفسه؛ بل يكون كاذبًا دنيئًا متلاعبًا، ولذا قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣] فالذي يعرف قيمته وما اختاره الله له واصطفاه وخوله وحباه من جميع النعم والكرامات يكون مشغولًا بأمرين عظيمين جدًا:

أحدهما: أن يكون مشغوفًا غاية الشغف بحب من أنعم عليه بنعمة الإيجاد والأحاسيس والقوىٰ وتفضل عليه بسائر نعمه وفضله وجوده وإحسانه الدائم المتواصل، ويكون ذاكرًا له ذكرًا صحيحًا في أعماق قلبه متفكرًا في آياته وآلائه وعظمته وجلاله سابحًا في بحر معرفته والتلذذ بذكر أسمائه الحسنىٰ، والفرح بقراءة كتابه العزيز بحيث يمتلئ قلبه من محبته وتعظيمه والاطمئنان لوعده والابتهاج والسرور بذكره جل وعلا فلا يكون فيه فراغ لغير ذلك تشغله به شياطين الجن والإنس من لهو الحديث والخزعبلات والمجون. فإذا كان قلبه علىٰ ما ذكرنا سعىٰ بالقيام بشكر الله شكرًا عمليًّا وذلك بحسن التصرف في نعمه بأن يستعملها فيما يرضيه لا فيما يسخطه، وأن يكون ممتثلًا لأوامره ومسارعًا في طاعاته مجتنبًا نواهيه حافظًا لحدوده غيورًا علىٰ دينه وحرماته، معظمًا لرسوله مقتديًا به في كل ما يأتي ويذر وأن يقوم بجميع أنواع الجهاد

المستطاعة لقمع المفتري علىٰ الله ورسوله وتوقير دينه وإعلاء كلمته، فهذا هو الشكر الواجب المطلوب فليس الشكر باللسان الذي يشترك فيه كل الناس بأقوالهم لجوفاء.

(ثانيهما): أن ينشغل بحمل رسالته التي اختاره الله لها واصطفاه لحملها مقدرًا ما هيأه الله له من هذه الوظيفة الشريفة فيتشرف بكتاب الله ويفرح به فرحة عظيمة لا يشبهها أي فرحة بأي نيل يناله، لأن القلب السليم يعرف أنه مهما نال من متاع الدنيا وخزائنها فإن إتحاف الله له بالقرآن أعظم فائدة له من ذلك إذ فيه الشفاء والنور لقلبه والصيانة لجوارحه والعز والسؤدد والتفوق علىٰ غيره في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو مصدر عزه وسعادته كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨] فبقوة فرحته وتشرفه بالقرآن ومحبة تنزله جل وعلا واستشعار عظمته يتلوه حق تلاوته بالتدبر الصحيح متيقنًا بهدايته عما سواها ساعيًا في تنفيذ أوامر الله وأحكامه قائمًا حق القيام بحمل هذه الرسالة الشريفة حملًا صحيحًا بتطبيق العمل الذي يكون به أسوة حسنة للناس. أولًا: ثم بالدعوة والتبليغ والدفع به إلىٰ الأمام. ثانيًا: كي لا يسبقه أهل الدعوات الأخرىٰ ويغلبوه لذا عليه أن ينشغل غاية الانشغال بأداء وظيفته الشريفة التي اصطفاه الله لها فلا يكون في قلبه فراغ ولا في أوقاته مجال أبدًا لغير ذلك ومع هذا لا يتبرم ولا يضجر لما يخالطه من المحبة واللذة والغبطة والسرور في ذلك بل يكون علىٰ يقين، أن العز والسؤدد والسعادة الكاملة والحياة الطيبة في الدارين إنما هي بتحقيق طاعة مولاة والقيام بوظيفة مولاه وجندية مولاه وحفظ حدود مولاه راجيًا رحمته

خائفًا من عذابه المتنوع وبانشغال المؤمن بهذين الأمرين ومقتضياتهما في مقتضاه يكون قد طهر قلبه عما سوىٰ الله وملك جوارحه واستعملها في طاعة الله وضبط أوقاته واستفرغها في خدمة وظائف الله بغاية الحب والسرور والتشرف والاغتباط ومن كانت هذه حاله فلا تساوره الهموم والأحزان ولا يعتريه السخط والملل لأنه متنعم بما يفعله معتز متشرف بما يسلكه متوكل علىٰ الله مستعين به راض من محبوبه جل وعلا صابر علىٰ بلائه جازم أنه تربية لنفسه وسبك لضميره أحسن وأحكم من تربية المخلوق للمخلوق الذي يصطفيه في مهمات الدفاع عن مبادئه وكيانه وإذا كان علىٰ هذه الحال فلا يكون أن يلهو باللعب والطرب أو ينشغل بلهو الحديث عن مهماته العظيمة ووظائفه الشريفة ولا أن يأكل أو يشرب ما يضر ببدنه أو يخامر عقله أو يفتر نفسه أو يخدر جسمه من أي شيء من أنواع المسكرات والمخدرات والمفترات (كالقات والشمة والتنباك والحشيشة والمشروبات الأخرىٰ) المسكرة منها أو المنعشة ونحوها بما يتعاطاه المترفون أو الفارغون ومبلبلوا الخواطر الذين لم تطمئن قلوبهم ولم تأنس بذكرالله ولم تنشغل بواجبهم مما ذكرنا آنفًا وكل يعتري النفوس مع تناول هذه الأشياء أو الولوع بعشق المحبوبات لديها ناشئ بسبب ذلك فإن المحب لله مشتغل بمقتضيات محبته ولوازمه مستلذًا بمحبته أعظم من كل لذة تحصل بمحبة أي معشوق في الدنيا وأهل الإيمان بعد تجربة توحيد قلوبهم إلىٰ الله وإقبالهم عليه دون ما سواه يصبحون حنفاء مخلصين له الدين لا يحبون شيئًا إلا في الله ولله ولا يتوكلون إلا عليه ولا يرجون أو يخافون إلا إياه ولا يسألون إلا فيه ولا يوالون أو يعادون إلا فيه ومن أجله فلا يكون للهوىٰ عليهم سبيلًا أو يكون منهم التفات إليه لأنه قد انصرفت عنه إرادة ما سوىٰ الله بإرادته

ومحبة ما سواه بمحبته وحقوق ما سواه بخوفه ورجاء ما سواه برجائه وبذلك حققوا آليتهم لله ومحيط الهوىٰ الذي يتخذ إلهًا من دونه فلم يعتريهم في سائر سلوكهم شيئًا مما يزاحم الألوهية ويفتح للشياطين عليهم مقعدًا أو مجالًا لأنهم قد صدقوا بقلوبهم وجوارحهم بمحاربة الشياطين بسلاح وحي الله وتحصنوا منهم بقربه وبطاعته ومحبته فانتعشت قواهم الروحية والمعنوية بقوة إيمانهم ويقينهم وحبهم لربهم وأنسهم به وانشغالهم الدائم في طاعته واشتداد شوقهم إليه ورضاهم بما يصدر منه لفرط حبهم وحسن مقابلتهم للنعمة والمعروف قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (من غلظ طبعه وكثفت نفسه فهمه هذا والتصديق به فلينظر حال كثير أو كثير) من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من جميل وجمال أو جاه أو مال أو علم وقد شاهد الناس من ذلك عجائب في أنفسهم وفي غيرهم أهـ بتصرف يسير. هو ما بين الخطوط توضيحًا مني.

ولا شك أن ما تتأثر به القلوب والأرواح تنفعل به طبيعة البدن من كل شيء وإذا كان القلب خرابًا من قلة التوحيد والتوكل والتقوىٰ والخشية من الله والتوجه إليه، أو خرابًا من عدم ذلك بالكلية فإنه يكون مقفرًا من روح الله أعزل من ذكره وأسلحة وحيه وصفاته حبه وقربه، ويكون مصروعًا بشيء من أنواع الصرع – صرع الهوىٰ والشياطين – وأكثر الناس صرعىٰ من ذلك لا يفيقون من سكر الهوىٰ الذي بواسطته صرعتهم الأرواح الخبيثة وأسرتهم الشهوات واستعبدتهم، ففيهم الصرع الأعظم الذي لا يفيض صاحبه إلا عند معاينة الموت إن لم يتداركه الله بلطفه وتوفيقه فيشفي بشفاء الوحي ويصحو ويفيق فينيب إلىٰ ربه وحينئذ يعرف حاله وينظر إليه أبناء الدنيا مصروعين حوله يمينًا وشمالًا عدا اختلاف طبقاتهم وشدة إنهاكهم، فمنهم من أطبق به الجنون ومنهم

من يفيض أحيانًا وتصرعه شهواته وأطماعه وأغراضه، فإذا أفاق أبعد الحق أو بعضه فعمل بعمل أهل العقل واليقين وإذا انتابته أغراضه والضرع بها عمل ما يتلفه ويشقيه في الدنيا والآخرة لهذا تجد أهل المخالفات يعملون ما يخالف العقل الصريح والذوق السليم بحيث لو شرع وفرض عليهم وحثهم الوعاظ علىٰ فعله لا يستنكروه وقالوا هذا خرافة – هذا فعل وحشي – فلو أمروا مثلًا بالزنا لقالوا كيف ذلك وجميع بنات آدم أخوات لنا وعلىٰ الأخص المسلمات كيف يكون الإنسان كالحيوان ينزو علىٰ أخته ثم يعقبه الآخر – أين العفة أين الصيانة، أين المروءة؟ ولكن سكر الهوىٰ وصرع الشيطان يدفعان (الشيء علىٰ) الحقيقة فيتعشق الخبيث النجس مقتديًا بالجمل من حيث لا يشعر وكذلك لو فرض عليه شرب أي نوع من أنواع الخمر لقال في حال عقله الصريح كيف أشرب ما يذهب عقلي ويزيل مني غيرة الإنسانية ويلحقني بالبهائم؟ ولو قيل له تناول الحشيشة أو الأفيون الترياق أو لفات وما شاكله من المخدرات والمفترات لا متصف من ذلك وقال كيف أتناول ما يخدر جسمي ويتلوث ويذهب برجولتي وينزلني إلىٰ مستوىٰ البهائم كما لو قيل لذي العقل الصريح والقلب الذي لم يتأثر بأمراض الغفلة والإعراض عن الله إن شرب الدخان معروف عليك من سيجارة إلىٰ حشيشة ونحوها ويقال الله أكبر كيف أصنع والدخان في صدري؟ كيف أدخله إلىٰ أعماق بدني؟ هذه ليست لشريعة حكيم مفكرًا هذا عمل وحشي وتشريع (فاعل) جاهل كيف أنفق الدراهم في شراء هذه الأشياء التي تضر بصحتي وتجعل نفسي رهينة لها أسيرة لتناولها هذا سفه وخبال، لأي شيء أعشقه وأدفع به عزير حالي وثمرة كدي وكدحي؟ هل أعشقه وأرغب فيه لطيب ريحه أو لحسن طعمه أو الالتذاذ بمنظره أو التقوي

بتناوله؟ كل هذا مفقود وعكسه موجود الخمر طعمها مر وريحها عفن نتن، والأشياء المخدرة الأخرىٰ كذلك في سوء المنظر والمخبر والريح والطعم والفتر علىٰ الفعل والروح والبدن والخسارة في المال، وكذلك الدخان بسائر أنواعه لا ريح منه إلا خراب الأسنان وكثرة السعال وخبث الريح وضعف البدن والقوىٰ وإضاعة المال وإيذاء من يكرهه من الإخوان بإفساد الجو اللطيف عليهم ومن يؤذ إخوانه فلا خير فيه هكذا منطق العقل الصريح المستقيم والذوق السليم اللذين يناديان علىٰ كل خصلة حرمها الشارع بقبحها في الباطل وسوء عواقبها ونتائجها في المستقبل من غش وخداع وطفيف ونصب وتلصص واغتيال وفحش وشتم وغير ذلك، لأن الجرائم ليست فطرية تولد مع الإنسان وإنما هي عوارض وقتية تسنح لمرتكبها فيرتكبها لحاجة يضغط عليه أو تأثير بيئة أو سوء توجيه، أما الذي يولد مع الإنسان فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها من الخيارة والعدالة والاتجاه إليه سبحانه ثم ما يهبه الله بها من شريعته المزكية للنفوس المنورة للقلوب، مما يبعثه من رسل وينزله من كتب، فإذا غلبت الناس نفوسهم بما ذكرنا واجتذبتهم الشياطين فسدت فطرتهم ومرجت عقولهم فانحرفوا إلىٰ الأعمال والسجايا والتقاليد التي لا ترضاها العقول السليمة والفطرية المتجهة إلىٰ فاطرها القائمة بشكره وذكره، فإذا سلموا من ذلك كان الحكم للعقل الصريح مؤيدًا وجاءت به الشريعة ثم تتشرف العقول والأرواح بتقبل شريعة الله يحصل لها الكمال المطلق الصحيح الذي تزكىٰ به النفوس ويحصل به الفرقان من يفوز هداية الله ومدده وتوفيقه فتبعد الحقائق عن ما هي عليه لأنها تكون علىٰ بينة من ربها بهدايته لها إلىٰ الصراط المستقيم وإنذارها بالعلم والحكمة، فتندفع إلىٰ الطاعات وتنزجر عن المحظورات علىٰ

بصيرة وعلىٰ حب وتعظيم لله وخوف كامل ومراقبة صحيحة فتنجوا تلك العقول من الصرع الحسي والمعنوي، وتتحرر من رق الهوىٰ والشهوات وعبودية الأشخاص والمذاهب المادية فحيا هؤلاء الحياة الطبيعية التي لا يتعاطون فيها ما يضرهم في دينهم ودنياهم (زد علىٰ هنا) ما يربحون من أتباع الشريعة والتأدب بآدابها والتزام فرائض الله وحفظ حدوده مما يضمن لهم السعادة في الدارين وقد قدمنا إلىٰ جميع أمر الله من قول وفعل من سائر العبادات فيه مصلحة ابن آدم وعقله وروحه فضلًا عن مزيد الثواب ورفعة الدرجات وما يكسبونه في الدنيا من السؤدد والنصر والعزة والسلطان.

إشغال جميع الجوارح
والأحاسيس بالطاعة

إشغال جميع الجوارح والأحاسيس بالطاعة

إن عبودية الله تقتضي إشغال جميع الجوارح والأحاسيس في طاعة الله وامتثال أمره لينحصر الالتجاء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل ما ركبه في جسم الإنسان كما تقتضي كفها وصيانتها عن الانشغال بما لا يرضي الله من محرم ومكروه، وعن الانهماك في المباحات المشغلة عن الواجب والمندوب، خوفًا من تراكم الغفلة المفضية إلىٰ شرط وإنما يأخذ منها بقدر الحاجة مع شديد الحذر وحسن النية ليكتبها الله له عبادة بصلاح نيته، والله غفور شكور فيتعبد الله بجارحة السمع بالإنصات لما يجب له من العلم الواجب عليه معرفته من أصل الدين وفروعه مما يجب اعتقاده أو يجب فعله في سائر أركان الإسلام، وشعب الإيمان، ومما يجب حفظه من وحي الله لإقامة هذه الشعائر، كما يتعبد الله باستماع المندوب سماعه من القرآن والذكر وسائر العلم النافع الخالي من شوائب الإلحاد والزندقة ويتعبد الله بترك ما يحرم استماعه من كلام أهل الكفر والبدع والإلحاد والنفاق إلا لمصلحة الدين مما يقصد به، مقارعتهم بالحجة ... شبههم والشهادة عليهم وترك استماع لهو الحديث المتنوع الذي تقذف به اليهودية العالمية علىٰ أيدي عملائها وهي أجهزة الإعلام من المعازف والخطابات والأقاصيص الماجنة فلا يتعمد استماع سار أدوات اللهو والغناء والتشبب بالمحرم، وإذا ابتلي به فليصرف ذهنه عنه وليشغله بذكر الله وما نزل من الحق حتىٰ لا يدخل مسامعه وكذلك لا يستمع إلىٰ حديث شخص أو أشخاص وهم له كارهون ولا إلىٰ صوت النساء الأجنبيات حين خشية الفتنة أو

حصول التلذذ كما يتعبد الله بترك سماع كل مكروه في الشريعة ويتعبد الله بحفظ بصره عن النظر إلىٰ ما حرم الله من النساء والمردان دون حاجة مبيحة كأخذ تقرير أو شهادة أو طب أو خطبة بالتشريع في النظر الواجب كالنظر في المصحف، وكتب العلم الواجب معرفتها والنظر لتمييز الحلال من الحرام، في الأعيان التي يريد أكلها أو الاستمتاع بها وأعيان الإصابات الواجب أداؤها لأربابها والنظر في أنواع الأسلحة والأجهزة التي يريد استعمالها في الجهاد الصحيح. فإن النظر إليها واجب للتأكد من صلاحيتها، كما يتعبد إليه بالنظر المندوب، كالنظر في الكتب الدينية والأدبية الصحيحة حتىٰ تفيده علمًا وأدبًا رفيعًا وتزيد في إيمانه وعقله، والنظر في المصحف وإلىٰ الكعبة، وإلىٰ آيات الله الكونية الموطدة لإيمانه ويقينه؛ بل قد يكون هذا من النظر الواجب ويكف بصره عن النظر إلىٰ ما حرمه الله من العورات التي وراء الثياب أو وراء الأبواب بلا سبب مبيح، وعن ما كرهه الله من فضول النظر أو المغريات التي قد تجذبه لما هو خطر، أو تجعله يزدري ما هو فيه من النعمة ويتعبد الله بالتذوق الواجب كتذوق ما يحتاج لسد رمقه وإقامة صلبه من مطعوم ومشروب حلال أو حرام عند الاضطرار إليه، ما يعينه علىٰ تحصيله وأكل ما يعينه علىٰ طاعة الله، ويقوي بدنه للغضب في الله والدفاع عن حدوده من المطعوم المباح، فإنه مندوب يتعبد الله به كما يتعبد الله في ذوقه بترك ما حرم الله من مأكول أو مشروب، وما كرهه كالمتشابهات، وما زاد علىٰ الري والشبع وطعام المرائين والمتبارين، أي المتراهنين ونحوه مما فيه تهمة وإخلال بالمروءة.

ويتعبد الله بالشم، فتشم ما يجب شمه للتمييز بين الحلال والحرام والطيب والخبيث، من الأعيان للتوقي من حرمتها، أو ضررها وشم ما يترتب

علىٰ شمه تقرير ملك أو حكم، ويشم ما يندب شمه مما يقوي علىٰ الطاعة ويقوي الحواس ويشرح الصدر بالعلم والعمل الشرعيين، كما يتعبد الله بترك ما يحرم شمه كالطيب المغصوب أو طيب النساء الأجنبيات، أو الطيب في الإحرام أو تعمد شم الروائح الخبيثة السيئة في التأثير علىٰ النفس وترك ما يكره شمه كطيب الظلمة وأصحاب الشهوات.

ويتعبد الله باللمس فيلمس ما يحتاج إليه للتمييز بين الحلال والحرام ما يجب عليه لمسه للإعفاف والإحصان وما يحتاجه من ثوب أو بقعة للصلاة لتستبين صلاحيته الشرعية، وما يستحب لمسه في هذا السبيل أيضًا كما يتعبد بترك ما حرمه الله من النساء الأجنبيات والمردان، من سائر الأعيان المحرمة مما يغري لمسه علىٰ تناوله وترك اللمس المكروه، كلمس ما حرمه الله حال الصيام أو الإحرام أو الاعتكاف ونحوه.

ويتعبد الله تعبدًا صحيحًا بجارحة اللسان وذلك بإشغاله دائمًا بذكر الله وما والاه من الكلم الطيب وقراءة القرآن وكتب الحديث والتفسير للقرآن والشروح للسنة المطهرة وما استنبط من فهمها وسائر الكتب المعولة عليها والمؤلفة في خدمتها كما يحصل به زيادة فهمها من فنون العلم مجتنبًا كل ما يصده أو يبعده أو يشغله عنها أو يزهده فيها، مبغضًا لذلك بغضًا تامًا كما يكون مجتنبًا ومبغضًا ومنابذًا ومعاديًا لكل ما ينافقها من كل فن وكتاب فلا يقرؤه ولا يضيع فيه ثانية من دقائق عمره النفيس، إلا لحاجة الرد عليه ودفع شبهات أهله ممن هو قادر علىٰ ذلك، لتسلحه بوحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويكون أيضًا حافظًا للسانه من فضول الكلام، ومبتعدًا عن قول الزور، واللدد في الخصومة، واللمز والاغتياب ونحو مما يهو بصاحبه في النار سبعين خريفًا، أو يكبه في النار علىٰ وجهه كما حذر منه النبي ﷺ، وينشغل عن ذلك بالكلم الطيب من الذكر والأمر بالمعروف والحض علىٰ الخير والصدقات والإصلاح بين الناس، وتأليف قلوبهم، وجمعهم علىٰ الطاعة ونحو ذلك مما يجعله قائمًا بعبودية الله بضبط لسانه غاية الإمكان متوقيًا من آفاته.

ويكون بليغًا جريئًا حديد اللسان في مقاومة أهل الباطل ومناظرتهم ودفع باطلهم بحجة البيان ليكون مجاهدًا لله تعالىٰ في هذه الجارحة شاكرًا له علىٰ إنعامه بها شكرًا حقيقيًّا، مستعينًا بها علىٰ نيل رضاه، الذي هو غاية أماني المسلمين المؤمنين، فإن بطش اللسان قد يكون أعظم أثرًا وأكبر فائدة من بطش اليد، كما قال النبي ﷺ في شعر حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام**».

ثم يكون من جهة أخرىٰ مسخرًا للسانه بالدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة وبحكمة وحسن بيان جذاب يعرض به الإسلام عرضًا ملائمًا لكل بيئة ليحقق شكر الله علىٰ نعمة اللسان ويكون من ورثة المصطفىٰ ﷺ، الداعين بدعوته، فينال حظًا من رفعة الذكر، والصلوات المباركة والوعد الحسن من الله في الدنيا والآخرة ويكون من الصادقين مع الله ولا يخرس لسانه عن النطق الحق.

ويتعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بجارحة اليدين والرجلين، فلا يبطش بيده إلا لله وفي الله، حسب مرضاة الله، فيعمل بيديه وفق مرضاة الله ما يعينه علىٰ رسالته والتقوىٰ علىٰ عبادته من الكد والكدح في الحلال واكتساب المال من طرقه

المشروعة، وتكسب بها ما يعينه علىٰ الواجبات من الإنفاق الواجب، وأداء الدين الواجب واكتساب ما لا يحصل له أداء أركان دَيْنِه إلا به، باذلًا جهده في صيانة وجهه عن السؤال، أو التقصير بالمفروض نفقه واجبه ونحوها.

كما يبطش بها في الجهاد لإعلاء كلمة الله، وقمع المفتري عليه، وتوسيع رقعة الإسلام وردع من حاول الصد عن سبيل الله بأي طريقة ويبطش بهما بإقامة حدود الله، وتأديب من يستحق التأديب حسب أصول الشريعة بحيث لا تأخذه الرأفة في التهاون بها أو إسقاطها بل يعتبر بالرحمة في إجزائها وإقامتها كما أمر الله بها ويبطش بهما أيضًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إذا استلزم الإنكار ذلك، ويستعملها فيما يستحب إشغالها به من الإحسان للمسلمين، والقيام بمصالحهم أخذًا وردًا، وإعانة محترف وتعليم صانع، أو إصلاح آله فاسدة أو تحريكها أو عمل لأخرق، أو إعانة حامل أو رفع منه، أو إعانة علىٰ سقي أو إمساك دابة، وغير ذلك من المعونات المستحبة أو الواجبة وكذلك كتابة ما يحتاجه المسلمون في معاملتهم وضبط شهاداتهم ونحو ذلك ويكون مجتنبًا كل بطش حرام، ومبغضًا له كما يبغضه الله ويحرمه، فلا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يعتدي عليها أبدًا لأي حظ من حظوظ نفسه، أو رغبة من رغباتها، ولا يضرب من لا يحل له ضربه، ولا يطمع بمال معصوم بأي وسيلة من وسائل الاستلاب، ولا يُشغل يديه في الألعاب المحرمة من أنواع الميسر ونحوها، مما هو شبيه بالنرد والشطرنج، أو خلفا عنهما، ولا بالمكروه من الألعاب إلا ما يصلح منها بالتدريب علىٰ الجهاد وتقوية الأعصاب بنية صادقة لذلك. ولا يكتب بيديه ما لا تجوز كتابته من البدع والخرافات ونظريات الملاحدة والزنادقة والشعر المحرم المشتمل علىٰ الأوصاف المثيرة

للغرائز أو مدح الخمر والإغراء بأي محرم كما لا يكتسب باطلًا أو أحكاما جائرة أو شهادات مزورة أو سبابا أو وشاية أو كل ما فيه ضرر علىٰ المسلمين وخدمة لأعدائهم، سواء في السلم أو الحرب، فلا تمتد يداه إلىٰ شيء من ذلك ولا إلىٰ رشوة ولو بطريق هدية لأن الهدايا إلىٰ العمال والمسئولين في الدولة غلول كما حذر منه النبي ﷺ في حادثة ابن اللتبية بل يطهرها من جميع ذلك ليحقق عبودية الله بهما ويكون شاكرًا لله علىٰ إنعامه بهما باستعمالهما فيما يرضيه.

ويلاحظ التزام عبودية الله في رجليه جاعلًا مشيه بهما في طاعته ومرضاته فيسعىٰ بهما إلىٰ إقامة الصلاة في الجُمَعِ والجماعات وإلىٰ بذل الزكاة والحج والطواف وإقامة المناسك وتعظيم شعائر الله والتكسب للقيام بالواجب والسعي في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلىٰ البطش الواجب والمندوب وإلىٰ الإصلاح بين الناس وصلة الأقارب وبر الوالدين وزيارة الإخوان في الله من الأحباب في الدين وعيادة المريض وتشييع الجنازة والمشي إلىٰ مجالس العلم والذكر وكل ما فيه تنفيذ لأمر الله ويسعىٰ بهما لاكتساب المال من طرقه المشروعة واستثمار خيرات الأرض بنية صالحة لله لتكون جميع حركات رجليه عبادة لله فيكون شاكرًا نعمته عليه بهما فلا يمتطي بهما مركوب إلا لغرض من هذه الأغراض وبنية حسنة ويراقب الله فيهما، فيكفهما عن المشي أو السفر لما لا يرضيه فضلًا عما يغضبه من السعي إلىٰ معاصيه، فإن الرِّجْلَ الساعية إلىٰ المعاصي هي رجْل الشيطان وكل ما يمتطيه الرَّجُلَ إلىٰ معصية الله فهو من ركب الشيطان كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴿٦٤﴾﴾ الآية (الإسراء).

كما أن كل مأكول ومشروب محرم أو تكسب لا يقصد به وجه الله، وكل ذرية لا يوجهها ولاة أمرها إلىٰ الله بالتربية والتعليم الشرعيين فهو من شَرَك الشيطان وكل هدف إلىٰ ما سوىٰ الله فهو من أمانيِّ الشيطان وغروره كما قال تعالىٰ في ختام هذه الآية: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

فالراكب في معصية الله كالماشي فيها وهو من جند الشيطان والغازي والمحارب لأغراضه وأهدافه ومبادئه الوطنية أو مذاهبه المادية ونحوها مما لا يقصد به وجه الله وإعلاء كلمته، ويكون من جند الشيطان وحزبه سواء أكان غالبًا أو مغلوبًا لأن له سوء العقبىٰ وشر المنقلب لا سيما إذا كان مسلمًا في الظاهر لأنه بسلوكه هذا قد حرم نفسه من نصرة الله ومدده الذي لا يغلبه غالب.

وهذا هو السر في تأخير المسلمين أو المحسوبين علىٰ الإسلام، فهزائمهم المتلاحقة أمام اليهود وأعوانهم من الوثنيين سببها انخراطهم في جندية الشيطان بسوء أهوائهم في الحب والبغض والولاء والمعاداة واتباعهم الشهوات والسير بالأنانية المختلفة التي جعلتهم لم يخلصوا النية ولم يصلحوا العمل لله فكان المعيار عندهم ماديًّا بحتًا وإذا كان كذلك فعدوهم أكثر عددًا وأقوىٰ عدة مادية فيكون له الرجحان لانعدام القوىٰ الروحية الغالبة بإذن الله حيث تربوا علىٰ الأفكار الماسونية اليهودية التي جعلتهم يسيرون وفق أغراضهم لا وفق أمر الله ويقاتلون في سبيل أهوائهم وحدود أوطانهم لا في سبيل الله وإعلاء كلمته وإقامة حدوده بل لم ينالوا بما انتقصه أعداء الله من أراضي المسلمين وحدود الإسلام ولا بما أجراه أعداء الله لمنع المسلمين في جزيرة (قبرص) والحبشة وغيرهما مما هو تحت وطأة روسيا والصين وإنما هدفهم مقصور علىٰ ما يسمونه

بالوطن العربي وعلىٰ الأخص المستقبل للمذهب الماركسي الشيوعي بل ظاهروا أعداء المسلمين وقد قلت في منظومتي عقب كارثة صفر ١٣٨٧هـ (حزيران ١٩٦٧م).

فلم يتقابل مع يهود سوىٰ الذي ... تربىٰ علىٰ أفكارهما لا علىٰ الذكر
ولم ينهزم منها سوىٰ متفرنج ... وفرخ شيوعي ومختلط الأمر
لقد خانهم أسيادهم قوم ماركس ... كما نكص الشيطان عن مشركي بدر

فالذين تربوا علىٰ الذكر الحكيم لم ينهزموا أمام اليهود وأعوانهم في كل زمان وفي الوقت الذي يتربىٰ فيه العرب علىٰ القرآن فحط اليهود أمامهم الذلة ولكن حاربهم الذين استووا في جندية الشيطان مع عدوهم فكانت الغلبة للقوىٰ المادية والمكر السياسي أو الحربي ولو أخلصوا نيتهم لله وأصلحوا أعمالهم لوجهه الكريم وحقدوا اتجاههم إليه ووحدوا هدفهم لإعلاء كلمته لبارك في جمعهم وسدد خطاهم وثبتهم وصوَّب رميتهم وأمدهم بالريح والملائكة وبجنود لا يعلمها إلا هو ونصرهم بما يقذفه من الرعب الشديد في قلوب أعدائهم وإحباطه لخططهم وشله لحركة مصنوعاتهم أو إفساد مفعول قذائفها كما أفسد مفعول النار المتأججة علىٰ إبراهيم إمام الحنفاء عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فهو يمكر للمؤمنين مكرًا يحبط به مكر الكافرين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠] وما أقل من ينتبه إلىٰ هذا السر في هزائم المحسوبين علىٰ الإسلام إلا وهو التقاؤهم مع أعدائهم في جندية الشيطان لأن أدمغتهم قد تخبطت وفسدت حتىٰ تبلورت بالغزو الفكري من أعدائهم ذلك الغزو الثقافي الماسوني الذي أبعدهم عن القرآن وأزاحهم عن

العقيدة الحنيفية الأصيلة وأبعدهم عن الأخلاق والشمائل المحمدية وجعلهم يتعشقون الأخلاق والنظم الغربية والشيوعية مما هو من أوضاع اليهود وكيف ينتصرون عليهم؟ ولا شك أن شياطين الإنس المبتعدين عن أمر الله وإقامة ركنه وتحقيق عبوديته إذا تصارعوا فيما بينهم صراعًا كلاميًّا أو حربيًّا كان النصر لمن هو أكثر تهويشًا في الكلام أو أقوىٰ عدة مادية وأعمق فكرًا وأكثر انصارًا من جيش الشياطين فجند الشيطان فيما بينهم يكون بانتصار بعضهم علىٰ بعض بهذا الاعتبار كما حصل في حرب اليهود مع خصومهم من الماديين المتشيطنين وإن ادعوا ما ادعوا وكما حصل فيما يشبه حربهم من قبل في كل العصور والطوائف وما سيحصل من بعد. وأما إذا تقابل جند الشيطان مع جند الله الصادقين بأعمالهم ومقاصدهم مع الله فحظهم الخيبة والخزي والهزيمة أمام حزب الله كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٢ – ١٧٣] ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦] ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨] ومهما كثر أعوانهم من فئات الشياطين فالله خاذلهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩] ومن عطل الله عن أمره وشرعه وحكمه ونصب نفسه مكان الله في التشريع بشئون الحياة فقد حرم نفسه من هذا النصر وكان صرعىٰ الشياطين وليحاذر من استعمال نعمة الرجلين في المشي إلىٰ مجالس اللهو أو اللعب المحرم والمكروه وسائر هو من هوىٰ النفس حتىٰ لا يكون من رجل الشيطان السائر في مطلبه ولا يخفىٰ أن المحرك لهذه الجوارح والقوىٰ والأحاسيس هو القلب فهو ملكها ومسيرها حتمًا فبصلاحه تكون حركاتها إلىٰ الخير والصلاح وبفساده ينعكس الأمر كما قال ﷺ: «إلا

وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فرحىٰ العبودية تدور علىٰ القلب وهو قطبها ولكنه لا تصير جوارح الإنسان وقواه وأحاسيسه إلىٰ الله إلا إذا كان سليمًا مما سواه لأن القلب السليم هو الذي يتلقىٰ حكم الله الشرعي الديني بالمسالمة والانقياد المحض والتسليم بلا منازع فلا يعارضه بذوق أو سياسة أو قياس أبدًا بل بالإذعان والقبول دون حلول شبهة تعارض شريعة الله أو شهوة تعارض أمره وتحول دون تنفيذه فهذا القلب السليم من الشهوات والشبهات هو الملك المسير للإنسان تسييرًا روحانيًّا ربانيًّا لا شيطانيًّا وهو الذي يتكون من أفراده عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سبيلا فلا يكسب الشيطان منهم راجلًا ولا راكبًا بل هم الذين يهزون أصل الأرض ويصعقون اليهودية العالمية مع كل مكان كما حصل ذلك من المتتلمذين علىٰ المدارس المحمدية الحنيفية لا علىٰ المدارس المعولة علىٰ الخطط والمفاهيم الماسونية مما هم كسب لليهود وثمرة لعيونهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ إن الصادق بضراعته إلىٰ الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ يعتني غاية الاعتناء بسلامة قلبه وذهنه.

١- بتصفيته مما يرد عليه من الهمسات والخواطر التي تفتنه بشبهة أو تشغله بشهوة.

٢- وتصفيته مما يقذف عليه من الآراء والنظريات.

٣- ومن فساد المقاصد وهي ما يكون لغير الله من كل غرض وشهوة.

٤- وتصفيته من مثبطات الهمم.

٥- ومن التعلق بغير الله أو إيثار شيء علىٰ مراده ولو أقرب قريب أو أنفس نفيس في الدنيا.

٦- وتصفيته من استعذاب شيء فوق استعذاب عبادة الله بأي أنواعها أو علىٰ عذوبة كلامه وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

٧- ومن التعلق بجمال شيء ينسيه جمال الله ولذة قربه بل إذا أعجبه جمال شيء ذكر جمال الله الذي جمع ما في الأكوان من جمال فهو أثر من آثار جماله وكلما استمتع بمحبوب أو استلذ بشهوة زادت محبته لله الذي وهبها وزاد تعلق قلبه بعبادته وحسن مراقبته.

٨- وتصفيته من إجلال غير الله والخوف من غير الله أو رجائه أو قصر محبته عليه أو تفضيلها علىٰ حبه.

وذلك أن القلب وعاء كسائر الأوعية وكل وعاء لا يكون فيه صلاحية لوضع شيء حتىٰ يفرغ من ضده ونقضي كما هي القاعدة الفعلية أن قبول المحل لما يوضع فيه شروط بتخليه وتنقيته من ضده.

فالإناء الذي فيه الملح لا يصلح لوضع السكر أبدًا حتىٰ يفرغ من الملح وينقىٰ تنقية ملائمة لوضع السكر وهكذا فالقلوب شأنها أعظم من ذلك ولا تصح لقرار حب الله وإجلاله وتعظيمه والخوف منه ويريه ما جاء عنه ونحو ذلك من مقتضيات الدين والعبودية حتىٰ تفرغ وتصفو من حب غير الله وتعظيم غير الله والخوف من غير الله أو رجائه وتصفوا من محبة لهو الحديث والتعلق بالأنانية والشهوات وتصفوا من العلوم المادية والنظرات الإلحادية وهناك تكون فيها القابلية الصحيحة.

فإن القلب إذا صفت مقاصده لله وصفت معلوماته مما سواه وانحسر بوحيه العزيز وانشغل بذكر أسمائه الحسنىٰ متدبرًا معانيها ومشتقاتها ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها، صفت موارده لخلوص مقاصده فصار سليمًا وفي حصن حصين من غزو أعدائه شياطين الإنس والجن الفكري ومن همزاتهم فيثمر له صفاء علمه ومتعلقاته حسن السلوك الذي يسير الأعضاء والأحاسيس حب مرضاة الله كما أسلفنا في الوجه الذي قبل هذا.

والضراعة إلىٰ الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لا تكون صادقة نافذة المفعول لمن قالها إلا إذا صدرت من مسلم مؤمن قلبه متفتح نحو الله يشهد نعم الله عليه من قبل وجوده إلىٰ فقده تلك النعم التي لا يقوم بشكرها ولا يقابلها أي عبادة فيشهد نعمة الله عليه بذكره له في الملأ الأعلىٰ قبل أن كان شيئًا مذكورًا حيث قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وذكره أيضًا إياه دون شيء من مخلوقاته وذلك بتقرير رزقه وأجله وعمله.

فهذان ذكران عظيم شكرهما وحقهما ثم يشهد نعمة الله بتقدير خلقه في أحسن صوره وإمداده بالسمع والبصر والفؤاد وسائر الجوارح والأحاسيس والقوىٰ وإسباغ نعمه العظيمة عليه فلا يغفل عن ذكره أو ينشغل بسواه بل يشكره كل نعمه له شكرًا عمليًّا باستعمالها في طاعته والسعي في مرضاته وعدم الغفلة عنه فكلما ذكر نعمة الإيجاد ذكر الله الموجد له والذاكر له بها ذكرًا صحيحًا ذكر المحب لحبيبه علىٰ حبيبه وضرع إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ضراعة المخلص الصادق المصمم علىٰ معاملة الله بمقتضاها والاتجاه إليه قولًا وعملًا وقصدًا.

ويستحضر دائمًا نعمة الله عليه في تقدير رزقه والفسحة في أجله، فيقدر ذكرالله له بها، ويذكره ذكر المحب لحبيبه، المتفضل عليه فيصدق في تجديد ضراعته إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ محصصا عزمه علىٰ معاملة الله بمقتضاها، والاتجاه إليه بمدلولها، قولًا وعملًا وقصدًا، ويستحضر دائمًا نعمة السمع والبصر والفؤاد، والشم والذوق والنطق والبطش والمشي وسائر الحركات التي ذكرها الله بكل شيء منها، فأكره وأنعم عليه بها، فيذكر الله ذكر المحب لحبيبه، كلما استمتع بشيء منها وانتفع.

ويجدد الضراعة الصادقة الخالصة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ عازمًا عزمًا أكيدًا علىٰ تنفيذ مقتضياتها بكل قوة وتصميم، ذاكرًا للنعمة الكبرىٰ التي يعدلها كل نعمة، ولا تقوم الدنيا كلها ثمنًا لها. فيزيد حبه لله وتعظيمه له، وذكره إياه ذكرًا صحيحًا نافعًا مؤثرًا، ويزداد حبه لرسوله عليه الصلاة والسلام، والذي جرت هذه النعمة الكبرىٰ علىٰ يديه، وهذا الإنقاذ الحيوي علىٰ يديه.

هذه النعمة التي رفعته عن مستوىٰ البهائم الخسيسة، وأخرجته من الظلمات إلىٰ النور وحررته من رق العبودية، والخضوع لغير الله هذه النعمة التي لولا إكرام الله له بها لكانت البهائم حالًا ومالًا، ويقوم بشكر الله عليها شكرًا عليها عمليًّا يجعله يعض عليها بالنواجذ ويكون قوي الشكيمة في حفظها والاستمساك بها والدفاع عنها بصولة ليث غاضب، وبذل النفس والنفيس دونها، وصدق العزيمة في تأدية أركانها وواجباتها وشعبها ومندوباتها والأخذ برخصها وعزائمها والصرامة في تنفيذ متطلباتها لحدودها ومعاداة من ينقضها ومحاربة من يعاديها بكل صورة ولو كان صاحب هذه الصفات أقرب قريب أو حبيب بل يعتبر البر والرحمة في عقوبته والغلظة عليه.

وشعاره في كل شيء من ذلك بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ معتقدًا أن محبته لله محفوفة جل وعلا محبة سابقة هيج بها قلبه إليه وشوقه ومحبة لاحقة علىٰ حسن النية وصلاح العمل الذي دفعه إليه ومعتقدًا أيضًا أن ذكره لله محفوف بذكرين منه جل وعلا ذكر التوفيق له إليه أولًا وذكر الإثابة ثانيًا.

والفضل كله له في البدء والمنتهىٰ وبذلك يسلم من العجب والكبر والإدلاء علىٰ الله بعمله، ونحو ذلك من أدواء القلب ويحددوه الصدق في الشكر إلىٰ حسن مراقبته والمثابرة علىٰ عبادته وصدق الاستعانة به في ذلك ولا يبيح لنفسه الغفلة عن الله أو إضاعة أوتي شيء من أوقاته بلا عمل لله بل ينشغل بالله عما سواه ويجود بكل شيء في سبيله ومرضاته فيكون من خير البرية ويكون محفوفًا بألطاف الله منصورًا علىٰ أعدائه مرهوب الجانب في الأرض كما جرىٰ للرعيل الأول.

كلما تحققت فيه هذه الوجوه الثلاثة المتقدمة فكانت عبوديته لله سائرة علىٰ ما فصلته فيها فإنه ينكشف حجاب قلبه عن ربه فيستنير ويكون مقبلًا علىٰ الله متلذذ بعبادته يجد لها حلاوة ويجد منها سرورًا وتفيض أنوار الهداية علىٰ جميع أحاسيسه فلا يطمئن إلا لذكر الله وطاعته ويكون متوحشًا عما سواه وتكون أعماله الدنيوية مرتبطة بالله قصدًا لوجهه وإتباعًا لشريعته ولا يدخل إلىٰ مسامعه شيء من لهو الحديث المتنوع الذي تقذف اليهودية العالمية علىٰ أيدي عملائها ومخدوعيها فضلًا من أن يستعذب شيئًا منها.

هذا مستحيل لأنه ليس لديه ذرة واحدة إلا بالله ومن الله وجميع أوقاته وطاقاته منحصرة لله وقد سلم من حجاب نفسه وأهوائه وانشقع علىٰ ضباب

الشهوة والأنانية فقلبه في ربيع القرآن وروحه في نعيم الطاعة بخلاصه من الحجب المعوقة له والمضللة عن طريق السير إلىٰ الله لأنه بسلوك ما فعلته في الوجوه السابقة يتلخص من الحجب التي بلغ العلماء عدها إلىٰ عشرة وهي:

١- تعطيل الله عن أمره وشرعه وكون البشر يسلكون ما شاءوا دون ارتباط الله.

٢- تعطيل حقائق أسمائه وصفاته وعدم معاملة الله بمقتضىٰ كل اسم وصفة.

٣- حجاب الشرك من سائر التعلق بغير الله فإن الشرك ليس مقصورًا علىٰ عبادة صنم ونحوه، وإنما هو متمثل بانصراف القلب عن الله إلىٰ غيره، في أي ناحية من شئون الحياة.

٤- حجاب البدعة القومية، مما ينشأ من تلقي العلوم والمعارف منها غير مشكاة النبوة كالمنطق اليوناني ونظريات الفلاسفة الأقدمين أو المتأخرين في الإلهيات أو علم النفس أو الطبيعيات ونحوها مما هو قول علىٰ الله بغير علم وصد للأمة عن سبيل الله وإشغال لها عن وحي ربها وصرف هلا عن هدايته.

٥- حجاب البدعة العملية من كل عمل يخالف بما عليه أمر المصطفىٰ ﷺ سواء ظهر باسم التصرف أو طريقة أخرىٰ فإن العبرة بحسن السلوك المخالف لحال النبي ﷺ وأصحابه المسمىٰ.

٦- حجاب كبائر الذنوب الباطنة كالكبر والعجب والرياء والحسد والخيلاء ونحوها.

٧- حجاب كبائر الذنوب الظاهرة لأن المعصية تجر غيرها إذا لم يتذكر صاحبها فيبادر بالتوبة النصوح ويتسلح بسلاح المراقبة.

٨- حجاب صغائر الذنوب وفضول الأشياء والكلام فإن الصغيرة تنقلب كبيرة مع الإصرار أو شركًا وكفرًا مع الاستباحة.

٩- حجاب الفعلة عن الله ونسيان العبد ما خلقه الله لأجله.

١٠- حجاب التوسع في المباحات مما يحدث به قسوة القلب وبعده عن الله وعدم الاستشعار مشاهد يوم القيامة.

ومنشأ هذه الحجب أربعة عناصر:

١- النفس الأمارة بالسوء أو اللوامة.

٢- الهوىٰ فإنه لميله بصاحبه يحجبه عن السير إلىٰ الله وتحقيق مرضاته.

٣- إيثار الدنيا والتعلق بزينتها وجعلها غاية لا وسيلة.

٤- الشيطان سواء أكان من شياطين الجن أو الإنس كما فصلت ذلك في باب الاستعاذة ولا يتغلب عن هذه العناصر ولا يسلم من تلك الحجب إلا صاحب القلب السليم الذي مضىٰ تفصيل حاله في الأوجه الثلاثة قبل هذا.

صاحب القلب السليم الذي وصل إليه أي نعمة علم أن الله قد ذكره بها، وواصلها إليه، فيزداد حبه لله وإجلاله عن ابتدائه له بالمعروف والإحسان فيتفانىٰ في طاعته، وبذل النفس والنفيس في نصرة دينه، ويكون محبًا لأحبابه، مهما كانوا ومبغضًا لأعدائه من الكفرة والعصاة، ولو كانوا أقرب قريب ويكون منشغلًا به عما سواه في ناحية، مقدمًا مراده عن مراد نفسه بالكلية.

إن صدق ضراعة المؤمنين بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ تحقيق عبودية الله تخط خطًا لحياتهم في كل سلوك وتوجه أفكارهم وتصوراتهم ومشاعرهم ونشاطهم وارتباطهم في كل اتجاه وهدف، فلا يدينون لمن يسلك به مسلكًا أو يوجههم إلىٰ أي شيء من أوضاع البشر أو رغبات المتحكمين من الرؤساء أو الأمراء فإنهم حينئذ يغير دين الله فتكون جماعة في دين رئيسها وفق أهوائه وجماعة في دين حاكمها وجماعة في دين أميرها أو زعيمها أو أحبارها أو رهبانها إلىٰ غير ذلك مما يجعلون به جانبًا من جوانب حياتهم لله والجوانب الأخرىٰ لغيره كما هو مخطط أعداء الله باسم الحضارة والتطور.

فإن الدين الإسلامي يتعبد أهله بمعاملة الله معاملة الربوبية والألوهية والملوكية والقوامة بجميع ما لذلك من مفاهيم فيكون وحي الله وشرعه هو الينبوع الذي ينبثق منه الأخلاق والسلوك في الميدان السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي حال السلم أوالحرب.

فتكون حياة المسلم ومماته لله وحده لا شريك له وليس له عقيدة إلا ملة إبراهيم التي جاء به محمد عليهما الصلاة والسلام غير منفصل عنها في أي جانبًا من جوانب الحياة ولا يحرك قلبه سواها ولا يلهب مشاعره وجوارحه إلا هي لا يحركها إله الهوىٰ ولا سلطان الشهوات ولا أي نزعة شيطانية من نزعات القومية أو البعثية أو الوطنية أو الشيوعية وما شاكلها ولا تدخل في دين الرئيس الفلاني الذي يدين به وفق أهوائه ولا الملك الفلاني ولا الأمير الفلاني أو القبيلة الفلانية أو الشعب الفلاني ونحو ذلك من كل ما يخالف منهج الله تعالىٰ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ والدين الإسلامي ليس محصورًا في ولا

منفصلًا عن واقع الحياة مقصورًا علىٰ شعائر تعبدية لا تأثير لها في مجالات الحياة هذا تصور مضحك لحقيقة واقع البشرية في هذا الكون لأنه حين تحكم ضمير الإنسان ووجدانه شريعة أخرىٰ كل منها منبثق من تصور مختلف هذا من عبادة الله وهذا من عبادة الهوىٰ والأشخاص فتتضارب أفعاله فتكون حياته في قلق وحيرة دائمين وهذا شيء يضحك منه تعشقه وتبناه ولو فكر فيه تفكيرًا حرًا سليمًا إذا كيف يفصل بين الواقع الشعوري والوجداني والواقع العملي الحركي؟ وأي ضمير بين لا يحرك الجوارح والأحاسيس بحسب ما يكنه ويريده من المحبوبات.

الآثار الناتجة عن تطبيق فرائض اللّه

١- الصلاة

إذا قام إليها الإنسان عن حب وتعظيم لله ورغبة بما عنده وتشرف واعتزاز بمقابلته جلا وعلا، فوقف أمام ربه مالك الملك وحده أخشع وأخضع من وقفته أمام حاكم من حكام الدنيا فصلاها وهو حاضر القلب متلذذًا الحظوة والوقوف بين يدي الملك العلام فرقًا بذلك أعظم ممن يفرح ويتشرف لو حظي بمقابلة حاكم عظيم فهذا يتطبع بحب الله وتعظيمه في تكرر هذه الوقفات الجليلة أعظم مما تتطلع حاشية السلطان المكثرون من الاتصال به فتندفع جوارحه بطاعة الله ويرهب من معصيته ويقوم بتنفيذ أحكامه وتطبيق حدوده في كتابه والانتصار لدينه وقمع المفتري عليه وبغض المنحرف عنه. فلهذا كانت الصلاة من أعظم الأدوية للقلوب والمحررات لها وللأبدان، فشأنها في تفريج القلب وتقويته بمناجاته والوقوف بين يديه واستعمال جميع بدنه وقواه وآلائه في عبودية وإعطاء كل عضو حقه منها وانشغاله عن التعلق بالمخلوق وانجذاب قوىٰ قلبه وجوارحه إلىٰ ربه وفاطره وحصول راحته من أعدائه الشياطين ما يجعلها الصلاة من أكبر الأدوية والمفرضات وأجل الأغذية الملائمة للقلوب الصحيحة فقط أما القلوب المريضة المعتلة فهي كالأبدان المريضة لا تناسبها الأغذية الفاضلة ولا تستطيب الهوىٰ كما قال الشاعر:

ومـــن يـــك ذا فـــم مـــريض ... يجـــد مرآبـــه النـــدب الـــذلالا

فالصلاة من أكبر العون علىٰ تحصيل مصالح الدنيا والآخرة ودفع مفاسدهما وهي منهاة عن الإثم ودافعة لأدواء القلوب وطاردة للداء عن الجسد

ومنورة للقلب ومبيضة للوجه ومنشطة للجوارح والنفس وجالبة للرزق ودافعة للظلم وناصرة وفاجعة للشهوات وحافظة للنعمة ودافعة للنقمة ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمة ونافعة في كثير من أوهاج البطن لأنها رياضة للنفس والبدن جميعًا تشتمل علىٰ حركات وأوضاع مختلفة تتحرك معها أغلب المفاصل وينضمر معها الأعضاء الباطنة كالمعدة والأمعاء وسائر آلات النفس والغذاء، زيادة علىٰ ما يجري فيها من انشراح للصدر وقوة النفس والروح وما لا يقدر الملاحدة علىٰ إنكاره إلا للمكابرة والصلاة من أعظم وسائل الأمة والصبر وهي مجلبة للرزق وحافظة للصحة الحسية والمعنوية، ودافعة للأذىٰ، طاردة للأدواء أدواء الشبهات والشهوات مقوية للقلب، مفرحة للنفس الزكية مذهبة للكسل منظمة للجوارح، ممدة للقوىٰ، شارحة للصدر، مغذية للروح، جالبة للبركة، مبعدة عن الشيطان، مقربة من الرحمن.

وللصلاة تأثير عجيب، دفع شرور الدنيا لا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهرًا أو باطنًا فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة واستجلبت مصالحها بمثل الصلاة لأنها صلة بين العبد وربه وعلىٰ قدر صلة العبد بربه تتفتح له الخيرات وتنقطع عنه الشرور أو تقل وما ابتلي رجلان بعاهة أو مصيبة أو مرض إلا كان حظ المصلي فيهما أقل وعاقبته أسلم، والمؤمنون حقيقة يجدون فيها الراحة والمتعة والسرور كما كان ﷺ يقول لبلال: «**أرحنا بالصلاة**» ويقول: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**» فالمؤمنون تقر أعينهم بالمثول بين يدي حبيبهم ومولاهم في الصلاة أعظم مما تقر عيون أهل الدنيا لمقابلة بمقابلة حكامهم والحظوة عندهم ولذا كانت علامة الإيمان المسارعة إلىٰ الصلاة وعلاقة صحة القلب وسلامته من أمراض ... فرحته بالصلاة وتلذذه

بطول إقامتها دون أن بيانه الخروج منها، وعل العكس فإن مريض القلب الذي إن صلاها فصلاته تشبه العادة ويأتي بها من غير وعي وإحساس ويرتقب انتهاءها والخروج منها بسرعة حتىٰ إن كثيرًا من الناس يشكو الإمام الذي يطيل الصلاة ويهجر مسجده إلىٰ غيره فمثل هذا لا ينتفع بصلاته إلا قليلًا. أما الأول فهو الذي تؤتىٰ صلاته ثمارها الطيبة ونتائجها الحسنة التي يتأثر بها في سلوكه لقوة صلته بالله وازدياد محبته وتعظيمه ومراقبته ومن هنا كانت الصلاة تأمر صاحبها بالمعروف وتنهاه عن المنكر وتجعل قلبه منفذًا الغيرة لدين الله والغضب لحرماته وحدوده فتندفع قواه وجوارحه لحمل رسالته وقمع المفتري عليه والقيام بإصلاح ما أفسده المبطلون في كل مكان شعورًا منه بأداء وظيفة الله في الأرض فيكون من ورثة نبي الله عليه الصلاة والسلام لا من ورثة أعدائه.

الصلاة والصبر

والصبر نصف الإيمان لأنه ماهية مركبة من صبر وشكر قال بعض السلف مستندًا أن قوله تعالىٰ: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)الشورىٰ: ٣٣.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ومن استكمل أركان الصبر كانت عاقبته الحصول علىٰ لذة الدنيا والآخرة والفوز والظفر بما هو موعود فيهما من حصول النصر والسؤدد والتمكين ونيل المقصود الطيب في الدنيا والحصول علىٰ العيشة الراضية والغرف العالية في جنان الخلد والنعيم يوم القيامة.

قال ابن القيم ما معناه: لا يصل أحد مقصوده إلا علىٰ جسر الصبر كما لا يصل أحد إلىٰ الجنة إلا علىٰ الصراط. وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خبر عيسىٰ أدركناه بالصبر – وإذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم رأيتها كلها منوطة بالعبد وناشئة من الصبر وإذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبه لكونه يدخل تحت قدرته، وجدته من عدم الصبر، وكذلك أكثر أسقام البدن والقلب تنشأ من عدم الصبر في حفظت صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر ولو لم يكن فيه إلا أن معية الله مع أهله لكفىٰ، فإن الله مع الصابرين، يؤيدهم ويقويهم ويثبتهم ويأنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم، ولا يكلهم إلىٰ أنفسهم ويتركهم لطاقاتهم المحدودة ما داموا متوكلين عليه حاملين لواءه بل يمدهم حين ينفذ زادهم المعنوي ويجدد عزائهم حين يطول بهم الطريق لكونه سبحانه (يحث) الصابرين علىٰ اتباع وحيه وحمل رسالته وتوزيع

هدايته ناداهم بنداء الحبيب في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة: ١٥٣] وختم النداء بما ذكرنا من التشجيع ووعدهم بالنصر.

نعم إن الله وعد الصابرين بالنصر علىٰ لسان رسوله عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «**إن النصر مع الصبر**» وأخبر الله المؤمنين أن الصبر خير بجميع مصفات العموم الشمولي بقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦] وأخبرهم أيضًا أنه سبب الفلاح بقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ وكرر الله في القرآن الكريم ذكر الصبر والأمر به وحسن نتائجه وعظيم مثوبته لأنه سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه حمل الرسالة والاستقامة علىٰ الطريق بين شتىٰ (النزاعات) والدوافع المختلفة وضخامة المجهود الذي يقتضيه القيام علىٰ دعوة الله والدفع بدينه إلىٰ الأمام بين شتىٰ النزاعات الفكرية والدموية والعقبات الكأداء الناشئة من شتىٰ المذاهب والتقاليد بما يتطلب أن تبقىٰ النفس محدودة العقبات مشدودة الأعصاب مجندة القوىٰ مستنشطة للمداخل والمخارج وللمتربصين به الدوائر في عقر داره.

فلا بد من الصبر والمصابرة في هذا كله وصبر المؤمن علىٰ طاعات الله ثم صبره في كف نفسه عن معاصيه يقويانه علىٰ الصبر في جهاد أعداء الله وعلىٰ كيدهم والكيد بهم ثم المصابرة علىٰ بطيء النصر والمرابطة لارتجائية مع الصبر علىٰ ما يكون من بعد المشقة والجدال بالباطل وقلة المعين المناصر وعلىٰ كثرة الأشواك الشائكة التي تعترض القائم بهذه المهمة والسالك فيها من الإعراض والمعاندة والشهوات الانتهازية وكل هذا مع قوة ثقة الصابر بربه الذي أخلص له العمل وجاهد نفسه في ذاته.

ولئلا يضعف الصبر بطول المدة وكثرة المشقة أرشد الله عباده إلىٰ الزاد والمدد الروحي العظيم، فقرن الصلاة (بالصبر) وقال: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ فهي المدد الروحي الذي لا ينقطع والزاد المعنوي الذي لا ينضب ولا (ينفد) فيها يزداد القلب قوة ولذة وسرورًا ومحبة لله يستسهل بها الصعاب ويقرب عليه بها البعيد فتجدد طاقات المؤمنين ويمتد حبل صبرهم وتكسب هذه الصلاة كما الرضىٰ والثقة واليقين إذ هي صلة بالله يحصل لهم بها الاستعانة بالقوة الكبرىٰ التي لا يغلبها غالب يستمدون فيها بالعون حين يبلغ بهم الجهد ذروته كما في يوم الخندق (وحنين) وغيرهم من كل محبة تتضافر بها قوىٰ الشر الباطنة والظاهرة.

وحين تبلغ القلوب منهم الحناجر يجدون قيمة الصلاة الخاشعة الحقيقية وحسن تأثيرها وبركة نتائجها فهي الصلة المباشرة بين الإنسان العاجز الفاني والقوة الربانية الباقية وهي الوعد المختار لاتصال الحبيب بحبيبه والتقاء الفطرة المنعزلة من القوة الضعيفة بالنبع القوىٰ الذي لا يفيض فهي مفتاح كنز السعادة الذي يفنىٰ في الدارين، وببركة إقامتها لله تحصل الانطلاقه من الحدود العنيفة الصغيرة إلىٰ المجال الكوني الواسع، كما حصل للصحابة والتابعين، فهي الروح والراحة من الله، كما كان الرسول ﷺ يقول: «**أرحنا يا بلال بالصلاة**». وكما كان يكثر منها إذا حزبه أمر لتكثر من الاتصال بالله معنويًّا وروحيًّا وهي زاد الطريق وقدر الروح وجلاء القلب وخير المعونة علىٰ أداء العبد وقوة الجلد في الكفاح، وهي مفتاح التذوق لحلاوة كل عبادة، ومن أصدق من الله قيلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ وذلك التذوق لا ينفتح ويحلو إلا للمؤمن الذي انفتح قلبه وانشرح صدره لذكر الله، وما نزل

من الوحي وامتلأ من حب الله وتعظيمه وخشيته ومراقبته واستشعار كماله وجماله ومعروفه وإحسانه ودقة عمله، وإحاطته بالجليات الخفيات فهذا هو الذي يتلذذ بحلاوة العبادة والصلاة ويحصل له الفرح واليسر والبشاشة فتهون عليه جميع التكاليف الإلهية ويتقبل سرورًا بسبب إقامته للصلاة إقامة صحيحة.

ولذا كان لكل عابد لله مطلوبًا منه أن يأمر أهله بالصلاة من ذكور وإناث كما قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم علىٰ تركها بالعشر** ...» إذ بها يحصل الإعداد للتقوىٰ وتقبل التكاليف وحمل أعباء الرسالة والقيام بواجب خلافة الله في الأرض.

ولذا جعل الله قيام الليل وتلاوة القرآن فيه مفتاحًا للقلوب ومدفعة للجوارح علىٰ ذلك إذ يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٢ – ٤] وكلما ازدادت همة الإنسان بذلك وقوىٰ عليه وكان أقوىٰ من غيره في القيام بالواجب أجمع هذا وقد أظهر الطب الحديث فائدة عظيمة للصلاة هي أن الدماغ ينتفع انتفاعًا كبيرًا بالصلاة ذات الخشوع كما قرر ذلك فطاحل الأطباء في هذا العصر وهذا بعض الأدلة التي يتبين لنا بها سبب قوة تفكير الصحابة الكرام وسلامة عقولهم ونفوذ بصيرتهم وقوة جنابهم وصلابة عودهم الذي كانوا به معجزة في الأرض بين الأمم بحيث لم يخلفهم مثلهم إلا القليل النادر.

ولا شك أن الذين يتجهون بكل حب وتعظيم إلىٰ القوة المطلقة إلىٰ ذي الحول والطول جل وعلا، ويحنون ظهورهم له لا غيره من البشر أبدًا ويخرون

للأذقان سجدًا لعزته، وخضوعًا لسلطانه وشكرًا لنعمه وإحسانه ويتصلون به في أوقات معينة من الليل والنهار يكونون موصولي السبب بجنابه العظيم فيستمدون منه جميع قواهم وتستنير عقولهم وتصح قلوبهم وتسمو نفوسهم إلىٰ أعلىٰ المطالب وأشرف الغايات التي يكونون بها مرفوعي الرأس أصحاء العقول والأرواح بين الأمم كما قال ﷺ في الحديث القدسي عن ربه تعالىٰ: «**ولا يزل عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**». وقال أيضًا: «**فبِ يسمع وبِ يبصر وبِ يبطش ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه** ...». الخ وأحاديث كثيرة في ذلك المعنىٰ.

ولا عجب أن يخصص الله استعانة عباده المؤمنين بالصبر والصلاة فإن الصلاة من أكبر العوامل التي تربِ الشخصية وتجعلها ربانية التصور وربانية الشعور والوعي وربانية السلوك والتصرف.

ثم إن الصلاة منفعة عظيمة وعلاجًا واقيًا شافيًا من شر ما يصاب به الإنسان في حياته الاجتماعية وهو والشح والجبن القاضيان علىٰ شخصيته والذي نبه الله عليها ورسوله عليه الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٣] وقال ﷺ: «**شر ما أوتي العبد شح هالع أو جبن خالع**» فالشح يبذر الهلع في القلب بحيث يجعل صاحبه فقير القلب مهما كان عنده من الغنىٰ والثروة وكما وصفه النبي ﷺ في حديث آخر بأنه كالذي يشرب ماء البحر فإنه لا يري بل يزداد عطشه وعلته ويكون منهومًا أشد ما يكون ومنوعًا للخير مختالًا فخورا كأنما فضل الله أمر للناس بالبخل

مستهترًا بالقيم العليا.

أما لجبن فإنه يورث الخوف والذعر الذي يتزايد بصاحبه حتىٰ يكون عند المعاتب والحروب كالذي يغشىٰ عليه من الموت في حال الأمن والرخاء ويكون حديد البصر ذلق اللسان مثل المنافقين المصرفين الذين فضحهم الله في سورة الأحزاب وقد يكون الشحيح بماله شحيحًا ببدنه فيحبس خيره ونفعه عن الناس ببدنه.

والمصاب بهذه الأدواء المعنوية المذكورة في وحي الله من كتاب وسنة يعتريه في الغالب الهم والغم والحزن والإنقهار فينخلع من العزة والكرامة ويعيش ذليلًا حقيرًا مهانًا مستعبدًا ممتهنًا من أعدائه أو من أعداء الله وأعدائه ويكون الجبان أيضًا كسولًا لعدم الإرادة أو عاجزًا عديم المقدرة لهذا ورد في الحديث تعليم النبي ﷺ لأمته أن يدعو كل واحد منهم بهذه الدعوات كما في حديث أبي أمامة: «**اللهم إني أعوذ من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وقهر الرجال**» فإنها ثمانية أشياء كل اثنين منها قريبان مزدوجان فالهم والحزن أخوان والعجز والكسل أخوان والجبن والبخل أخوان وضلع الدين وقهر الرجال أخوان.

فتوضيح ذلك أن المكروه المؤلم إذا ورد علىٰ القلب فإما أن يكون سببه راضيًا أو مستقبلًا فإن كان أمر قاضيًا أوجب له الحزن وإن كان شيئًا (متوقعًا) في المستقبل أوجب له الهم ثم تضيق المصالح عن الإنسان أو تخلفه عند تحقيقها بالسعي والطلب إما أن يكون من عدم القدرة فهو العجز أو من عدم الإرادة وهو الكسل ثم إن حبس خيره ونعمه عن نفسه وعن الغير إما أن يكون حابسًا أو

مانعًا خير وحققه النتائج من حركة بدنه فهو الجبن، وإما أن يكون مانعًا نعمة من ماله فهو الشح أما قهر الناس له فهذا إما أن يكون بحق قهر يسمىٰ غلبة الدين وضلع الدين وإما أن يكون بباطل فهو قهر الرجال والمصلي الصحيح الذي يقيم الصلاة حق إقامتها ينجيه الله من هذه الأمور كلها.

إن كلام الله حقًا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ووعده حق ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ وعلاجه حق لا يماثله العلاج فإذا رأينا أمثال هؤلاء من الضعفاء المضطرين جزمنا بأن صلاتهم صورية وصبرهم ضعيف وأنهم لو كانوا في الحقيقة مصلين كانوا من الصابرين وإنما عندهم من الصلاة حركات تعودوها فهم يكررونها ساهين عنها أو يقصدون بها استمالة قلوب الناس يبتغون بها عندهم المكانة الرفيعة باسم الدين لما يترتب علىٰ ذلك من المنافع الدنيوية التي لا يعقلون سواها أو لا يريدون سواها.

فيجب علىٰ كل مؤمن أن يعود نفسه احتمال المكاره ويحاول تحصيل ملكة الصبر، فمن لم يستعن علىٰ محاربة الصبر لا يتم له أمر ولا يتبقىٰ عن عملا ولا سيما الأعمال العظيمة كوظيفة أمة محمد ﷺ التي هي تربية الأمم، والانتقال بهم من حال إلىٰ حال لذلك يوجد الكثيرون ممن يشرعون في الأعمال العظيمة فيحوزهم الصبر ... ومن يزعم أنه عاجز عن تحصيل هذه الملكات فهذا خائن لنفسه جاهل بما أودع الله فيه من الرشاد فهذه حقارة لنفسه من محتقر ... الذي عليه بكل شيء وهذا مجرد إحساسه بالصبر فقد سجل علىٰ نفسه من جميع الفضائل.

حقًا إن ذلك النعم التي يجب ذكرها وشكرها للمنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كانت

تقترن بضروب من البلاء وأنواع المصائب أكبرها علاقة أهل الحق من ... لا يسلم أحدًا منه علىٰ ماله وأهله وأحبابه كما سيأتي بعد الآية بعد هذه الآية التي نحن وإرشاد الله لعباده في هذا المقام أن يتعين من الأمر بالشكر والأمر بالصبر أن يعد الله المؤمنين من المحن بالجزاء عن هذا كما وعدهم بالجزاء عن ذلك في حسن القتال هذه الآيات بما قبلها وكونها متممة الإرشاد فيها.

وقد هدىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلطفه إلا علاج الداء قبل بيانه فأمر المؤمنين بالاستعانة بالصلاة علىٰ ما يلاقونه من المحن والشدائد ومشقة القتال ووعدهم علىٰ ذلك (بمعونته) الإلهية وأشرحهم أيضًا بمعصيته التي من حاز عليها كان منتصرًا ظافرًا فائزًا لمطلوبه كما استبشرهم بما يلاقونه في سبيل الحق والدعوة إلىٰ الدين والمدافعة عن أنفسهم فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأمرهم بالصبر علىٰ ذلك كله.

ووجه الحاجة إلىٰ الاستعانة بالصلاة والصبر علىٰ تأييد الحق والقيام بأعبائه ظاهر جلي وأمر الحاجة إلىٰ الاستعانة بالصلاة فوجهها محمود لانقياد بتكشف أثر للمصلين الذين هم في صلاتهم خاشعون تلك الصلاة التي أكثر الله من ذكرها في الكتاب العزيز ووصف أهلها بأفضل الصفات وهي التوبة إلىٰ الله تعالىٰ ومناجاته وحضور العديد معه سبحانه واستقرائه في الستور وجلاله وكمال سلطانه تلك الصلاة التي هي ... ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ وليست هي الصورة المعهودة لدىٰ الناس من القيام والركوع والسجود والتلاوة باللسان خاصة مما يسهل علىٰ كل صبي وتعوده فهذه صلاة صورية نرىٰ بعض أهلها لم يرتفعوا عن الفحشاء والمنكر ولم ينتهوا عن اقتراف السيئات كما أن تلك الحركات

الخفيفة في نفسها حتىٰ يصفها الله تعالىٰ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وإنما عقدت تلك الحركات ووسيلة لتذكير الغافلين فبين وثنية الزاهدين ودافعًا يدفع المعاش المقصود الذي يملأ القلب بعظمة الله وسلطانه حتىٰ

وهذه المعية الإلهية معية خاصة تقتضي صحبته ومعونته وقربه ونصره وهي منقبة عظيمة ... فلو لم يكن له الفضيلة إلا أنه.. بهذه المعية من الله ...

أما المعية العامة فهي معية العلم والفكرة التي ذكرها الله بقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهذه عامة لهذه الخلق وقد كانت .....فيكون حرم نفسه من معية الله المنصوص عليها لأنه تنكب عن أمره وسنته فلا يمكن أن يبلغ غايته والله سبحانه عليم بما يقدر من ... في الدعوة ولوازمها ... وأنواع التثبت والأرجاف ومن ذلك يوجب عليهم بذل النفوس زيادة علىٰ ... وكيف تبذل هذه النفوس علىٰ ... كلها ... بتحقيق العبد وإقامة الصلاة إذ بذلك يتحقق الثبات ... النفوس ثم الغاية من ... المؤمن نفسه لأجل تعزيز الدعوة ؟ الآية هو تحصيل ..... وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ -١٥٧] وما أمر الله المؤمنين ... علىٰ القيام بواجب الدين من حمل الرسالة والقيام بالزحف المقدس لنشر الدين والحكم بالشريعة وقمع المفتري علىٰ الله بالصبر والصلاة ثم ذكر فضل الشهيد وعظيم ... في حياة جديدة خير من حياتهم أخذ الجبناء ... م الجهاد أو يكرهونه حرصًا علىٰ الحياة ... سننه الكونية التي تتأثر ولا تتبدل وابتلاء الناس بشيء من الخوف ... والإزعاج الذي لا يكون معه عيش ولا ... فيه حياة كما يبتلي البشرية بشيء من

الجوع ... من قلة الطعام أو عدمه ... في البشر لا يشبعون.

وهذا المرض مخالف للخصب الذي يشبع صاحبه من أدنىٰ شيء وكذلك مبتلىٰ ... البشرية بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، وقد أكد الله هذا الابتلاء والامتحان بلام القسم في قوله سبحانه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ لتوطين الأنفس عليه وقدم ابتلاءهم بالخوف لأنه أعظم المعاقب وأشدها وأقساها وقعًا في النفوس ولهذا كان الظلمة والطواغيت الجبارون يخيفون الناس بشتىٰ ضروب الإرهاب والبطش ليكون الانسان علىٰ خوف ووجل ...

والآن نرىٰ من خطط الماسونية اليهودية للثورات ما يصحح الخوف؛ فلو أن أدعيا الإسلام حققوا الإيمان، بصدقهم البيعة مع الله علىٰ النفس والمال فواصلوا الجهاد المقدس لوهبوا الأمن لهم وللناس بإذن الله حسب وعده الصادق وأراحهم من الأخطبوط اليهودي لأن من ترك الجهاد خوفًا علىٰ نفسه وشحا بها علىٰ الله سيبتليه الله بالخوف علىٰ يد أعدائه الذين فسح لهم المجال بشحه وجبنه.

ثم بعد الخوف ثنىٰ بالجوع لسوء وقعه علىٰ النفوس ثم ثلث بالنقص الحاصل علىٰ الأموال والأنفس بالأمراض المختلفة الفاتكة وعلىٰ الثمرات بالجوائح السماوية والأرضية من برد أو ثلج أو مطر أو فيضان أو فساد في الإنتاج، وقدم النقص في الأموال لشدة وقعه علىٰ النفوس لأن الإنسان في الغالب يخاطر بنفسه مخاطرة مهلكه، في سبيل ماله المحبوب وإخبار الله لعباده في هذه الآية بما يبتليهم به من هذه العقوبات النفسية والمالية لأمرين:

أحدهما: إيقاظ الجبناء والمنبوعين التاركين للجهاد بأن قعودهم لا

يحقق لهم الحياة الطيبة الصحيحة الكاملة ولا ينجيهم من منقصات الحياة التي قدرها الله وإنما فضل الحياة الطيبة بالصدق مع الله في تحقيق الجهاد الذي يحصل بتحقيقه وعد الله ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾.

وثانيهما: إعلام المؤمنين بأن مجرد الانتساب إلىٰ الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وانتقاء المخاوف والسلامة من أضرار الدنيا بل أن الله أن يجري الابتلاء والأضرار علىٰ حسب سنته ليمتحن الصاقدين الثابتين ممن إيمانهم علىٰ حرف، إن أصابهم خير اطمأنوا به، وإن أصابهم شر انقلبوا علىٰ أعقابهم كافرين كما قال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:١-٣] يعني يظهر علمه الخفي عيانًا بين الناس بحيث يتميز هذا عن هذا.

فالمؤمن الموفق هو الذي يستفيد من مجاري الأقدار حيث يتربىٰ ويتأدب بمقاومة الشدائد والأخطار ومن لم تعلمه الحوادث وتفيده عبرًا في حياته وتهذبه الوارث فهو كالبهيمة ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ تنبيهًا بهذا إلىٰ أن هذه العقيدة هي التي تكسب بها مكله الصبر التي يقرن بها الظفر ويكون صاحبها أهلًا لأن يبشر باحتمال البلاء والاستفادة منه بحسن العاقبة في الأمور كلها فإن البشارة في هذه الآية عامة لخوف المثقلين بها، إذ لم يذكر المبشر به إشعارًا بعمومها في كل ناحية.

وهذا الإيجاز الذي لا يعهد مثله في القرآن الحكيم، ثم وصف الله الصابرين المستحقين للبشارة بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ

﴿إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦] يعني يقولون هذا القول معبرين عن حقيقة حالهم ومقتضىٰ إيمانهم، وليس المراد مجرد نطق يحفظونه ويلفظونه بألسنتهم دون أن يعقلوا معناه وأنما المراد التلبس بمعناها والتحقق في الإيمان بأنهم خلق لله وملك لله وإلىٰ الله يرجعون، ليس لهم من أمرهم شيء بل هم مملوكون لله مدبرون تحت أمره وتصديقه فيقولون بلسان حالهم ومقالهم الصريح: ليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا الله بشيء منها فقد تصرف بمماليكه وأمواله فلا اعتراض عليه وهذا من كمال العبودية لله لانه يحصل به الرضىٰ عن الله والشكر له علىٰ تدبيره، مع الجزم أن في ذلك خيرية وإن لم يشعر به فهذا من كمال التوحيد والعبودية لله لأنه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله ولا يعمل إلا ما سبقت به الحكمة.

فالمؤمن ينطق بـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ بدافع الشعور بهذا المعنىٰ ولا يناف العبد ولا المنطق بهذه الكلمة المباركة ما يحصل للمصاب من الحزن والبطاء الخفيف لأن هذا من الرحمة ورقة القلب الذي لو فقدها الإنسان لكان قاسيًا لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره، فليس هذا من الجزع المفهوم.

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**الصبر عند الصدمة الأولىٰ**» فمن حقق الصبر في أول الصدمة كان من الصابرين المستحقين للبشارة العامة من الله.

وأما لجزع المذموم فهو الذي يحمل صاحبه علىٰ الصراخ ورفع الصوت وسوء التصرف باليدين والثياب وكذا الذي يحمل صاحبه علىٰ ترك الأعمال المشروعة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: «**ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود،**

وادعىٰ بدعوة الجاهلية».

وورد في حديث لعن الصالقة والحالقة هي التي ترفع الصوت عند المصيبة.

أما البكاء الخفيف والحزن فلا يناف الصبر أبدًا لما في الصحيحين: أن النبي ﷺ تبكىٰ عند موت ولده إبراهيم، فقيل له: أليس قد نهيتنا عن ذلك؟ فأخبر أنها الرحمة وقال: «**إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإن بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧] يعني أن أولئك الصابرين المحتسبين عليهم من ربهم الرحمن الرحيم ما يحول دون تبريح المصائب لهم من أنواع صلواته العامة ورحمته الخاصة.

فات الصلاة فالمراد بها ثناء الله عليهم في الملأ الأعلىٰ، كما فسر البخاري صلاة الله علىٰ خلقه بذلك.

وأما الرحمة فهي عامة، أولها توفيقه إياهم للصبر وحسن العزاء، وجبرهم في مصيبتهم بأن يخلف عليهم خيرًا منها.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ أتىٰ بضمير الفعل (هم) ليدل عن حق الهداية لهم وتحصيلهم جميع نتائجها.

فدلت الآية علىٰ أن من لم يصبر فهو علىٰ ضد حالهم، محروم من صلوات الله ورحمته وهدايته.

٢- الصوم وفوائده

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ – ١٨٤].

الصوم في اللغة معناه: الإمساك والكف عن الشيء، ومن معناه اللغوي قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦] وكقول امرئ القيس:

كأن الثريا علقت في مصامها ... أي: كأنها ثابتة لاتنتقل.

وقوله أيضًا:

(فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا)

أي: أبطأت الشمس عن الانتقال والسير في الظهيرة فصارت في إبطائها كالممسكة. وكقول الشاعر:

شر الدلاء الولفة الملازمة والبكرات شرهن الصائمة

يعني التي لا تدور.

والاستشهاد علىٰ معنىٰ الصوم اللغوي يطول ذكره، ومعناه الشرعي: الإمساك عن الأكل والشرب والتمتع الجنسي من الفجر إلىٰ المغرب حسب تحديد الشارع.وقد كتب الله الصيام فرضا محتومًا في دينه القويم علىٰ

المسلمين في قديم الزمان من الأمم السالفة، لأن الدين الذي جاءت به جميع رسل الله إلىٰ أقوامهم هو الإسلام، فلذا قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣] فليس إيجابه مختصًا بهذه الأمة بل هو فريضة دينية قديمة، وذلك لأهمية الصوم وسمو مكانته وعظيم منافعه الجسمية والروحية، فهو من أقوىٰ العبادات علىٰ تهذيب النفوس والسمو بالأرواح إذ فيه إعداد للنفوس وتهيئة علىٰ تقوىٰ الله ومراقبته وفيه تربية لقوة الإرادة علىٰ كبح جماح الشهوات، وأنانية النفوس، ليقوىٰ صاحبها في الصبر علىٰ ترك ما يضره من مألوفاته أكلًا أو شربًا أو متاعًا، فيكون قوي الإرادة في الصبر عما حرمه الله وما يضره في بدنه أو ماله وقوي الإرادة في الأقدام علىٰ امتثال أوامر الله التي من أعظمها حمل الرسالة المحمدية والدفع به إلىٰ الأمام ساخرًا بما أمامه من كل مشقة وصعوبة.

ففي الصوم خير تربية للإنسان علىٰ القوة العامة في كل شيء، وعلىٰ فضائل العلاقة في القول والإخلاص في العمل، وعلىٰ الجد والحزم ورباطة الجأش بقوة الغرم، فهو يعلم الناس كيف يترفعون عن مظاهر الحيوانية التي غاية همتها الأكل والشرب وإشباع الغريزة. يعلمهم كيف ينئون أنفسهم إلىٰ مستوىٰ تغبطهم الملائكة عليه.

نعم يغيطهم عليه الدين غذاء أرواحهم ذكر الله وعبادته وحسن مراقبته لأنه يرىٰ في المسلمين ملكة العيد وقوة معنوية علىٰ قهر النفس ويعودهم احتمال الشدائد ... ومتاعب الحياة ومكارة النفوس فيصفي نفوسهم من علائق الشهوات وأدرانها ويخلصون من الامتثال في متع الدنيا وزخارفها حتىٰ لا تجعلها غاية قصدها وأكبر همها فتقصد التصديق بها وعليها والعياذ بالله.

وفي هذه التربية محو لسلطان المادة وطغيانها علىٰ النفوس حتىٰ لا يشتد سلطانها علىٰ سلوك البشر المسلم، بل يكون السلطان الغالب في حبارن للروح التي تزكيه بالفضائل الطيبة والمعنويات السامية التي يحصل بها الإخاء الإنساني والمحبة الروحية التي يتحقق بها التعاون بين الأفراد والجماعات تلك الأخلاق السامية الناتجة عن التشريعات الإسلامية التي فقدتها الدول المادية التي هي في أمر مريج في جميع شئون حياتها لا تقدر علىٰ التخلص منه ما دامت بعيدة عن تطبيق دين الرب الصحيح مهما تلمست للخلاص في غيره.

والصوم أيضًا ينمي في النفوس رعاية الأمانة والإخلاص في العمل وأن لا يراعىٰ فيه غير وجه الله. وهذه فضيلة عظمىٰ تقضي علىٰ رذائل المداهنة والرياء والنفاق.

والصوم يمثل ضربًا من ضروب الصبر الذي هو الثبات في القيام بالواجب في كل شأن من شئون الحياة وفي الانطباع به تحقيق للشخصية الحسية والمعنوية إذ لا يكفي تحقيق الوجود الحسي دون المعنوي أبدًا إذ لا يخطئ أي مجتمع بالوجود الكامل لا يستحق عنوان الوجود والخلود إلا إذا كان نصيبه من الشخصية الحسية والمعنوية فحينئذ يتحقق الكيان المرموق المرهوب أما إذا فقد أي مجتمع شخصيته المعنوية كان فاقدًا بوجوده المعنوي وكان وجوده الحسي السليب من المعنوية ظلا لغيره يتحرك بحركته إذا تحرك ويسكن بسكونه إذا سكن ولا ينطق إلا حيث يوعز إليه وكان معطل المواهب الفكرية لا يفكر إلا بتفكير غيره ولهذا كان الدين الحنيفي القويم من ضروريات الإنسان لأن القصد من الدين تزكية النفس وتطهير القلب واستشعار عظمة الله والخوف سخطه وعقابه، والرجاء في جنابه من حسن المثوبة الذي ينمىٰ فيه روح الطاعة

والامتثال وأخلاق الخير والصلاح في الأرض علىٰ أساس رباط قوي متين يربط الإنسان بخالقه العليم الخبير الذي يعصم سره ونجواه.

وبما أن المؤمنين عرضة كغيرهم بمقتضىٰ سنة الله الكونية في خلقه للكوارث والمحن ومكلفون بمقتضىٰ حكمه الشرعي بحمل الرسالة الدينية وتحمل جميع ما يلاقيهم في سبيلها برحابة صدر وقوة ثبات ومطالبون من الله أيضًا بالجهاد للدفع بالدين الإسلامي إلىٰ الأمام فلا بد لهم من تحقيق الجهاد الداخلي الذي لا يتحقق إلا بمجاهدة النفس وتصييرها علىٰ طاعة الله وعلىٰ إقراره وتصبيرها علىٰ الوقوف عند حدود الله في كل واد وصدر بعد الله التشريعات الإسلامية تربية للروح والجسد وتزكية للضمير ليستطيع التغلب علىٰ نفسه وشيطانه في الجهاد الداخلي فيتأهل الجزاء الخارجي لأن الإنسان إذا ترك علىٰ طاعة من تنازع الرغبات في نفسه وما أودع فيها من إيثار الراحة واللذة العاجلة ولم يشاهد أزره بإرشاد إلهي وتعاليم روحية يؤمن بها ويتقن بحسن نتائجها ويطمئن إليها عمر كأهله عن حمل أعداء الحياة وخارت قواه وذاب احتماله ففقد كل استعداد لتحصيل الشخصية المعنوية فانحرف عن المبدأ الأصيل الذي اختاره الرب له من الخلافة في الأرض وحمل الأمانة التي أبت عن حملها السموات والأرض والجبال فلهذا اختار الله لهم من شرائع دينه ما يصقل أرواحهم ويهذب نفوسهم ويمحص قلوبهم وينمىٰ فيهم القوة المعنوية علىٰ الصلاح والإصلاح.

ومن تدبر فلسفة أركان الإسلام وشعب الإيمان وجدها كلها هداية إلىٰ ذلك. فالنطق بالشهادتين يجعل الصادق به متعلق بالرب ... لربه دون ما سواه مخلصًا في محبه الله لا يحب إلا ما يحبه الله ولا يوالي أحدًا إلا علىٰ مرضاة الله

يكفر بكل طاغوت منازع لسلطان الرب في الأرض بالتسلط والتشريع ويغضب لله أشد من غضبه لنفسه وحرمة وشعور ويقال في الله قرب قريب دون مبالاة في حب الله ورسوله.

والصلاة فيه معارج روحية يحصل بها للمسلم رحلات إلهية أوجبها الله عليه في كل يوم وليلة وجعلها في ما وراء ذلك فاعلة خير موضوع يقوم به المسلم لما أراد أن يخلص فيه من دنياه ويروح قلبه ويستجم بدنه يضرع ويضرع فيها إلىٰ ربه، التكبيروالمناجاة طالبًا معونته وهدايته ملقيًا فيها بنفسه في كفالة ربه الرحمن الرحيم يتمثل من نعمه يصفر أمامها كل عظيم في هذا الكون.

وقد كان المصطفىٰ ﷺ يفزغ إلىٰ الصلاة كلما حزبه أمر ويقول: « **يابلال ارحنا بالصلاة**» **كما يقول**: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ فهي من أعظم الأركان وأقدم العبادات في الأكوان إذ فيها يتجه الإنسان بكامل خضوعه نحو الله العظيم الجلال والجناب بناء علىٰ هذا الجلال يقول (الله أكبر) ليحصل في الإنسان قوة الوجود كلت وقيمته عنئذ إن شيئًا واحدًا في الوجود كله له العظمة والجلال، وما عداه تضمحل قيمته وتتضاءل. وإذا ثبتت هذه القيمة في نفس المصلي كانت نفسه نفسًا مطمئنة لأنه يستبعد من المصلي بعد أن يدرك هذه القيمة أن تميل نفسه وتخرجه عن تحصيل شيء في الوجود غير الله.

وليست النفس الأمارة بالسوء إلا تلك النفس التي تخضع الإنسان لغير الله في الوجود وهي لا تفترق عنئذ عن الشيطان في الهدف والغاية فالصلاة عبادة قصد بها أن يكون المسلم صاحب اتجاه واحد في جميع مراحل حياته و ... فيها

من أحوال وعندئذ تتحقق وحدة الإنسان وبروز شخصيته وقوته المعنوية ويرتفع عن التردد بين النفس الأمارة والنفس المطمئنة أذ تكون نفس المصلي الصادق الخاشع نفسًا مطمئنة علىٰ الدوام.

أما الزكاة فإن المزكي يسعىٰ بها قربانًا إلىٰ الله نحو اتجاه واحد في سلوكه هو اتجاه المعطي المانح عن تقدير وسخاء وبذلك يكتب الاتجاه الآخر في الإنسان، وهو اتجاه الاستيلاء والشح والطمع والجشع، وبذلك تكون الزكاة عبادة مالية وإنسانية لتحقيق وحدة الإنسان بدلًا من توزيعه وتردده بين الصفات (الأخرىٰ)، وبدلًا من أن يتردىٰ في الاتجاه الآخر الذي يحرمه السمو ويبعده عن التشبه لصفات الله في منحه وجوده وعطائه وكرمه.

وفي عبادة الصوم امتثال لأمر الله وإقرار عملي بوجوده وقيمته العظمىٰ في الوجود وفي هذه العبادة الشريفة أكثر المنح والعطاء لأن فيها كبت للذات الإنسانية وحرمان له من هذه اللذات طواعية وامتثالًا لأمر الله ففي الصوم خطوة أخرىٰ في طريقة توحيد الإنسان وسعيه نحو وحدة ذاته في تحصيل النفس المطمئنة التي لا تخضع لما سوىٰ الله وتحقق في هذه العبادة كمال الخضوع والالتزام لحدود الله فالصوم مقارب للصلاة في النصح فالصلاة تبعث صاحبها علىٰ مراقبة الله حتىٰ تطيق بذلك والصيام كذلك فبتحقيقها يكون المسلم في حذر دائم من مخالفة أحكام الله تعالىٰ أو التقصير في حدوده وشرعه وبذلك يكمل للروح تهذيبها وللنفس صلاحها وللعقل إدراكه الصحيح فيكون المجتمع سعيدًا راقيًا بأفراده الذين هم من هذا النوع لأن أصل جميع المحاور بضبط النفس ولذ جاء الله في ختام هذه الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فإن في ذلك تقديرًا للحكمة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة علىٰ اختلاف أنواعها وهي

(التقوىٰ) لأنها هي التي تنشأ من الإيمان بالغيب الذي يستيقظ به الضمير وهي التي تحرس القلوب من إفساد الصوم بالمعصية وتشحذ الذهن وتدفعه إلىٰ التفكير في الحكمة النافعة من تشريعات العليم الحكيم جلا جلاله، فيلتزمها المسلم ويرعاها حق رعايتها، فإنه إن لم يكن البشر واعين لحكمة التشريع الإلهي وثمراته في الدنيا قبل الآخرة فإنهم (لن) يطبقوه علىٰ تمامه أو علىٰ وجهه الصحيح (ولذلك) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ افتتح آيات الصيام واختتمها بما يناسبها من حكمة التشريع وما يناسب حال أمة الخلافة والرسالة في الأرض. فإن فرض الصوم آمر طبيعي بديهي الوقوع عن أمة حملها الله الأمانة العظيمة أمانة التكاليف وحمل الرسالة المستلزمة للجهاد لأن الصوم هو مجال تحقيق الشخصية الإنسانية المعنوية وتقرير قوة إرادتها واستعلائها علىٰ المطالب الحسية وتحمل ثقل الفطام عنها بقوة عزم وصحة وعي كما فيه إعداد لتحقيق الجهاد الداخلي المتقدم ذكره.

ولهذا كان خطاب الله بفريضة الصيام للمؤمنين الذين هم أهل لما ذكرناه حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] وفي هذه الآية فوائد عظيمة:

(أحدها): أن الله نادانا بنداء الكرامة لا بنداء العلاقة، وحق لمن نودي بنداء كريم ولقب شريف أن (يتفتح) قلبه لمن ناداه ويفتر ويلتذ ويفرح بذلك خصوصًا إذا كان المنادي كبيرًا أو عظيمًا فكيف إذا كان المنادي مالك الملك ذو الجلال والإكرام، رب العزة والعرش المجيد والبطش الشديد؟ فنداؤه لنا بنداء الكرامة ولقب التشريف يوجب علينا شرعًا وعقلًا حسن الالتفات وصدق الانقياد والتشرف بتنفيذ مطلبه.

(ثانيها): أن هذا اللقب يقتضي حق التلقي من الله فقط وحسن التصرف في نعمه والقيام بواجب ذكره وشكره وتنفيذ أحكامه فالذين آمنوا بالرب وأشربوا حبه في قلوبهم،واطمأنوا لما نزل من الحق هم الذين يقدسون تشريعات ربهم ويمتثلونها رغبة في ثوابه وخوفًا من عقابه وبطشه. وكذلك اختصهم بهذا النداء لما فيه من قابلية الطاعة والتنفيذ.

(ثالثها): أن المؤمنين حقًا هم جنود الله من البشر وحزبه الحاملون لرسالته الحافظون لحدوده هم الذين يفرض عليهم الجهاد لإعلاء كلمة وقمع المفتري عليه والقيام بتقرير منهجه في الأرض والقوامة به علىٰ البشرية وبحسن قيامهم بذلك يمتد أمد الرسالة المحمدية التي يحصل بها قيام الحجة لله علىٰ الناس مدىٰ الدهر، وبها يكونوا شهداء علىٰ الناس إذا حققوا خيريتهم التي هيأهم الله لها، فذلك فرض عليهم الصوم لتزكية نفوسهم وتمحيص إيمانهم وتقوية إرادتهم علىٰ حمل أعباء الرسالة إذ في الصيام مجال عظيم لتقوية الصارمة الجازمة الصادقة ومجال آخر وهو اتصال الصائم بربه اتصال طاعة وانقياد يتحقق فيه كما القيام بالأمانة والإخلاص كما سنفصل ذلك حتىٰ نزيد من الفوائد إن شاء الله.

(رابعها): تشبيه الفرضية بالفرضية من الله سبحانه في اختياره أنه كتب الصيام علينا كما كتبه علىٰ الذين من قبلنا ففي هذا إشارة بأهميته وتوطين لنفوس المؤمنين عن ثقل تلك العبادة التي فيها حبس النفس عن شهواتها ومألوفاتها وتحمل المشقة في ترك ذلك وقد قال بعض الحكماء: (إن التكاليف إذا عمت سهلت).

(خامسها): قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ في تعليل لفرضية الصيام ببيان فائدته الكبرىٰ وحكمته التي يتضرع عنها كل خير وبركة هو أنه يعد نفس الصائم لتقوىٰ الله بترك شهواته الطبيعية الميسورة التناول عليه والعزيزة إليه بحيث لولا تقوىٰ الله وحسن مراقبته لما تركها ولو كان تركها بأنفس الأثمان، ولكن تقوىٰ الله تعالىٰ جعلته يرعىٰ أمانة الله في حال خفائه عن الناس واختلائه بنفسه وبذلك تتقوىٰ إرادته علىٰ تلك ما حرمه الله أو كرهه وعلىٰ اجتناب ما يضره من مألوفاته التي ابتلي بها وعلىٰ الصبر في السراء والضراء وحين اشتداد الحرب كما سنوضحه وبقدر معنىٰ دلالة(لعله) الدالة علىٰ الترجي؛ لأن الرجاء لا يكون إلا فيما وقعت أسبابه وموضعه في هذه الآية المخاطبون فيها إذا امتثلوا بصدق عزيمة وحسن نية واستقبال فمن لم يكن كذلك لا ترجىٰ فيه هذه الملكة للتقوىٰ.

وكان كان الوثنيون يصومون إذا تلوثوا بالمعاصي لتسكين غضب آلهتهم فيما يزعمون أو لإرضائها واستمالتها لقضاء حوائجهم لاعتقادهم الفاسد بأن إرضائهم والتزلف إليهم يكون بتعذيب النفس وحبسها عن شهواتها ... فلما كان هذا شائعًا في مجتمعات الضلال والوثنية جعل القرآن يعلمنا أن الصوم ونحوه من العبادات ليس لتعذيب النفس ولا لشيء من هذه الخرافات وإنما هي لإعداد المؤمنين للسعادة والتقوىٰ وتربيتهم علىٰ تحمل الشدائد (بحمل) النفس علىٰ المكروه والأخذ بجميع وسائل الوقاية التي يحصلون بها علىٰ الأمن الصحيح والعيشة الراضية السليمة في الدنيا والآخرة.

فأول آية في حكم الصيام تقرر الحكمة الجامعة للخير في الدارين علىٰ اختلاف (أنواعها) وهي التقوىٰ لأنها هي التي تنشأ من الإيمان بالغيب الذي

يستيقظ به الضمير، وهي التي تحرس القلوب من إفساد الصوم بالمعصية وتشحذ الذهن وتدفعه إلىٰ التفكر في الحكم البالغة من تشريعات العليم الحكيم جل جلاله فيلزم المسلم ويرعاها حق رعايتها فإنه إن لم يكن البشر واعين لحكمة التشريع الإلهي وثمراته في الدنيا قبل الآخرة فإنهم لا يطبقونه علىٰ تمامه أو علىٰ وجهه الصحيح.

وسر ختام آية الصيام بالتقوىٰ أن إعداد نفوس الصائمين لتقوىٰ الله يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأنًا وأظهرها أثرًا وأعلاها شرفًا أن الصيام أمره موكول إلىٰ نفس الصائم وضميره، لا رقيب عليه فيه إلا الله فهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد سواه لأنه يستطيع أن يفطر سرًا مختفيا عن أقرب قريب ولكنه لتقوىٰ الله يلتزم الأمانة في حفظ الصيام مهما سنح له ما يشتهي أو يغري فمواصلة ذلك شهرًا كاملًا عن تقوىٰ ومراقبة وحياء من الله يصاحبه في هذه المدة يحصل بها نزاهة الضمير وضبط النفس وإعدادها لما يؤهلها للخير وتحمل الأذىٰ في سبيل الله ويقوي عزيمتها في كل إقدام وإحجام ويتقوىٰ أيضًا بصومه الصحيح علىٰ كبح جماع شهوات ونزوات نفسه.

فالصيام من أعظم العون علىٰ محاربة الهوىٰ وقمع الشهوات وتزكية النفس وإيقافها عند حدود الله فيحبس لسانه عن اللغو والسباب والانطلاق في أعراض الناس والسعي بينهم بالغيبة والنميمة المفسدة كما يردعه عن الغش والخداع والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش وأخذ الربا أو الزنا، وأكل أموال الناس بالباطل بأي نوع من الاحتيال ويجعل المسلم يسارع في فعل الخيرات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة علىٰ وجهها الصحيح وجهاتها المشروعة، ويجتهد في بذل الصدقات وفعل المشاريع النافعة ويحرص علىٰ

تحصيل لقمة العيش من الوجه الحلال ويحذر من افتراق الإثم والفواحش فضلًا عن الاسترسال بها وإذا نسىٰ أو غلبته نفسه علىٰ فعل معصية ذكر الله سريعًا فأناب إليه واستغفر وتاب مما أصاب لما غرس فيه صوم هذا الشهر المبارك من مراقبة الله وخشيته كما الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] ولذا وجب علىٰ الصائم أن يتحفظ أكثر (مما) ينبغي أن يتحفظ فقد قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**». فالصيام يا عباد الله تهذيب لا تعذيب فإذا لم يؤتىٰ ثمرته النافعة فليس النقص منه إنما النقص من سوء تصرف الصائم وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره وعدم حسن تفكيره.

ومن هنا وجب أن يكون الصوم عن إيمان واحتساب وضبط وتعظيم لشعائر الله لا عن تقليد (ومسايرة) كصوم من يصوم بتوجع وتحسر ويقتل أوقاته بالنوم والبطالة وهو في الحقيقة قاتل لنفسه قتلًا معنويًّا ويتمنىٰ سرعة انقضاء رمضان كأنه ليس محسوبًا من عمره أو ليس فيه زيادة من أجره والعياذ بالله.

فأين حاله من حال النبي ﷺ والسلف الصالح الذين يصومون أيامًا من الأسبوع أو أيامًا من كل شهر تطوعًا لله، يهذبون بها أنفسهم ويتدربون فيها علىٰ حمل أعباء الرسالة وتحقيق الحياة الطيبة؟

وأين هو من الاقتداء بهم واللحوق بركبهم الشريف الذي طهر مشارق الأرض ومغاربها من الكفر والظلم وعرفنا بالدين الصحيح والعدالة والخير

والأمن والصلاح؟

أم يريد أن يلحق بالركب المادي الحاضر الذي طبعه الاستعمار بأوضار ثقافتة الكافرة فيلحق في حزب الشيطان؟ أعاذ الله من عاقبة السوء.

وهذا النوع من صيام بعض الناس الذين يصومون رمضان بتوجع وتحسر وسوء استقبال ويتمنون سرعة انقضائه وقد أورثهم هذا الصيام جرحًا في نفوسهم وضيقًا في صدورهم فتجدهم حمقاء سريعوا السخط يغضبون لأدنىٰ سبب وقد اشتهر هذا بينهم حتىٰ صار طبيعي للصوم بحيث إذا فحش أحدهم بالكلام وتمادىٰ في الغضب علىٰ مقابلة قال بعض السامعين لا تعتب عليه فإنه صائم كأن الصائم يمن علىٰ الله وعلىٰ خلقه بصيامه فلا يتحمل منهم كلامًا ولا مفاوضة.

فالصائم بإيمانه واحتسابا وخشية ومراقبة وتعظيم ومحبة لله يجب أن يكون بخلاف ذلك، فيكون راضيًا مرضيا مطمئن النفس، منشرح الصدر، مسرورًا (ملتذًا) شاكرًا لله الذي فسح في عمره حتىٰ بلغه صيام هذا الشهر ولم يجعله من أصحاب القبور فلا يكون في نفسه اضطرابًا ولا انزعاجا ولاضيقا ولا حرجًا أبدًا، بل يكون أوسع أفقًا، وأشرح صدرًا، في معاملته وحلمه ومفاوضته وإذا ابتلي بخصم من الحمقاء لم يجاره حمقه وسفاهته، بل يقل له ثلاث مرات - إني صائم - كما أرشد لذلك الصادق المصدوق ﷺ.

هكذا يجب أن تكون آثار الصيام الصحيح، بحيث لو أثر علىٰ جمسه بشيء من الفتور لا يؤثر علىٰ عقله وروحه الطيبة المستنيرة بنور الله، بل يجب أن تكون روحه ومعونته أحسن وأقوىٰ من حاله في الإفطار ولذلك شكرًا لله

تعالىٰ ليحصل علىٰ بركه الصيام حسيًّا ومعنويًّا بطيب نفسه وخلقه فتتضاعف أجوره من ربه.

فالغاية الكبرىٰ من الصيام هي التقوىٰ بجميع معانيها ومبانيها، إذ هي في اللغة مشتقة من (التوقي) وأخذ الوقاية ففي الصوم يتوقىٰ المؤمن من المعاصي والآثام، فيأخذ منه وقاية من عذاب الله وموجبات سخطه وفي الصوم يعظم إحساسه وتقوىٰ عزيمته علىٰ حمل رسالته والقيام بواجب وظيفة الله في أخذ القرآن بقوة والدفع به وبرسالة النبي صلىٰ الله إلىٰ الأمام ليصلح بها ما أفسده المبطلون في مشارق الأرض ومغاربها وينقذ الناس من الظلم والاستعباد والتهتك والانحلال فيسعد لأجل ذلك بأخذ القوة وتحسين كل دابة ومادة علىٰ وجه الأرض أو في جوفها أو أجوائها ليتقوىٰ بذلك علىٰ ردع من يقف في وجهه ويحول دونه ودون رسالته، فيكون آخذًا بأسباب الوقاية التي تقيه من غضب الله وعذابه بسبب إجرامه أو تفريطه في واجبه أمام الله مندفعًا بما يكسبه الصوم إياه من قوة لإرادة وطهارة الروح والمؤمنون الذين خاطبهم الله في القرآن يعلمون مكانة التقوىٰ عند الله ووزنها في ميزانه وقوة تأثيرها وحسن نتائجها في أعمالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما يحصلون به علىٰ السعادة الصحيحة والحياة الطيبة في الدارين فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم فتندفع إليها بقوة.

وهذا الصوم أكبر حافز بتحصيلها وخير أداة من أداوتها، وأحسن طريق موصل إليها، ومن ثم يرفعها سياق القرآن من ختام الآية لفرضية الصيام أمام عيونهم وقلوبهم هدفًا وضاءًا ينهجون إليه عن طريق الصيام فيكسبهم التقوىٰ به عما اقترفوه من الذنوب قبله ويكسبهم الجد والنشاط في القيام بوظيفة الله التي

يتشرفون بها وينجون ولذا وصف الرسول ﷺ الصيام بأعظم وصفًا، إذ يقول: «**الصيام جنة**» بضم الجيم، أي ستر ووقاية يقي صاحبه من المعاصي ومن جميع المزالق التي يتردىٰ بها في حياته بانهماكه في الملذات أو قنوعه بالعيشة البهيمية دون التفات إلىٰ وظيفته.

وورد في الحديث زيادة عند الإمام أحمد: «**الصوم جنة ما لم يخرقها**» أي يخرقها بشيء من أعمال الإثم وسوء النية أو سوء الاستقبال له وعدم الانشراح به أو يخرقها بسوء الفهم وعدم مراقبة الله فيكون صيامه كتقليد موروث لا ينتفع به ولا يتأثر في أي ناحية من نواحي سلوكه فيكون قد (خرق) الحكمة الناشئة من الصوم الصحيح، فإن جنة الصيام تنخرق بالأصرار علىٰ المعاصي وبالعزم علىٰ العودة إليها بعد رمضان، وبالتفريط في جنب الله ونبذ كتابه و إطراح رسالته ولو خارج رمضان، فإن المقصود من فريضة الصيام توجيه الأمة إلىٰ رب رمضان في جميع الأزمان لا مجرد عبادته في رمضان ولذلك كان من لم ينتفع فيه محرومًا راغمًا أنفه والعياذ بالله، لأن الصوم جنة ووقاية عن أدواء الروح والقلب والبدن، وله تأثر عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوىٰ الباطنة فهو لجام المتقين وجنة المحاربين لأعدائهم من شياطين الجن والإنس.

والصوم أيضًا رياض للأبرار المتقين للتدرب علىٰ وظيفتهم بخلافة الله في الأرض، وهو رحمة عظيمة النفع للبدن والروح جميعًا وفيه مقصود شريف مهم أيضًا، وهو اجتماع القلب والهمم علىٰ الله، وتوفير قوىٰ النفس محابة وطاعته والجهاد في سبيله لتكون كلمته هي العليا وكلمة الكفار السفلىٰ مهما تنوعت بألقابها وشعاراتها.

وفي الصوم من الفوائد الاجتماعية للمساواة في الحكم فيه بين الأغنياء والفقراء والحكام والسوقة (هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ أعداد الصائمين لتقوىٰ الله فيما يعينهم بأن يتفقد بعضهم بعضًا حيث يتساوون في الجوع فتذهب غفلة الشيطان عن الجائع ويتذكر الموسر حال المعسرين، ويتقي الله فيما يسأله عنهم من الأرحام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ فيحملهم التذكر علىٰ الرأفة والرحمة الداعيتين إلىٰ البذل والصدقة ولا سيما مع رقة القلب والاجتماع علىٰ سماع المواعظ والرغبة في مزيد الأجر والثواب مما يتفشىٰ به المجتمع ويزول بؤسه، ومنها تعليم الأمة النظام في المعيشة، إذ جميع الصائمين يفطرون في وقت واحد بلا تقديم ولا تأخير. ثم أن في الصوم صحة عظيمة بجميع معانيها صحة بدنية وحسية وصحة روحية معنوية فالصحة البدنية هي كونه يفضي بعض المواد الراسبة في البدن ولا سيما أبدان أولي النعمة والنهمة والتخم وقليلي العمل والتعب، فقد قال علماء الطب أنه يحفظ الرطوبات الطارئة ويطهر الأمعاء من فساد الذؤب والسموم التي تحدثها البطنة، ويحول دون كثرة الشحم في الجوف، وهي شديدة الخطر علىٰ القلب فهو كتطهير الخيل الذي يزيدها قوة علىٰ الكر والفر.

ونقل صاحب المنار رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض أطباء الإفرنج أنه قال: (صيام شهر في السنة يذيب الفضلات الميتة في البدن مدة سنة).

أما الصحة المعنوية الروحية فهي ما قدمناه وما سنذكره أيضًا من فوائد الصيام في نفوس الصائمين، وتوجيههم إلىٰ الله القوي المحبة والتعظيم وحسن المراقبة ومعرفة الصائم ووظيفته لعلام الغيوب، وإعدادهم للأخذ بجميع وسائل التقوىٰ التي تقيهم من الخزي والذل والخسران في الحياة الدنيا، ومن

عذاب الخزي في الدار الآخرة، فتصح قلوبهم وتشفىٰ من مرض الشبهات ومرض الشهوات الذي ابتلىٰ به أهل الأرض، وذهب بأمن حياتهم وراحتهم، وأفقدهم الوحدة الصحيحة الروحية وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «**صوموا تصحوا**».

ففي الصوم صحة القلوب والأرواح وصحة الأدمغة الذي يحصل به حسن التفكير في كينونة الإنسان التي لا يملك من وزنها في هذه الأرض ومعرفة مركزه فيها ووظيفته لرب العالمين وأنه إذا لم يستقي المعلومات من ربه ويستلهم الهداية من وحيه، ويقوم بتنفيذ حكمه وتشريعه فقد تنكر لنعمته وإحسانه، وكفر به كفرًا عمليًّا مبدل الشكر الواجب عليه، وانسلخ من شرف جندية مولاه العزيز الرحيم إلىٰ مخلوق مثله، ويشغله بمذاهب وأنظمة مصطنعة مضطربة يضل بها عن سواء السبيل ويسعىٰ لاضلال غيره أيضًا ثم يشقىٰ في فترة من الزمن ويشقي به غيره بتطبيقها عليه، ثم ينتقل إلىٰ غيرها مما تتنوع به ضلالته وتزداد شقاوته ومن يدور معه في فلكه فتكون حياته شرًا عليه وعلىٰ غيره، ثم بعد مماته يكون ممن يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم، ألا ساء ما يزرون.

(هكذا) يتفطر الصائم فيصح تفكيره من تأثير الصيام الصحيح، فيستنير بنور الله ويستجيب لنداءاته جل وعلا، ويحقق طاعته له، رافضا الاستجابة لغيره أو طاعة سواه من ملاحدة الشرق والغرب الذين يدعون الفلسفة المتناقضة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ثم بصحة تفكيره وسلامة ضميره يصفو قلبه من الصدأ وينصقل من رين الذنوب لمراقبته الله وإنابته إليه فلا يعود بعد رمضان إلىٰ غفلته السابقة أو أعماله التي فيها شرود عن الله وإضاعة لأوقات

عمره النفيسة فيما (تحرمه) حظوظه الغالية من الله؛ بل يخرج من صيامه بإنسانية جديدة تحمل القوة المعنوية والطموح الصحيح والشموخ برأسه إلىٰ استلام القيادة العالمية التي هيأ لله لانتزاعها من اليهود العابثين بمقدرات أهل الأرض ويربأ بنفسه من عار التقليد والتعيين التي ابتلىٰ بها كثير من العصريين المتشدقين بمسايرة الركب والتطور معلنين عن أنفسهم بتبعية المسايرة والله يوجب علىٰ المسلم أن يسير الناس علىٰ صراطه المستقيم بضوء وحيه الذي ورثه من نبيه ﷺ لأن يكون مسايرًا للناس، منصبغا بعلومهم المادية ومنصبغًا بفلسفتهم الإلحادية، فإن من كان علىٰ هذه الحال بعد شهر رمضان لم ينتفع بصيامه وكان كالبهيمة المحبوسة عن الطعام والشراب وقتًا معينًا، وبعدم انتفاعه بتشريعات الله يكون مزعزع الكيان أو فاقدًا له بالكلية ويكون ذنبًا تابعًا لا رأسًا متبوعًا، ومهما ادعىٰ لنفسه التحرر والتقدمية فهو متعبد معنويًّا وفكريًّا، ومتأخر حقيقة، ولكنه يخادع نفسه ويخدع المصغي له ممن تشبه ببني إسرائيل فكان سماعًا للكذب والعياذ بالله.

وتقوية الإرادة في النفوس ليس بالأمر الهين، فقد عمل رجال الاجتماع وأصحاب التنظيم العسكريين علىٰ تقويمها في المجتمع هذا الزمان وقد سبقهم الدين الإسلامي علىٰ ذلك بأربعة عشر قرنًا، وما أحوج المسلم خاصة أن يكون قوي الإرادة صادق العزيمة ولذا أمره الله بتحمل المشاق في الحج، والصبر عن فراق الأهل والأحباب وتعطيل المصالح الدنيوية أو بعضها والمسير إلىٰ بلد لا يبلغها أحد إلا بشق الأنفس ومكابدة ألم الجوع والعطش في الصيام، وقوة الصبر عن مألوفاته التي اعتادها حال الصيام، احتسابًا لله ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، مما يجعل المؤمن قوي الإرادة في تحقيق ذلك، بحيث لو

دفع له شيء من المال علىٰ ترك مألوفاته لم يقبل ولكن يتركها حال صدقه لله رب العالمين.

فجدير بالصائم أن لا يفصل بعد إفطاره ما يحل بهذه القوة أو يوهنها أو يقلل من شأنها فيهدم في ليلة ما بناه في نهاره من قوة (الإرادة) التي حيد بسببها عن محبوباته ومألوفاته فما احزمه لو استغل شهر الصيام كمدرسة يتدرب بها علىٰ هجر ما يكرهه هو أو يكرهه الشارع من مألوفاته التي اعتاد أكلها أو شربها أو مقاربتها. تالله ما أحزمه لو واصل هذه الحمية عن ذلك بالليل كما عملها في النهار. وإن هو عكس الأمر وأخذ يتأفف علىٰ ما حرمه منه الصيام، ويتلهف لساعة الإفطار للإسراع إلىٰ تناول مألوفاته المعدة بنهمة فقد ضيع الحزم والغرم وبرهن علىٰ حوزه وضعف نفسه وانعدام يقينه وقلة صبره وانحلال معنويته وانعدام عزيمته وبشاعة هزيمته وأنه لا يزال فاقد الإرادة مغلوبًا علىٰ أمره داخليًّا، لم يستفد من صيامه ولم ينجح من مدرسته التدريبية بشيء فلم يكتسب المرونة المطلوبة من فرضية الصيام إذ لم يحمل نفسه علىٰ الصبر المتواصل، فهو وإن كان مثابًا من جهة صيامه الساعات المحدودة إلا أنه لم ينتفع من الناحية النفسية والاجتماعية إذ هو بضعف إرادته التي جرته إلىٰ الإقبال علىٰ مألوفاته بجشع ونهمة قد أهدم في ليلة ما بناه صومه في نهاره، وأثبت أن صيامه مجرد روحانية خاصة قاسرة.

نعم إن من يقبل حين إفطاره علىٰ مألوفاته الخسيسة من دخان أو حشيشة أو قات ونحوه من المفترات أو المخدرات فقد برهن عن ضعف إرادته وانهزامه النفسي الذي هدم به في ليلة ما بناه صيامه في نهاره وأثبت أن صيامه صيامًا تقليديًّا يشوبه التوجع والتأفف علىٰ عدم تناول مألوفاته وأن صبره ليس

منبثقًا عن قوة نفسية وصدق عزيمة، وإنما جاء قسرًا من ضغط البيئة أو من الخضوع الديني الذي أجبره علىٰ احترام شهر رمضان في ساعات محدودة لا يتعداها صبره عن تناول مألوفه الذي هو مكروه في الشرع، مستقبح في الطبع ضار في الوضع لقلبه أو لعقله أو بدنه أو ماله، أو مضيق لمعيشة عياله، فلم يخرج من ذلك الصوم لمروته وتهذيب للنفس يكتسب به قوة الإرادة التي يجب أن يظفر بها الصائم صيامًا حقيقيًّا كاملًا يحبه الله وتظهر نتائجه في تقوية معنوية فاعله من كل ناحية كما هي الحكمة العظمىٰ من حكم الصوم التي أخذ علماء التربية والاجتماع -الآن- يعملون علىٰ تقويتها في النفوس بشتىٰ الوسائل كما يذكر عن اهتمام (ألمانيا) بتقوية الإرادة ونحن أغنياء بتشريعات ديننا القويم الذي وضعه لنا العليم الحكيم جل شأنه، فلسنا بحاجة إلىٰ التطفل علىٰ غيرنا في التربية، إذ تربية أولئك مبنية علىٰ المادة الصرفة التي تقلق راحة الإنسان وتزيد من جموحه إلىٰ الشر بسببها.

وتربية الشارع الحكيم جمعت بين الروح والمادة بميزان تغلب فيه الروح وترجح فتسيطر علىٰ مشاعره عن الجماح والانحراف فالمسلم بحمد الله علىٰ بينة من أمره وحكم عليا في دينه الذي يتلوه شاهد منه لا يحتاج معه إلىٰ الاستشهاد بغيره، وإنما يحتاج إلىٰ التطبيق وأخذ ما أنزل الله بقوة ومن لم يتأثر بما يقوله وما يعمله من أركان الإسلام وشعائره تأثرًا روحيًّا ومعنويًّا تنسبك به أخلاقه وطبائعه، فليس جديرًا بحمل رسالته العظيمة التي أوجب الله عليه حملها في جميع نواحي الأرض ليصلح بها ما أفسد الناس ويكون مصدر العزة والحكمة ومنبع الخير والرحمة لما هيأه الله لما شرع في دينه لذلك.

والمسلمون ما قست قلوبهم وتقاعسوا عن واجبهم فكانوا عرضة لغزو

أعدائهم سياسيًّا وثقافيًّا إلا بسبب عدم تأثرهم بما يكررون قوله وفعله من أركان الإسلام وشعائره مما أصبح والعياذ بالله (كطقوس روتينية) بحيث غلبهم أصحاب المبادئ الوثنية والمذاهب المادية الجديدة التي يتفانون في نشرها وتركيزها بكل حماس وتضحية حتىٰ كسبوا أولاد المسلمين كسبًا رخيصًا بل اختفطوا بعقول الكثير من آبائهم أيضًا.

ولو أنهم تأثروا بما يقولونه ويفعلونه تأثرًا صحيحًا لأجج في قلوبهم نار الغيرة والانتصار لما أنزله عليهم من الحق محبة صحيحة له ولرسوله، فحملوا رسالتهم القويمة العظيمة الخالدة ودفعوا بها إلىٰ الأمام ودفعوا بها الباطل بسيوف الحق الدافعة، فلم يسمحوا له بالانتشار ولم يوجدوا له فراغًا ينفذ منه، بل شغلوا الفراغ بالحق بدلا من ان يشغلوا غيرهم بالباطل ووقفوا سدا منيعا أمام كل تيار بحيث يدفعوه حتىٰ يتلاشىٰ، كما دفعه أسلافهم الصالحون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فالدين الإسلامي دين حيوي بجميع تشريعاته القولية والفعلية والاعتقادية فكل شعيرة منه تعمر الضمير وتزيد في تقوىٰ الله ومحبته وتعظيمه وتحمل صاحبها علىٰ التفاني في نصرة دينه اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام.

الحج ومنافعه

الحج من أعظم المشاهد والمؤتمرات العالمية التي يزدوج فيها الدنيا والدين كما قدمنا ذلك، ولهذا فإن خصوم الإسلام يحسدون المسلمين عليه فيصموه بالوصمات الفاجرة، تنقيصًا لشأنه والإسلام الذي شرعه ويجدون من المتفرنجين الذين كسبتهم الماسونية كسبًا رخيصًا من يتقبل تلك الوصمات البعيدة عن الحقيقة وقد ذكرت في غير موضع أن الحج ليس من أعمال الجاهلية، بمعنىٰ أنه ليس منبثق منها وإنما هو من ملة إبراهيم إمام المسلمين وأبىٰ الأنبياء باني البيت الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦ – ٩٧].

وإن العرب لما كانوا في الأصل القديم مسلمين ثم كانوا علىٰ ملة إبراهيم صاروا يحجون البيت وينسكون المناسك ويقتبسون الأخلاق المنقطعة النظير من ملة إبراهيم، فقيامهم بأعمال الحج ناشئ من ملة ابراهيم وليس فيه شئ من وثنيتهم سوىٰ ما أحدث لهم الشيطان من التغييرات فيه التي أزالها الإسلام وأعادها إلىٰ ملتها الأولىٰ، كطوافهم بالبيت عراة من الثياب التي تلبسوا فيها بمعصية الله.

وقد أنصف المسلمين في الحج (فيليب حتي) حيث قال في تاريخه المشهور: (ولا يزال الحج علىٰ كر العصور نظامًا لا يبارىٰ في تشديد عرىٰ التفاهم الإسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتسنىٰ

لكل مسلم أن يكون رحالة مرة في حياته علىٰ الأقل، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعًا أخويًا، ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والعيثين والفرس والترك والعرب وغيرهم، أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أم صعاليك أن يتلاغوا لغة وإيمانًا وعقيدة وقدر أدرك الإسلام نجاحًا لم يتفق لدين آخر من أديان العالم، في القضاء علىٰ فوارق الجنس واللون والقومية خاصة بين أبنائه، فهو لا يعترف بفاضل بين أفراد البشر إلا الذي يقدم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين يعني من تقوىٰ الله ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدىٰ خدمة كبرىٰ في هذا السبيل).

انتهىٰ كلامه الموفق في الحج للصواب، مع أن له زلفات فظيعة في تاريخه، جره الحقد إليها أو التقليد لغيره خصوصًا في تغليطه للغزوات والأحكام وغيرهما مما هو خطير توجب علىٰ أنفسنا تحذير القارئ منه بمناسبة ما نقلناه عنه هنا حتىٰ لا يحصل الاغترار.

و(أقول): إن ما قاله عما أداه الحج من الخدمات للمسلمين سيتضاعف إن شاء الله مع حصول الوعي وارتفاع الكواليس الحسية والمعنوية عن المسلمين (وتخلصهم) من مخلفات الاستعمار من الغزو الفكري والمنتفعين من تركته وتوزيعه وتنفيذه.

وأعود الآن إلىٰ أولي الألباب الذين خصهم الله بالنداء لتقواه في الحج فأقول علىٰ ذوي الألباب أن يأخذوا عبرة عظيمة للتزود من التقوىٰ في حكمة الذبح ورمي الجمرات في (منىٰ) وذلك بالنظر إلىٰ أصل التشريع الإلهي ومنشأه

العظيم ومكانته المهمة في الدين إذ لا بد من معرفة سببه، وهو أنه لما كان لباب الدين صدق محبة الله الذي لا يحصل إلا بتقديم مراد الله ومحبوباته علىٰ مرادات النفس الإنسانية ومحبوباتها، ابتلىٰ الله أبانا إبراهيم بالامتحان الثالث فأمره بذبح ولده وهذا بلاء مبين لأن أحب محبوب وأعز مطلوب وأعلىٰ مرغوب عند الإنسان هو أبنه الوحيد الذي ليس له سواه والذي رزقه الله إياه عند

الشيخوخة فهنا تظهر حقيقة الامتحان والنجاح فيه أو السقوط فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علم المسلمين تعليمًا عمليًّا رائعًا للصدق الحقيقي مع الله أنه يفضلوا مراد

الله ومحبوباته علىٰ مرادات أنفسهم ومحبوباتها الغالية، فإنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بادر إلىٰ التنفيذ دون مبالاة بالعواطف النفسية ونجح في هذا الامتحان فرحمه الله و(شل) حركة السكين عن حلق ابن ابنه، وفداه بذبح عظيم، وجعلها سنة مؤكدة باقية في المسلمين إلىٰ يوم القيامة، ليعاملوا الله معاملة المحب لحبيبه، فيضحوا بمرادات أنفسهم ومحبوباتها في سبيل مراد الله ومحبوبه فإذا عرف الحجاج هذا المقصود الإلهي، والحكمة العظيمة من تشريع الهدي والأضاحي وأدركوا هذا السر العظيم عادوا يحملون لباب الدين الصحيح الذي يجعلهم لا يتوانون في تنفيذ شيء من أمر الله، لا تمنعهم لذة النوم وشهوة الفراش عن المبادرة إلىٰ صلاة الفجر تفضيلًا لمحبوب الله علىٰ محبوب أنفسهم، ولا يمنعهم الطمع في المادة والجشع في الربح عن ترك الغش والغبن والتطفيف وأخذ الربا وإنفاق السلع بالأيمان الكاذبة بل يتركون جميع هذا تفضيلًا لما يحبه الله من الصدق لما تحبه نفوسهم من الطمع ولا يمنعهم حب الشهوة والطمع في اللذة من غض

البصر والتزام العفة بحفظ فروجهم وتفضيلًا وتقديمًا لما يحبه الله من ذلك عن ما تحبه نفوسهم وتشتهيه، ولا يمنعهم الشح وحب الحياة من الإنفاق في سبيل الله والجهاد بأنفسهم وأموالهم تقديمًا لما يريد الله منهم علىٰ ما تريده أنفسهم الأمارة بالسوء، وهكذا يستفيد أولي الألباب من شعائر حجهم وما يتزودون به علىٰ التقوىٰ وأما في رميهم الجمار فينظرون ويعرفون أنهم (لا يرجمون) الشيطان وليس الشيطان بواقف لهم يرجمونه، إنما يرجمون المواقف التي وقف بها الشيطان لأبيهم إبراهيم فرجمه فيها، فهم يرجمونها لا لمجرد التكرار، ولكن للاعتبار والانتفاع، إذ يجب أن يتأملوا كيف عرف أبوهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن الذي وقف له شيطان، والشيطان لا يرىٰ بصورته وإنما وقف له بصورة رجل وقور يتساءل معه عما في يده من الحبل والسكين التي سيذبح بها الولد ويناشده الرحمة والحنان، فلما سمع منه تلك الفتنة التي يريد بها صده عن تنفيذ أمر الله، عرف أنه شيطان وقد تصور بهذه الصورة لغرض من الأغراض فرجمه بسبع حصيات تخسئة له، ولكن الخبيث لم ييأس، فوقف له موقفًا آخر بشكل آخر وزي آخر وخاطبه بفتنة أخرىٰ معرف أنه شيطان متمثل لفتنته، فرجمه حتىٰ ولىّ ولكنه لم ييأس من محاولة فتنته فوقف له وقفة ثالثة بشكل آخر وزي آخر محاولا فتنته بأسلوب آخر ولكن ابراهيم لم يتأثر إلا بزيادة معرفته له وزيادة صلابته معه قائلًا ما معناه: يا هذا مهما تشكلت أو اختلف منطقك فأنت (أزب العقبة) أي شيطان العقبة الذي وقفت له أول مرة في العقبة وليس عندي لك إلا الرجم، فرجمه الثالثة حتىٰ خسأه ويأسه وخيب ظنه قألوا الألباب من الحجاج يعتبرون الرجم لمواقف الشيطان ويأخذون من ذلك دروسًا وعبرًا ليعاملوا كل شيطان من شياطين الجن والإنس بالرجم المعنوي

الذي هو لعنه وبغضه وعصيانه والابتعاد عنه فيعرفون كما عرف أبوهم إبراهيم أن كل من يحاول صدهم عن أمر الله أو فتنتهم عن دين الله أو إشغالهم عن ذكر الله بأي أسلوب من أساليب الدعاية والنشر، فهو شيطان سواء كان صحفيًّا أو مذيعًا أو قصصيًّا أو كاتبًا أو شاعرًا أو غير ذلك فيرجموه ببغضه ورفض ما يبثه أو ينشره عليهم وهذا من بعض فوائد الحج.

ثم إن من الحج كمال الخضوع والانقياد لله بل فيه تجديد للعهد من الحاج بربه أن يلتزم أمره وأن يتلبب بحكمه اشعاره منذ إحرامه إلىٰ تحلله الأول برمي جمرة العقبة والحلق (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) يعني أنا منقاد لأمرك متوجه حيث وجهتني ومتلبب بحكمك لببًا معنويًّا لا حسيًّا لأنه مأخوذ من لبب الدابة الذي يخضعها لتحمل الركوب والحمولة فالحاج يكرر التلبية من صحيح قلبه كتكرير عهود الله إنه خاضع لتحمل ما حمله الله به من إقامات التكاليف الإسلامية جميعها وأمانة حمل الرسالة، والزحف المقدس بالدعوة عن طاعة واستسلام دون إكراه أو تطويق كالدابة الملببة بغير طوعها ورغبتها بل هو متلبب بذلك من تلقاء نفسه عن حبه العظيم.

فهذا الشعار الديني الجليل أعظم من الشعارات الجندية المهيجة لأن به إلغاء من المسلم الحاج بعياذة إلىٰ الله، وتحطيم لجميع ما تحمل نفسه من الإنانية وافناء لشخصيته السابقة وتجديد لشخصية منخلعة عن جميع وصفها المشوب بشتىٰ الملابسات باستشراف حياة نظيفة شريفة مقاطعة لجميع نزعات الشياطين، حياة جديدة في تفكيرها وجميع مقاصدها وأفعالها.

كمشروعية التلبية طيلة أعمال الحج لترهف شعور الحاج بأنه منذ فارق

أهله وبلده إلىٰ الحج فهو مقبل علىٰ الله سبحانه قاصد له فيتجرد عن عاداته ونعيمه وينسلخ من مفاخرة ومميزاته بحيث يساوي الغني الفقير ويماثل الصعلوك الأمير والوزير ويكون جميع الحجاج من جميع الطبقات في زي كزي الأموات فإن في ذلك من تصفية النفس وتهذيبها ما هو إشعار كامل بتحقيق العبودية لله وحده والأخوة لجميع المسلمين بشكل لا يقدر قدره.

ولهذا جاء في الصحيحين عنه ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» وهذا لأن الإقبال علىٰ الله تعالىٰ بتلك الهيئة والانكسار والتقلب في تلك المناسبات وفق الأمر المشروع، يمحو من النفوس ظلمة الذنوب آثارها السيئة ويدخلها في حياة جديدة بشخصية جديدة فإذا أولوا الألباب وأصفوا صدقهم مع الله بعد الحج بتلبيتهم لجميع أوامره وانطبعوا بذكره وتكبيده، ولم يدنسوا صحائفهم الجديدة بطاعة الشيطان والهوىٰ وسيطرت عليهم عبودية الله في جميع نواحي سلوكهم وحياتهم.

ويصنعون حضارة انسانية كاملة علىٰ ضوء الإسلام، وينيرون الطريق لتحرر الإنسانية تحررًا من الإرهابات والصغور لأن الناس لا يتقبلون الدعوة إلىٰ عقيدة خصوصًا في هذا الزمان حتىٰ يروا مصداقها الواقف متمثلًا في حياة أهلها بالمشاهدة.

ولهذا أجرىٰ الله حكمته في تنوع العبادات ليربي المسلمين تربية مثالية يجعل من أهلها قدوة صالحة ينجذب إليهم بسببها أغلبية البشرية المتطلعة إلىٰ التحرر الصحيح والحضارة الحقيقية وهذان لا يحصلان أبدًا في مجتمع يخضع بعضه أو اغلبيته لفنون أفراد ومطالبيهم وتشريعاتهم النابعة من أهوائهم

والخادمة لأغراضهم والمقدمة الحامية لأشخاصهم فقط فإن هذا مجتمع متخلف مستعبد لأن بعضه أرباب وغالبية عبيد فهم مهما حاولوا قلب الحقيقة بدعوىٰ التقدمية والتحرر فإنها تقدمية العذاب العاجل في الدنيا من البؤس والشقاء والتنكيل وفساد الأعراض وإهدار الكرامة إنها تقدمية نحو البهيمية بل البهيمية أفضل، وإنه تحرير من الإنسانية وانسلاخ عنها وانما يحصل التحرر الصحيح والتطور النافع والتقدمية والحضارية الصحيحة بإطراح هذه الجاهليات الجديدة التي هي أفظع وأشنع وأسفل من الجاهلية الأولىٰ التي حاربها رسول الله ﷺ وواصل أصحابه من بعده محاربتها وأقاموا الحضارة الإسلامية المعروفة التي لا ترىٰ في الدنيا كلها من خير إلا هو من بقاياها وآثارها، وحرروا أكثر العالم من رق الطواغيت السياسيين والروحانيين، فإن الجاهلية مهما تنوعت أسماؤها وزخرفت ألقابها وطبل لها المطبلون وزمروا فكلها ترجع إلىٰ معنىٰ وقاعدة خبيثة لئيمة هي إقامة الفكر البشري إلهًا علىٰ الناس من دون الله يبرر بأسمه من لا يرجع إلىٰ الله في أي شأن من شئون الحياة بل يبرز هذا الفكر أقزاق يستهترون بمقدرات الناس.

فمشروعية الله الحج وغيره من عبادات الإسلام المتنوعة هي تحرير لفعل الإنسان من الأوهام والأضاليل التي علقت به مكر الدجاجلة والطواغيت وتظهير لقلب الإنسان وتصفية له من محبة غير الله والتعلق بغير الله وتخليص له من وشائج الأرض والطين وعصبية الجنس المفرقة بين البشرية.

ولهذا تجد جميع آيات الأحكام مختومة بالوصية بتقوىٰ الله أو لما يقتضي التخويف من الله ومهماتها يوجه الله في نداءه الىٰ ذوي العقول والألباب كهذه الآية التي أطلت الكلام عليها ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

وفي تخصيص الله نداءه بالتقوىٰ لأولي الألباب تعريف بان من لم يتق الله فليس له لب ولا عقل فطري استقلالي وإنما عقله مؤتشب أو مصادر بداعيات الأباطيل المتنوعة وقد سبق الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١] فهم فقدوا العقل الروحي الذي يتحقق لهم بوجوده حسن المصير في الدنيا والآخرة ويكتسبون به الحياة الطيبة وتتوفر به طاقاتهم ويحصدون به علىٰ الأمن والطمأنينة وإن كان لهم أذهان يستطيعون بها الإبداع في الصناعات والمخترعات ويستطيعون بها علىٰ المكر والعهر السياسي المتقلب الذي لا يحصدون منه سوىٰ الشرور لأنه عقل مادي يشبه ما تحمله بعض الحيوانات من العمل لصالح حياتها المادية.

التقوى ودعائم الإيمان

التقوى ودعائم الإيمان

أصل التقوىٰ - في اللغة - مشتق من التوقي وهو طلب الوقاية عما يضر أو يؤلم وبما أن كل مخلوق مفطور علىٰ التوقي من كل ما يؤلمه أو يضره حتىٰ أنه يتوقىٰ من حر الشمس ومن ألم البرد باللجوء إلىٰ ظل سقف أو حائط أو شجرة أو مغارة أو إلىٰ مواقع الكنىٰ والدفء، ولبس ما يقيه فاقتضت رحمة الله بخلائقه في الأرض وهم بنو آدم أن يرشدهم لما يقيهم وقاية حسية ومعنوية لما يضرهم في الدنيا والآخرة نتيجة عصيانهم له وتجاوزهم حدوده بتقريره المصير المترتب علىٰ ذلك في الدنيا والآخرة ليأخذوا لأنفسهم وأهليهم وقاية من العذاب ويبوئوا أنفسهم المنازل العالية في الجنان الباقية باجتناب ما حرمه الله، والمسارعة فيما يرضيه فيكونوا من المتقين المنتفعين بهداية القرآن.

وقد حصر الله عناصر التقوىٰ بالإيمان بالغيب وما يتفرع عنه من جلائل الأعمال، فقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ البقرة.

ذلك لأن الإيمان بالغيب يجعل من ضمير الإنسان رقيبًا باطنيًّا يراقبه في كل عمل ويخوفه من عقوبات الله.

فالمؤمن بالغيب علىٰ الحقيقة هو الذي يستشعر دائما مشاهد يوم القيامة، وكل ما يرىٰ في الدنيا من صنوف اللذات والنعيم ويذكر به نعيم الجنة، الذي هو خير منه وأبقىٰ فيبادر إلىٰ الأعمال الصالحة ويكون إنسانًا صالحًا وكل ما يرىٰ في الدنيا من أصناف الشرور وحر النار فيذكر به عذاب جهنم، وشدة حرها فيرتدع عن الشهوات، ويكبح نفسه عن جماحها ولا يطلق لها أنانيتها، من أنواع

الطمع والشره، في مال أو عرض أو أي نوع من أنواع التسلط والاغتصاب.

وكلما رأىٰ جسر أو غيره، ذكر الجسر الممدود علىٰ متن جهنم، والذي ليس له طريق إلىٰ الجنة إلا بعبوره وهو جسر أحد من السيف وأرق من الشعرة، لا يعبر بالأحذية والأرجل ولا بوسائط النقل المتطورة، وإنما يعبر بصالح الأعمال وحسن المقاصد.

فيتذكره ذلك يكف عن كل ما تحدثه به نفسه مما يخالف حكم الله، ولهذا كان المسلمون المؤمنون الذين ت تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ في مسجد الطين والعريش منطبعين بالإيمان الصادق بالغيب المنتفعين انتفاعًا كاملًا بهداية القرآن فكانوا أصلح الخلق وأنصح الخلق للخلق وأرحم الخلق بالخلق متمثلين قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٥] ﴿۞ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

بخلاف من تأثروا بحب الدنيا فاختلط معينهم بل علىٰ خلاف الماديين الذين شقىٰ أهل الأرض من جراء أنانيتهم وجروا علىٰ الإنسانية ويلات الحروب الفتاكة والذين بسببهم تجري عدة حروب طاحنة في قرن واحد، كالحربين الماضيين وغيرهما وكالحرب المقبلة التي يصنع لها كل سلاح فتاك ستتجرع الإنسانية ويلاته كل هذا سببه عبادة المادة والولوع بالأنانية والشهوات فإن الإنسان خلق ظلومًا لا يرفعه من جهله ولا يردعه عن ظلمه إلا التقوىٰ الصحيحة الناشئة عن الإيمان بالغيب، وسيأتي بيان الله لأصناف الناس الثلاثة:

المؤمنين والكافرين والمنافقين.

وإن الذين يستحقون الامن في الدنيا والآخرة ويحصل بسببهم الأمن في الدنيا والعدل والرحمة هم المؤمنون.

أما عبادة المادة من الكافرين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس ولا هدف لهم سوىٰ المادة والأنانية المسعورة فإنهم هم الذين تشقىٰ بهم الأرض ويفقد أهلها الأمن والراحة والكرامة والعيشة الراضية.

وبعكس ما يزعمه بعض العلمانيين ممن أبرزته الثقافة الماسونية في ميدان الصحافة هذا الزمان - حيث زعم بكل إفك ووقاحة إن الدين الذي هو سبيل تأمين ما بعد الحياة قد

ذهب بأمن الحياة ذاتها وزعمه هذا أقبح المغالطات وأفحش أنواع الكذب المفضوح لأن الذي يترسم خطىٰ الدين طامعًا بتأمين ما بعد الحياة هو الذي يسعىٰ للحصول علىٰ الأمن الصحيح في الدنيا، كي يناله في الآخرة.

فالمتقون لله الواقفون عند حدوده في كل شأن من شؤنهم السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والحربية، هم الذين يعملون لتحصيل الأمن في الحياة الدنيا، وعلىٰ العكس من يرفض تعاليم الدين ويسلم وجهه لغير الله في كل ما يهداه فهذا هو الذي يسعىٰ لشقائه وشقاء البشرية بما ينتهجه من ضروب الأنانية وقصد النظر علىٰ المادة النفعية لما هي الحال المشاهدة في هذه العصور وما قبلها، فإن جميع الخلافات التي أدت إلىٰ الحروب وفساد القلوب سببها الميل عن الدين إلىٰ الأغراض النفسية المتنوعة التي جنىٰ بعض أهلها علىٰ الدين بالتأويل والتحريف لتوسيغ خطئه ومقاصده حيث ضعفت الركيزة الدينية

التي هي الإيمان بالغيب، أو انعدمت.

والعجب أن الذين رموا دين الله بما هو منه براء قد عموا وصموا عن المجازر والحروب الهائلة التي سببها مجرمو الحرب من الشرق والغرب.

فهل يعتبرون حروب التتار ومقدماتها الخبيثة والحرب العالمية الأولىٰ وحرب القرم قبلها؟

والمجازر الوحشية في روسيا والحرب العالمية الثانية التي سببتها النازية والمخططات الماسونية اليهودية لإقامة الثورات وبث الإرهاب في الشرق الأوسط ... هل يعتبرون جميع هذا من وبال الدين؟!

أم من وبال الافتيات علىٰ الدين وانتهاج الأنانية والنفعية والانتهازية ما أظلمهم! وما أشد جنايتهم علىٰ العقول وجرائتهم علىٰ الله بهذا الإفك الصريح المفضوح.

ولكن الله غالب أمره جعلهم ينادون علىٰ أنفسهم بالحماقة والكذب نداء يقرؤه ويسمعه كل مؤمن.

ثم إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فصل بعض الصفات الرئيسية للمؤمنين بالغيب المنتفعين بالقرآن، الذين لا يجري منهم شر علىٰ أهل الأرض، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣].

لم يقل: (يصلون) بل قال (ويقيمون).

تمييزًا منه - سبحانه - للصلاة الحقيقية عن الصلاة التقريرية فالصلاة الحقيقية صلاة القلب الصلاة الخاشعة صلاة القانتين الخاشعين. والصلاة من

آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين لأنها من أعظم روافد العقيدة ودعائم الإيمان ولهذا تكررت في اليوم خمس مرات ولم يعذر المسلم بالتخلف عن إقامتها حتىٰ حال المرض والخوف.

والسر العظيم في تكرارها أنه كحمام روحي لغسل الذنوب وتطهير القلوب فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهرًا غمرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقىٰ من درنه شيء؟ قالوا: لا قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

ثم إن الصلاة تجمل ونظافة كما قال تعالىٰ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ ففيها يشرع الستر ويشرع الوضوء وقد جعل الله الوضوء كفارة للأعضاء المنصوص عليها في الوضوء مما تجزئه من الخطايا، لأنها أسرع ما يتحرك في البدن لمخالفة رب العالمين. ثم إن في الصلاة قوة روحية حيث يتصل صاحبها بالقوة الخفية مرارًا عديدة في اليوم والليلة فتمده هذه القوة الروحية بقوة معنوية يجابه بها المتاعب والصعاب، فيكون شجاعًا مقدامًا صبورًا ذا رباطة جأش وصدق عزيمة لا يعرف الانهزامية أبدًا، ومع ذلك تورثه قوة خلقية تدفعه إلىٰ فعل الخير وتصرفه عن فعل الشر.

ومع ما قلناه فإن في إقامتها جماعة مزايا أخرىٰ كبيرة، فإن في المسجد رسالة الجهاد الصحيحة، والتربية العسكرية فالمسجد خير مؤسسة عسكرية وخير جامعة علمية شعبية، وخير مجتمع ديني ومعهد للتربية الروحية، وفي المسجد يتحقق الإخاء والمساواة والحرية الحقيقية حرية الضمير العميقة.

فأعظم روافد العقيدة هي الصلاة، ولقد أثنىٰ الله بها في وصف المتقين ثم

ثلث بالزكاة وما يتبعها من حقوق الأموال فقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. فيجودون ببذل الزكاة الواجبة والصدقات المندوبة وغيرها من حقوق المال الذي يعتبر إعطاؤه مع حبه من أكبر علامات الإيمان والتقوىٰ والزكاة هي الركن الثالث في الإسلام وهي حق لأربابها المذكورين في القرآن وليست تفضلًا من ذوي الأموال ولذا كانت المنة فيها من كبائر الذنوب وماحية للثواب.

وفيها طهارة حسية ومعنوية، فهي طهارة لنفس الغني من الشح البغيض وطهارة لنفس الفقير من الحسد والضغينة علىٰ الأغنياء الكانزين البخلاء والشح آفة نفسية خطيرة تحدو بصاحبها إلىٰ سفك الدم، أو بذل العرض أو بيع العقيدة وأرخاص الوطن فلن يفلح من كان الشح سجيته ومن أوصاف المتقين المؤمنين بالغيب وسماتهم العظيمة أنهم لا يتحيزون لنبي دون نبي من أنبياء الله، لأن هذا كفر من جهة أو مجلبة للطائفية والشقاق من جهة أخرىٰ ولذا قال الله تعالىٰ في شأنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤] فإن هذا الإيمان بالأنبياء السابقين هو أولًا من ضرورات الإيمان بالغيب وثانيًا: إنهم في منزلة واحدة من وجوب الإيمان.

فالإيمان بالقرآن يستلزم الإيمان بجميع الكتب المنزلة من الله علىٰ رسله كما أن الإيمان بمحمد ﷺ يستلزم الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وقد أعلن الله كفر من آمن ببعض رسله وكفر ببعضهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١].

فالعليم الحليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم أنه لا يحصل الوفاق والإنفاق مع أي أمة بعض شعوبها يؤمن بنبي ويكفر بما سواه وبعضهم يؤمن بنبي آخر ويكفر بغيره بل ينقلب الوفاق والاتحاد إلىٰ فرقة وشقاق بعيد هذا في حال أمة واحدة فكيف بحال أمم شتىٰ؟

بل هذا من الشقاق فيمن لم يسلك مسلكًا حصرا إجماليًّا مطلقًا حيث قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ومما ذكرناه أن يتضح أن وصمة ... بعض العصريين للدين بأنه مدعاة للطائفية المفرقة بين شعوب الأمة هي وصمة فاجرة معاكسة للحق والحقيقة من واقع دين الإسلام وتاريخ أهله ذلك أن دين الله الحق دين الأنبياء والمرسلين دين لا يعرف الطائفية أبدًا لأنه يوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وما أنزل إليهم بدون تفريق.

وإنما تتكون الطائفية ويحصل الشقاق ممن لا يؤمن إلا بنبيه فقط ويطعن فيمن عداه كاليهود الذين لا يؤمنون إلا بموسىٰ والتوراة والنصارىٰ الذين لا يؤمنون إلا بعيسىٰ والإنجيل بل يرفعون عيسىٰ فوق منزلته وغيرهم من أمم الكفر كالمجوس والبوذيين فمنهم نشأت الطائفية وتفاقم أمر الشقاق ولكن المتتلمذين من ملاحدة النصارىٰ اغتروا بإفكهم وصدقوهم في رمي الدين الحق بدائهم وما أسفه من تنكب عن وحي الله وطلب الرشد من غير صراطه المستقيم.

ثم وصف الله المتقين حقيقة بهداية القرآن بكمال إيمانهم بالغيب فقال:

(وبالآخرة هم يوقنون) [البقرة: ٤] ومن توضيح شأن المُسلِّمين بالغيب أنهم دائمًا يستشعرون مشاهد يوم القيامة علىٰ الدوام.

والإنسان لا ينتفع بسمعه وبصره وقلبه إذا هو فقد الحاسة الدينية التي هي الإيمان بالغيب والإيقان بالآخرة.

والغيب هو ما غاب وحجب علمه عن النفوس وخالف المحسوس فلذا كان للمؤمنين به ميزة عمن سواهم بحصول التقوىٰ والمنفعة بالقرآن والاندفاع بأحاسيسهم الباقية باقتران الحاسة الدينية إليها، ومن عداهم فإنهم أضل من الأنعام بل هم شر الدواب كما وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال: ٥٥] وقال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقد وصف الله المتقين بخمس صفات جامعة لخصال الخير وكفيلة بتحصيل السعادة في الدارين؛ ولهذا خص الله الفلاح والهداية فيهم حيث قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥].

وقد قال الأصوليون واللغويون أن الإتيان بضمير الفصل بين الوصف والإشارة دليل علىٰ الحصر والاختصاص، وذلك بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ لأنهم بإيمانهم بالغيب وإيقانهم بالدار الآخرة انطلقوا من جدران الحس والتفكير السطحي والأفق الضيق المحدود إلىٰ العالم الرحيب والأفق الواسع الذي يصور لهم تفاهة عيشهم وقصر عمرهم علىٰ هذه الأرض وأنها مزرعة يجني حصارها بعد إنتهائها وأنها ابتلاء واختيار.

والفلاح معناه الفوز وأصله في اللغة: شق الأرض ومنه سمي الحارث فلاحًا.

فالمفلحون هم الفائزون بتحصيل مطالبهم جميعًا بما فيه صلاح أحوالهم قال ابن الأنباري: ومنه (حي علىٰ الفلاح) أي هلموا إلىٰ سبيل الفوز ودخول الجنة. ثم إن انطلاق الهداية والفلاح لهم معلق بشمول جميع أنواع الهداية والفلاح في شئون دنياهم وآخرتهم ومقدماتها من حضور الموت ونعيم البرزخ، ودخول الجنة.

لا تجعلوا للّه أنداداً

لا تجعلوا لله أندادًا

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥] فهو بيان لحال الذين لا يعقلون حقيقة الآية السالفة وأخواتها من شواهدها التي ذكرناها، ولا يفهمون حقيقة الألوهية فإنه سبحانه لما ذكر وحدانيته وبيَّنها بالأدلة الحسية والمشاهدة والبراهين الساطعة الموصلة إلىٰ علم اليقين الذي لا يخالطه شك والتي لا يجوز للعقول إنكارها ممن يتخذون من دون الله أندادًا مع وجود هذه البراهين الدالة عليه وعلىٰ وحدانيته وعظيم رحمته فما أحسن اتصال هذه الآية وارتباطها بما قبلها من الآيات فإنه بيَّن وحدانيته بالأدلة القاطعة التي لا يعتريها الشك وأوضح عظيم رحمته، ذكر بعدها أن من الناس بعد هذا البيان الواضح القاطع من يتخذ من دون الله أندادًا لله نظراء له وأمثالًا يَكِلون إليهم الأمور، ويعقلون عليهم الآمال، ويحبونهم ويعظمونهم كحب الله وتعظيمه أو أشد من ذلك ويتقبلون ما يصدر منهم برحابة صدر وانشراح خاطر، ويلتمسون لهم المعاذير إذا أخطأوا ويجعلونهم أندادًا لله في التشريع والتعظيم والتعيين علىٰ خلاف شرع الله وحكمه ويسلكون ما يخطونه لهم من مناهج الحياة في جميع شئونها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ويُلَبِّسون علىٰ دهْماء الناس بقلْب أخطائهم إلىٰ صواب، وأضرارهم إلىٰ مكاسب وهزائمهم واندحارهم إلىٰ عز ونصر ويحيطونهم بهالات من التقديس.

هذا نوع من أنواع اتحاد الأنداد في الأمور الدنيوية التي لا يجوز لهم أن يجعلوا فيها شيئًا من الأمر إلا الله وحده، وهم بذلك مشركون بالله شرك تعطيلٍ حيث عطلوا الله عن جميع حقوقه في شئون الحياة، كأنه إله في السماء لا في الأرض إن هم اعترفوا بالإله والله سبحانه يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤] فشركهم شرك تعطيل يعتد من أفظع أنواع الشرك وأشنعه.

وهناك نوع آخر من اتخاذ الأنداد يلتمسون منهم الخير والبركة والرحمة ويدفعون ببركتهم البلاء والنقمة فيما يزعمون كالذين يقدسون الأحجار والأصنام أو القبور أو المجذوبين من يزعمون فيهم الولاية، فهؤلاء شركهم شرك تحريف وهناك نوع ثالث ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، يأخذون عنهم الدين والتشريع فيبيحون ما أباحوه، ويحرمون ما حرموه من دون الرحمن كما ذمَّ الله اليهود والنصارىٰ وأطلق عليهم اللعنة فالذين يضاهئونهم في ذلك لهم مثل حكمهم ممن اتخذوا لله أندادًا و(الند) في اللغة هو المثل، وزاد فيه بعض اللغويين قيدًا فقال: إنه المماثل الذي يعارض مثله ويقاومه وهذا القيد يصدق في بعض الأنداد دون بعض، فإنه يصدق في أنداد العصريين الذين اتخذوهم أندادًا من دون الله باسم الزعامة والقومية أو الوطنية أو المذهبية، فإن زعماء المذاهب المادية والمبادئ الأخرىٰ قد عارضوا الله في حكمه وتشريعه، بل عارضوه في أصل الأصول من دينه القويم، حيث جعلوا المحبة والموالاة تابعة لرابطة الجنس ونابعة منها، لا تابعة لرابطة الدين، ولا نابعة منها، كما يوجبه الله، وهذا عين المحادة لله والمعارضة له فيما يوجبه ويحبه، ولهذا كان شركهم وكفرهم أعظم من شرك المنحرفين الذين يتخذون

الأنداد وسطاء يقربونهم إلىٰ الله ويشفعون لهم عنده ويقضون حاجاتهم بخوارق العادات أو يقضيها هو سبحانه لهم من أجل هؤلاء الأنداد محتجين لعقيدتهم الفاسدة أن المذنبين المقصرين لا يستطيعون التوصل إلىٰ الله بأنفسهم دون واسطة بينهم وبين الله كهؤلاء الأنداد، وهذا قياس فاسد من أفسد القياس وأخبته؛ لأنهم يقيسون الله علىٰ خلقه من الأمراء والملوك والرؤساء مع المذنبين من رعاياهم فهؤلاء قد يعفون عن المجرم الكبير بسبب الشفيع الذي يرجونه أو يخافونه أو يقدرونه، ويعاقبون أصغر مذنب ليس له شفيع، وذلك بجهلهم بأحوال الرعايا وهذا جهل وجور يجب تنزيه الله عنه.

ولهذا أوجب الله قتالهم وأباح دماءهم ونساءهم وأموالهم لأنهم جعلوا الله مثل السوء، وظنوا به ظن السوء، وافتروا عليه في جعلهم شفعاء من دونه لم يأذن لهم بالشفاعة فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨] وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والأنداد جمع ند، وهي عند جمهور العلماء أعم من الأصنام والأوثان، وتشمل بمعناها الأحياء والأموات والصامتين والناطقين.

فجميع متخذي الأنداد مشركون علىٰ اختلاف أنواعهم، ولكن أشدهم شركًا هم أهل الصنف الأول الذين اتخذوا لهم أندادًا من دون الله وهم زعماء مبادئهم العصبية الحزبية أو مذاهبهم المادية كما أوضحناه أول البحث لأن

شركهم شرك تعطيل خال بالكلية من تعظيم الله والالتفات إليه.

وقد كنىٰ الله عن الأنداد بضمير (هم) في قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ كتابة عمن يعقل لأن الذي لا يعقل منها قد نزل أربابها منزلة من يعقل، والكاف من قوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ في موضع نصب صفة للمصدر المحذوف أي حبا كحب الله والمصدر مضاف إلىٰ المفعول تقديره - كحبهم لله - أو كحب المؤمنين الله.

ولا يرغب ممن فعل الأسباب إلىٰ التعلق بالأنداد والشفعاء إلا ثلاثة أنواع من الناس.

أحدهم: من كان قليل الثقة بالسبب، وخالقه ومصدقه، بالضعف عقيدته، أو جهله بالتوحيد، فيتعلق بأنداد يختارهم أو يفرضون هم سلطانهم عليه.

ثانيهم: من كان يجهل الفرق العظيم بين الخالق والمخلوق بقياسهم الفاسد الذي أسلفناه من قياسهم لله جل شأنه علىٰ حكام الدنيا الذين يجهلون أكثر أحوال الرعايا.

ثالثهم: جاهل يطلب ما هو أعجل من السبب، كالمريض الذي يستبطئ العلاج الطبي الصحيح فيطلب شفاءه ممن يعتقد فيهم السلطة الغيبية، كالكهان، ومحضري الجن، وغيرهم.

وأشنع الأصناف الثلاثة هم أهل الصنف الأول الذين اتخذوا الأنداد الناطقة وتقبلوا ما يصدر منها ولم يعارضوها في إباحة محرم أو تحريم حلال.

وفي قوله سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أو ﴿يَتَّخِذُ﴾ دليل واضح علىٰ أنه ليس لله ند، وإنما المشركون علىٰ اختلاف أنواعهم في كل عصر جعلوا بعض الناس أو

بعض المخلوقات أندادًا له تسمية مجردة عن أي معنىٰ كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣] وقال في سورة النجم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ﴾ [النجم: ٢٣] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، يعني أن حبهم لله أشد من حب أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، ولم يشركوا به شيئًا فكان حبهم له ثابتًا خالصًا كاملًا.

فهم أحبوا من يستحق المحبة علىٰ الحقيقة، أحبوا الخالق البارئ المصور القادر القاهر، الرازق، المدبر، الرحمن الرحيم، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفلاحه وفوزه في الدارين.

بخلاف المشركين، فإنهم أحبوا من لا يستحق شيئًا من المحبة فقد أحبوا ما فيه شقاؤهم وفساد أمرهم وشفائه، لقد أحبوا ما يجب بغضه وعداوته ومنابذته كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أحباب قومه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧].

فالمؤمنون لهم محبوب واحد وهو أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وآبائهم وعشيرتهم وأوطانهم، يحبونه أعظم من حب هذه المحبوبات لأنهم يعتقدون أن كل شيء منه وهو وحده مالكه والمتصرف به.

وقد أسلفنا في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في المجلد الأول من صفوة الآثار، أن مصدر الحب شيئان: الجمال والإحسان فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

وهذا فحب المؤمنين لله يدفعهم إلىٰ جعل حياتهم كلها له، كما أن مماتهم له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وكذلك بجعلهم حب الله يوحدونه في التشريع، لا يبتغون بشريعته عوضًا ولا بديلًا، معتقدين كفايتها، ومستيقنين أحقيتها وصلاحيتها للحياة في كل عصر إلىٰ يوم القيامة.

هكذا هم المؤمنون الصادقون المخلصون في حبهم لله، وأما متخذوا الأنداد من دون الله فهم علىٰ نقيض جميع ما ذكرناه والعياذ بالله.

فهم لا يقبلون حكم الله في كتابه ووحيه المبين، ولا يذعنون إلا لحكم رؤسائهم وقادتهم الذين جعلوا لهم حقوق الله من المحبة والتعظيم، فقد ظلموا أنفسهم بتدنيسها بالشرك، وظلموا الناس بما غشوهم به من زخرف القول غرورًا ومن دعوىٰ العمل للإصلاح إفكًا وفجورًا وظلموا حق الله ببخسه

فلشدة ظلمهم المتنوع قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥] جواب (لو) محذوف وهو أبلغ في الوعد والوعيد لأن الموعود والمتوعد إذا عرف قدر النعمة والعقوبة وقف ذهنه علىٰ ما عرفه ولكن إذا لم يعرف ذهب تفكيره إلىٰ ما هو أعلىٰ وأشد وأفظع من ذلك. وقراءة الجمهور (يرىٰ) بالياء، و(يرىٰ) هنا من رؤية القلب، فتفتقر إلىٰ مفعولين ويكون قوله (أن القوة) ساد مسدهما، وقيل المفعولان محذوفان- أن القوة – معمول جواب (لو) أي: لو علم الذين ظلموا

باتخاذهم الأنداد لعلموا أن القوة لله في النفع والضر.

ويجوز أن يكون (يرىٰ) بمعنىٰ علم المتعدية إلىٰ مفعول واحد فيكون التقدير: لو عرف الذين ظلموا بطلان اتخاذهم الأنداد، أو لو عرفوا مقدار العذاب لعلموا أن القوة لله، أو لو عرفوا أن القوة لما اتخذوا الأنداد، وقيل: (يرىٰ) هنا من رؤية البصر، يعني لو شاهدوا آثار قوة الله لما اتخذوا من دونه أندادًا.

وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب (ولو ترىٰ) بناء علىٰ أن الخطاب لرسول الله ﷺ أي لو رأيتهم وقت ذلك لرأيت أمرًا عظيمًا وخطبًا فظيعًا جسيمًا، ولكن سياق الآية يشعر بصحة القراءة الأولىٰ، والظلم في اللغة العربية هو الاعتداء من جهة والانتقاص من جهة أخرىٰ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقال: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣] أي لم تنقص منه شيئًا. فكل من تجاوز حدود الله في أصول دينه أو فروعه كان ظالمًا.

ومتخذو الأنداد من أظلم الناس، سواء كانت أندادهم وسائط وشفعاء يعدلون بها الله في المحبة والتعظيم أو كانت أندادهم من الرؤساء والزعماء الذين يطيعونهم ويتبعونهم وينزلون علىٰ أوامرهم ونواهيهم فيما يخالف دين الله وحكمه القويم، ويحبونهم ويعظمونهم علىٰ ما هم عليه من مخالفة ملة إبراهيم وهدم الدين من أساسه، والحكم بخلاف الشريعة كما هو حاصل من الزعماء العصريين، مما أسلفنا وكررنا توضيحه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

والمشركون علىٰ أصناف: منهم من تجاوز حدود الله في محبة الأولياء والصالحين فصرف إليهم مخ العبادة الذي هو الدعاء والاستعاذة والاستعانة والذبح والنذر والخشوع والخضوع والخوف فجعلوا للأنبياء والأولياء الموهومين أعظم مما جعلوه لله عن ذلك، فكانوا ظالمين بهذا التجاوز لحدود المحبة المطلوبة، والآخرون من متخذي الأنداد ظلموا أنفسهم وأتباعهم بانتقاصهم حق الله، بل انتقاصهم لجنابه الكريم، وتهكمهم بوحيه المبين، واتباعهم ما خطته شياطين الإنس من أفراخ اليهود والنصارىٰ من المبادئ والمذاهب المخالفة لدين الله أصلًا وفرعًا فالله سبحانه يخاطب الظالمين جميعًا من هؤلاء وهؤلاء قائلًا: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] يعني لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله علىٰ كل من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لحصل منهم ما لا يوصف من الحسرة والندم ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم وحذف الجواب كما قدمناه متصل كثيرًا في اللغة.

وقد عبر الله عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوع وعيد الله، وأن خبره سبحانه حق وصدق وكذلك مجيء حرف (إذ) في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، فإذ حرف ظرف تدل علىٰ الماضي، وقد وقعت هنا بلفظ المستقبل لأن خبر الله عن المستقبل كخبره عن الماضي لتحقق وقوعه، فهو سبحانه يصور لهم يوم القيامة كالمشاهدة موضحًا لهم أن القوة لله جميعًا يظهر تصرفها المطلق في كل وجود ويتمثل لهم سلطانها كالمشهود فقوته التي تدير عالم الآخرة هي عين القوة التي في عالم الدنيا، وأنها قوة واحدة لا تأثير لغيره فيها

أبدًا، ولكنه يؤجل العذاب العظيم المقيم عن الظالمين في الدنيا وإن عجل لهم بعض العقوبات الدنيوية زيادة انتقام منهم، أو تأديبًا لهم لعلهم يرجعون حسبما اقتضته حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الجملة الواردة في قوله تعالىٰ: تحتوي علىٰ المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر ليحصل الارتداع، وهل الرؤية للعذاب علمية أو بصرية؟ قال الجلال المحلي: إنها علمية وقال غيره: إنها بصرية، ولكن سلطت علىٰ العقول لإنزاله منزلة المحسوس فكأنه قال: (لو يتمثل لهم الأمر ويتشخص لرأوا أمرًا هائلًا فظيعًا لا يتصور له نظير) وهذا تفسير لطيف لا يوجد أبدع منه.

وينبغي أن يعلم تفاقم شر الأنداد، وأن المسلمين قبل العصريين قد ابتلوا بأنداد جاءتهم من جهة التصوف الذي ظهر قديمًا بمسالك صحيحة ومقاصد حسنة، وكان الغرض منه تهذيب الأخلاق وترويض النفس بأعمال الدين وجذبها إليه وجعله وجدانًا لها، فصار بينهم وبين الجامدين من الفقهاء خلاف، وكانت الدولة للفقهاء لحاجة الحكام إليهم مما اضطر الصوفية إلىٰ إخفاء أمرهم ووضع رموز خاصة، وصاروا لا يقبلون دخول أحد معهم إلا بشروط واختبار طويل ومن شروطهم أن يكون أولًا طالبًا ثم مريدًا ثم سالكًا وصاروا يختبرون الطالب في جميع أطواره ليعلموا هل هو صدق الإرادة أو هو يريد مجرد الاطلاع علىٰ أحوالهم، ثم بعد الثقة به يأخذونه بالتدريج إلىٰ نهاية المراحل.

ثم بلغ الأمر أن جعلوا للشيخ (المسلك) سلطة خاصة علىٰ مريديه، حتىٰ أوصوا أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، لأنه يعرف أمراضه

الروحية فيغسلها، وأوجبوا عليه التسليم في كل شيء بلا منازعة سوىٰ نقاش ظاهر دليله، فكان من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء، زاعمين أن الوصول إلىٰ العرفان لا يكون إلا بهذا، ثم أحدثوا إظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لأجل تذكر سلوكهم لأن التذكرة من أسباب القدوة وهي طريق التربية فغشهم إبليس كما غش القدامىٰ قبل قوم نوح ليؤول الأمر إلىٰ دعائهم واللجوء إليهم وجعلهم وسائط بينهم وبين الله، فانقلبت مقاصدهم الحسنة إلىٰ ما يريده الشيطان من تعظيم القبوريين وجعلهم أندادًا لله.

ثم ازدادوا علىٰ هذا شيئًا آخر وهو أشد قبحًا وهدمًا للدين، وهو قولهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر فإذا اقترف أحدهم ذنبًا وأنكر عليه منكر ... في هذا المجرم إنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه وقالوا فيمن أنكر عليه من أهل الشريعة فلا التفات إليه وتوسعوا في ذلك حيث جعلوا للعبادة حتىٰ ينتهي إليه العابد ثم يكون من أهل اليقين الذين لا تكليف عليهم،... لهذا المقصد قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] فجعلوا اليقين وصول العابد إلىٰ شيء من الروحانية تنتهي عنده العبادة والعياذ بالله.

يجعلون اليقين الموت الذي عنده ينكشف الغيب فيكون يقينًا فخالفوا ... القرآن باللغة والمنقول الصحيح إلىٰ خرافات شيطانية.

وهذا وليعلم أنه ليس جميع المتصوفين علىٰ هذه الحال وليس البارز منهم المشهور الذي تؤيده السياسة الخفية الماسونية ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء بوا علىٰ كثير من الأمة اتخاذ الأنداد بتقديس الضرائح والمجذوبين وغير ذلك وإلا ففي الصوفية قوم صالحون مصلحون حفظ الله بهم الإسلام ولا يزال الله يغرس

لدينه من المصلحين.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده: (ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الذين أفسدوا تصوف من قبلهم وأظهر في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها الموالد) من العجب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا ينفقون فيها الأموال العظيمة زاعمين التقرب إلىٰ الله ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب لبخلوا به ولا يرون ما فيها من المنكرات منافيًا للتقرب إلىٰ الله كأنَّ كرامة الشيخ الذي يحتفلون بمولده تبيح المحظورات والمنكرات.

فالموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر، وحانات للخمور ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات والمتهتكات، ومواقع أخرىٰ لضروب من الفحش في القول والفعل لإضحاك الناس وبعض هذه الموالد يكون في المقابر، وترىٰ كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها ويقيمون الشموع الكثيرة احتفالًا باسم صاحب المولد.

ثم ذكر الأستاذ رفضه لدعوة من هذا القبيل، وحوار بينه وبين شيخ انتهىٰ بحكاية خرافية ثم قال: فلينظر الناظرون إلىٰ أين وصل المسلمون.. اتخذوا الشيوخ أندادًا وصار يقصد بزيارة القبور وقضاء الحوائج وشفاء المرضىٰ وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة والاقتداء، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون علىٰ الخير، وذلك أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلىٰ ما توهموا أنه يرضي غيره ممن اتخذوهم

أندادًا وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر، لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المسلمين.

لم يكن القرآن في الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها بل ولا في القرن الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوىٰ من الأمم الأخرىٰ، إذ رأىٰ قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا منها كان لدينهم عظمة وشأن في قلوب تلك الأمم فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه.

وهناك نوع آخر لم يكن أثره في الفتك بهم بأضعف من أثر الأول وهو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدالها بأقوال الرجال.

إلىٰ أن قال: ونحن لا نطعن في أولئك القائلين أو المرجفين علىٰ اختلاف تاريخهم بل نحسن بهم الظن ونقول إنهم قالوا بما وصل إليه علمهم، ولم يجعلوا أنفسهم شارعين، بل باحثين، وإنا نسترشد بكلامهم علىٰ أنهم دالون ومبينون علىٰ أنهم شارعون، بل نقول إنه يجب علىٰ ذي الدين أن ينظر دائمًا إلىٰ وحي الله حتىٰ لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من الأحكام، ولا يجوز لأحد أن يرجع في شيء من عقائده وعباداته إلا إلىٰ الله.

فيجب علينا أن نعتقد أن الحكم لله وحده، لا يؤخذ الدين من غيره كما يجب علينا أن نعتقد بأن لا فعل لغيره تعالىٰ، ولا نطلب شيئًا إلا منه، والطلب منه (أن) يكون بالأخذ بالأسباب التي وضعها وهدانا إليها فإن جهلنا أو عجزنا

فإننا نلجأ إلىٰ قدرته وحده ونستمد غايته التي لا يغلبها غالب، انتهىٰ كلامه باختصار وتصرف بسيط.

وقد أغفل رَحِمَهُ اللَّهُ ما ابتلي به المسلمون من الخلاف العقائدي الذي فرقهم شيعًا وأضاع طاقات أعمارهم في الجدل والسبب في تحكيم قوانين المنطق اليوناني، وجعل أصلًا للنصوص والواجب الديني يقضي عليهم أن يجعلوا النصوص الشرعية النقلية هي الأصل يكيفون ما سواها بها ويخضعونه لها بدلًا من إخضاع النصوص والجناية عليها بالتأويل، حتىٰ غرهم الشيطان وجرأهم علىٰ تأصيل أخبث أصل وأشنعه، وهو (أن النصوص النقيلة لا تفيد اليقين) والعياذ بالله فماذا يبقىٰ لدىٰ المسلمين من مرجع إذا كانت نصوص الوحي لا تفيد اليقين؟ وما الفائدة من إرسال المصطفىٰ ﷺ بشيء لا يفيد القطع واليقين؟ إذن لم يكن إرساله رحمة للعالمين، وكان (أرسطو) وأشكاله هم الرحمة الذين جاءوا بمصطلحات تفيد اليقين. إنا لله وإنا اليه راجعون.

بمثل هذه القاعدة المعلونة جعلوا كلام شيوخهم المنبثق من المنطق أعلىٰ وأولىٰ من وحي الله، كما هو مشهور منهم في مباحث الصفات والتوحيد الذي يعتبر تعطيلًا لله فقد اتخذوا شيوخهم أندادًا من دون الله، وجعلوهم سبب هذه القاعدة رسلًا غير محمد ﷺ.

هذا وقد أغفل الإمام فئة أخرىٰ تدعي الأخذ بالحديث وتعادي التقليد ولكنها أفرطت في معاداة التقليد إفراطًا جعلها تزدري الفقهاء، وتحط من أقدارهم، وتحظر قراءة كتب الفقه، حتىٰ حرمت نفسها بما فيها من خير ونفع عظيم، حتىٰ صارت تصف المذاهب الأربعة في مصاف المذاهب المبتدعة أو

اليهود والنصارىٰ والمجوس، كما قاله بعضهم في شرحه لحديث: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة ... أو يحنفانه أو يملكانه أو يشفعانه أو يحنبلانه**». فكيف بلغ بهم الأمر إلىٰ هذه الحال؟ وكيف جرهم الحقد علىٰ المذاهب إلا يصفونها في مصاف الكفرة والفجرة وهم مع ذلك يقلدون الشتام اللعان للفقهاء وهو ابن حزم الظاهري الذي هو معتزلي في القرآن جهمي في الصفات، مطعون في أخلاقه حسب اعترافاته، وقد أخرج نفسه من الإيمان بشهادة المصطفىٰ ﷺ، لا يكون المؤمن لعانًا فقد جعلوه إمامًا لهم في العقيدة وقلدوه أمرهم في حين أنهم يحاربون التقليد واغلاطه في العقيدة شنيعة.

وقد قاس في أصول الدين قياسًا يرد به حديث رسول الله، كأنكاره أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم وهو ينكر القياس في الفروع ويشنع علىٰ أهله، ولو لم يحصل منه رحمة الله إلا إباحة المعازف وجميع آلات اللهو لكف، فقد فتح لأهل الأهواء والطغام بابًا بل أبوابًا كثيرة يقيمون منها جميع صنوف الشر.

فهل خفي عليه أن هذا يخالف الحس الديني ويفسد القلوب؟ هل خفىٰ عليه أن القلب إما أن يكون مستودعًا لحب الرحمن، أو لحب ما يريده الشيطان؟

أيخفىٰ عليه أن الحب خير حارس للقلب، وأنه إذا جل في محبته شيء حرسته ومنعته عن ضده؟ فإذا حلىٰ فيه حب الله ورسوله منه وحرسه من محبة ما يخالف محبتها، وإذا حل فيه حب اللهو وغيره من المعشوقات حرسه ومنعه مما يحبه الله ويطلبه والعياذ بالله.

أيخفىٰ عليه أن لا يجتمع في القلب حب القرآن وحب ألحان الشيطان؟ وهو عالم جدلي يعلم أن الضدان لا يجتمعان إن أخطاءه مع ضخامتها قد تسهل أمام الفتنة الكبيرة التي أقامها.

وقد اتخذه أعداء المذاهب ندًا من دون الله لا يستطيع أحد أن يقنعهم بكلام إمام غير هذا الذي اتخذوه إمامًا.

وإذا قلت قال الإمام الفلاني أو قال الصحابي، لجو عليك، حتىٰ إذا قلت لهم قال ابن حزم: حزموا وخنسوا نسأل الله لنا ولهم العافية وأن يعامل إبن حزم بفضله لا بعدله ويوفق من يرغب اتباع الحديث للاعتدال وعدم الغلو والجفاء.

حقًا إن علىٰ المسلم أن يتحرىٰ ما صح دليله بلا إفراط ولا تجن علىٰ أحد، وما أحسن تكرر قراءة رسالة (رفع الملام الأئمة الأعلام) وهي للشيخ ابن تيمية، حتىٰ لايكون في قلبه غل للذين امنوا ولا ضغينة علىٰ الفقهاء.

يسألونك عن الخمر

يسألونك عن الخمر

قال تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩].

الخمر اسم لكل ما خامر العقل وأسكره من أي مشروب ونحوه كما سنذكر النصوص في ذلك، وهذه الآية هي الآية الثانية التي نزلت في المسكر، فالأولىٰ جاءت في الآية (٦٧) من سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧] نزلت في مكة هي وما قبلها وما بعدها، وكانوا يشربونها في مكة، وهذه الآيات ساقها الله في هذه السورة المكية للتعجب وليست للإباحة ولا للاستدلال وإنما هي لبيان ما يجمعه الله من المتعارضات، وكيف يخرج الخبيث من الطيب، والطيب من الخبيث الكريه المستقبح، فهي للتعجب وفي قوله تعالىٰ: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ دليل علىٰ ان ما فيه السكر ليس برزق حسن.

أما الآية الثانية فهي هذه الآية المدنية: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ والآية الثالثة في سورة النساء نزلت بعد ما غلط بعض الصحابة في قراءة القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣] أما الآية الرابعة ففي سورة المائدة نزلت بالقطع بالتحريم بعد قول عمر: **(اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا)**.

وقد ذهب بعض الأئمة إلىٰ أن الخمر حرمت بهذه الآية التي نتكلم عليها

من سورة البقرة وإنما أتىٰ بعدها من الآيات فهو من قبيل التوليد، لأن لفظ الأتم يفيد الحرمة كما قال تعالىٰ في الآية (٣٣) من سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ﴿٣٣﴾﴾ ولكن يرد قولهم في نص سورة النساء: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فقد كانوا يتجنبون السكر في قرب أوقات الصلاة والصحيح الذي لا مراء فيه أن تحريم الخمر جاء علىٰ التدريج، وفي ذلك من الحكمة الإلهية ما لا يحيط به علماء التربية ولا غيرهم، لأن القوم ألفوا شرب الخمر وأولع بها كثير منهم وكانت لهم تجارة وفيها نفع مالي كبير، ويعتقد بعضهم بمنفعتها، فلو منعوا منها دفعة واحدة لشق عليهم ولم يكمل انقيادهم خصوصًا قبل رسوخ الإيمان في قلوب الجماهير كافة فاستعمل الله معهم الرفق بهذا التدريج الذي يوافق نمو الإيمان وقوته.

ولفظ الخمر منقول من خمر الشيء إذا ستره وغطاه، وسمي ما يغطي الرأس والوجه خمارًا، ووجه النقل في هذا الشراب أنه يسكر العقل ويغطيه، أو هو من المخامرة التي هي المخالطة، يقول خامره الداء إذا خالطه، وقد صرح بذلك عمر في خطبته علىٰ منبر رسول الله ﷺ لهذا صح إطلاق الخمر علىٰ كل مسكر كما هو منطق رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي أتاه الله جوامع الكلم، فقد سألوه عن (البتع) وهو شراب يتخذ من العسل، فقال: «**كل مسكر خمر**».

وروىٰ أبو داود في سننه عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من العنب خمرًا وإن من التمر خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وإن من البر خمرًا، وإن من الشعير خمرًا**».

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: في تخصيص الخمر بهذه الأشياء الخمسة ليس لأجل أن الخمر لا يكون إلا من هذه الخمسة بأعيانها، وإنما جرىٰ ذكرها خصوصًا لكونها معهودة في ذلك الزمان وكل ما كان في معناها من ذرة أوشلت اعصارة شجرة فحكمها حكم هذه الخمسة، كما أن تخصيص الأشياء الستة بالذكر في خبر الربا لا يمنع من ثبوت حكم الربا في غيرها.

ومما يرد علىٰ قول من حصر الخمر في الأعناب وينقضه ويظهر فساد رأيه ما رواه البخاري ومسلم عن أنس قال: (إن الخمر حرمت والخمر يومئذ البسر والتمر). وما رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأبو داود عن النعمان بن بشير المتقدم ذكره زاد الإمام أحمد في روايته عن النبي ﷺ: «**وأنا أنهىٰ عن كل مسكر**» وما رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام**». وما رواه الإمام مسلم والدارقطني عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**». وعن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن (البتع) وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه فقال: «**كل شراب أسكر فهو حرام**» فأناط الحكم بعلته وهو السكر ولم يلتفت إلىٰ اسمه لأن الأسماء لا قيمة لها وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم.

روىٰ الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن جابر أن رجلًا من حبشان وحبشان باليمن سأل النبيﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له (المزر) فقال: «**أمسكر هو؟**» قالوا: نعم فقال: «**كل مسكر خمر وإن علىٰ الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه الله من طينه الخبال**» قالوا يا رسول الله، وما طينه الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار أو عصارة أهل النار**».

وما رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل مسكر حرام**» وأما ما رواه أبو داود عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**كل مخمر خمر وكل مسكر حرام**» وما رواه أبو داود والترمذي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام**». والفرق بفتح الفاء والراء إناء يسع ستة عشر رطلًا.

وروىٰ الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**». وكذلك لأبي داود وابن ماجه والترمذي مثله سواء من حديث جابر وكذلك لأحمد والنسائي وابن ماجه مثله عن طريق عمرو بن شعيب. وكذلك للدراقطني مثله من حديث علي بن أبي طالب. وروىٰ النسائي والدارقطني عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ نهىٰ عن قليل ما أسكر كثيره.

وكل هذه الأحاديث علىٰ الإطلاق من أي نوع كان السكر وروىٰ الدراقطني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن صبرة أن النبي ﷺ آتاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إن ننبذ النبيذ نشربه علىٰ غذائنا وعشائنا فقال: «**اشربوا وكل مسكر حرام**». فقالوا: يا رسول الله: إنا نكسره بالماء فقال: «**حرام قليله ما أسكر كثيره**». ومعنىٰ ننبذ النبيذ: غرس المريس من تمر ونحوه أو يطحن الشعير ونحوه وينقع شيئًا يسيرًا لا يتخمر به.

وقد أعطىٰ الله نبيه عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم فأسس لأمته قاعدة متينة من كلمة قصيرة موجزة «**كل مسكر خمر**» فيبنىٰ عليها كل طعام أو شراب أو نبات مستحدث ينظر فيه إلىٰ صفته وعلته لا إلىٰ اسمه.

وقد روت أحاديث كثيرة صحيحة في المنع من الانتباذ بأنواع من الأواني كالدباء والنقير والمزفت والحتنم ونحوها بسرعة التخمر بها ولكن لما كانت البلاد تختلف بحرارتها وبرودتها رخص لهم أن ينتبذوا بما شاءوا ونهاهم عن كل مسكر مهما كان نوعه أو نوع الإناء الذي انتبذ فيه.

وروىٰ أبو داود عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: نهىٰ رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر. قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الأعضاء. وهذا لا شك أنه متناول لجميع أنواع الأشربة فهذه الأحاديث كلها دالة علىٰ أن كل مسكر فهو خمر وهو حرام.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الخمر والوعيد عليه، ليس هذا موضع تفصيلها وسأذكر ما يتيسر لي في موضعه من سورة المائدة إن شاء الله.

وأما الميسر فهو القمار ولا يختص بأنواعه المعروفة وقت النزول بل كل ما تجدد من أنواعه إلىٰ يوم القيامة مما في معناه، فهو حرام، واشتقاق الميسر من (يسر) إذا وجب أو من اليسر بمعنىٰ السهولة لأنه كسب بلا كد ولا مشقة، أو من اليسار وهو الغنىٰ لأنه سبب للربح والإثراء العامل أحيانًا، أو من اليسر بمعنىٰ التجزئة والاقتسام لأنهم كانوا يقامرون علىٰ بعير فيذبحونه ويجزئونه عشرة أجزاء إلىٰ ثمانية وعشرين جزءًا أو كل شيء جزأته فقد يسرته وللعرب عشرة أقداح معروفة بأسماء مشهورة منها سبعة لها نصيب وثلاثة بلا نصيب.

والأقداح الرابحة عند العرب في الميسر سبعة: (١) الفذ و(٢) التوأم (٣) الرقيب (٤) الحلس: فتح الحاء وكسر اللام أو كسرها وسكون اللام. (٥) النافس (٦) المسبل (٧) المصلىٰ، وهو اعلاها فللفذ سهم، وللتوأم سهمان،

وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمصلىٰ سبعة، وهو الذي يضرب به المثل لمن كان أكبر حظًا أو نجاحا من غيره في كل شيء نصيب فيقال له صاحب القدح المصلىٰ - وكانوا يجعلون هذه الأزلام في الخريطة ويضعونها علىٰ يد عدل يجلجها ويدخل يده فيخرج منها واحدًا باسم رجل ثم واحدًا باسم آخر إلىٰ نهايتها، من خرج له قدح لا نصيب له كالوغد الثامن أو المنيح التاسع أو السفيح العاشر لم يأخذ شيئًا وغرم ثمن الناقة كلها ومن خرج له ذوات الأنصباء أخذ النصيب المرسوم بذلك القدح، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلىٰ الفقراء ولا يأكلون منها، ويفتخرون بذلك، ويذمون من يدخل فيه ويسمونه (البرم) بالتحريك، وهو في الأصل تمر العضاة لا ينتفع به، ولذا قال متمتم بني نويرة في ندبه لأخيه مالك بقصيدته المشهورة.

ولا بــر مــن تهــدي النســاء لعرســه إذا انقــشع مــن الــشتاء تقصقــصا

وما يفعلونه من جلجلة الخريطة في تلك الجاهلية يفعل الآن في الجاهلية الحالية واختلفوا هل الميسر هذا النوع من القمار بعينه أم يطلق علىٰ كل مقامرة والصحيح أن كل قمار محرم بلا خلاف إلا ما أباحه الشرع من الرهان في السباق والرماية تشجيعًا علىٰ الجهاد والمفاضلة من أجله، فأما سباق الخيل المستعمل في هذا الزمان فهو من شر أنواع القمار ويدخل، حكم أكل أموال الناس بالباطل وهو من مؤسسات المنظمات الاستعمارية.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٩] قرأ حمزة والكسائي (إثم كثير) بالثاء المثلثة من الكثير وقراءة الباقين المشهورة ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ والإثم هو كل ما فيه ضرر وتبعات سيئة علىٰ فاعله في

أقواله وأعماله والمعنىٰ: قل يا محمد إن في تعاطي الخمر والميسر إثم كبير كثير المفاسد، كبير الضرر وفي تقرير ذلك لبيان لقاعده عظيمة أصيلة في الأصول وهي أن ما قابل نفسه ضرر وجب تغليب جانب الضرر علىٰ جانب المنفعة.

وقد ذكر علماء الشريعة وعلماء الطب وعلماء الاجتماع مجموعة كبيرة من أضرار الخمر والميسر نرىٰ ذكرها لزامًا علينا فمنها:

(أولًا): أنها لا تروي الظمأ بل تلهب العطش.

(ثانيًا): أنها تفسد المعدة إفسادًا محسوسًا.

(ثالثًا): أنها تحدث الإقهاء وهو فقط شهوة الطعام.

(رابعًا): أنها تعطل الأعمال ولا تفيد شيئًا في قضائها كما يزعمه المغرضون الدساسون.

(خامسًا): أنها تغير الخلق، فالسكران تسرع إليه النشوة فتتخبط عيناه ويسوء خلقه ويكثر هزره.

(ساسًا): يضخم البطن حتىٰ تنفجر.

(سابعًا): تهدل عينيه كأنه شيخ كبير.

(ثامنًا): تلتئم شفتا السكران المدمن بحيث يتغير صوته.

(تاسعًا): أن الخمر يوقف النمو العقلي والجسدي وقد قرر الطب الحديث ضرره علىٰ الجنين إذا تعاطته المرأة.

(عاشرًا): أنها تضعف قوة الإرادة وذلك لزوال العقل الرادع وفقد

التفكير، وبهذا يحصل ارتكاب الجرائم.

(الحادي عشر): أنها تجر صاحبها إلىٰ الفقر والشقاء.

(ثاني عشرها): أنها تعرض صاحبها للأمراض المعدية والسارية.

(ثالث عشرها): تخدير صاحبها وتسكينه إذ هي من المسكنات كالبنج والإثير.

(رابع عشرها): إحداث الشلل والرعدة في الجسم للمدمنين.

(خامس عشرها): أن السكير ولو كان ابن الأربعين فإنه يكون نسيج جسمه كنسيج ابن الستين فصاعدًا ويكون كالهرم جسمًا وعقلًا كما قرره خبراء الأطباء.

(سادس عشرها): إحداث مرض الكبد والكلىٰ.

(سابع عشرها): تخريقها للقلب بحيث تقضي علىٰ الحياة.

(ثامن عشرها): إحداث داء التدرن والسل الفاتك بشاربها كما أثبتت التقارير الصحية أن نصف الوفيات في (أوروبا) من ذلك مع شدة عنايتهم بصحة أبدانهم ولكن لا يمكن حصول الوقاية من ضرر الخمر إلا بتركها.

(تاسع عشرها): تخريقها للرئة وإضرارها بها. حتىٰ تقضي علىٰ الحياة.

(العشرون): أضرارها بأصحاب الحمىٰ التيفوئية أكثر مما تنفع بزعمهم.

(الحادي والعشرون): (تقرب) النهاية في الأمراض التي (تنتهي) بالموت وتطويلها مدة الشفاء في الأمراض الغير خطيرة.

(الثاني والعشرون): أنها تسرع بعلة ضربة الشمس والرعن في أيام الصيف الحارة وقبلها.

(الثالث والعشرون): أنها تغير مادة القلب والأوعية الدموية.

(الرابع والعشرون): اسراعها بانفاق الحرارة في ايام الشتاء والبرد.

(الخامس والعشرون): أنها تسرع بحويصلات الجسم إلىٰ الخراب والتحطيم.

(السادس والعشرون): أنها كثيرًا ما تسبب التهاب الأعصاب والآلام المنهكة للجسم والقوة.

(السابع والعشرون): أنها كلما ازداد أصحابها منها زادت أمراضهم وعظم شفاؤهم.

(الثامن والعشرون): إضعافه لمرونة الحنجرة مما يضر بجهاز التنفس.

(التاسع والعشرون): تهييج شعب التنفس بالتهابات شتىٰ.

(الثلاثون): إحداث بحة الصوت والسعال.

(الحادي والثلاثون): تعطيلها لوظائف الأعضاء أو إضعافها بحيث تخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل، وسبب ذلك أن المسكر لا يتحول إلىٰ دم كما يتحول سائر الأغذية بعد الهضم، بل يبقىٰ علىٰ حاله فيزاحم الدم في مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم فيحصل ما ذكرناه كما قرره كبار الأطباء.

(الثالث والثلاثون): سوء تأثيره في اللسان بإضعاف حاسة التذوق الذي يفقد صاحبه بسببها كثيرًا من اللذة (لفساد) التذوق عنده.

(الثالث والثلاثون): إحداث الالتهاب في الحلق.

(الربع والثلاثون): أنها تحدث في المعدة ترشح العصارة الفاعلة في الهضم حتىٰ يغلظ نسيجها و(تضعف) حركتها.

(الخامس والثلاثون): أنها قد تحدث في المعدة احتقانًا والتهابًا.

(السادس والثلاثون): أنها تحدث في الأمعاء التقرح.

(السابع والثلاثون): أنها تحدث في الكبد (صديدًا) وتوليد الشحم الذي يقيض عملها.

(الثامن والثلاثون): أن المسكر يمازج الدم وبممازجته للدم يعوق دورته، وقد يوقفها أحيانًا فيموت السكير فجأة.

(التاسع والثلاثون): أنه يضعف مرونة الشرايين فتتمدد و(تتقلص) حتىٰ تفسد أحيانًا فيفسد الدم ولو في بعض الأعضاء فيكون فيها ما يشبه السرطان مما يفضل لقطع العضو الذي يظهر فيه لئلا يسري الفساد إلىٰ الجسد كله فيكون هالكًا وتصاب الشرايين بما يسرع الشيخوخة والهرم.

(الأربعون): تأثيره السيئ في المجموع العصبي، بحيث يولد الجنون فيفقد صاحبه أشرف ميزة شرف الله به الإنسان.

(الحادي والأربعون): إهلاكه للنسل أو إضعافه، فولد السكور لا يكون نجيبًا وولد ولده يكون شر من ولده وأضعف بدنًا وعقلًا، وقد يؤدي لتسليل هذا الضعف إلىٰ انقطاع النسل بتاتًا، خصوصًا إذا سلك الأبناء عن طريق آبائهم كما هو الغالب.

(الثاني والأربعون): وقوع النزاع والخصام بين السكارىٰ ومن يعاشرهم بحيث تقضي إلىٰ العداوة والبغضاء كما جعل الله ذلك من بعض العلل لتحريمها في الآية (٩٠) من سورة المائدة.

(الثالث والأربعون): ما يجري من السكارىٰ من الحالة البهيمية بحيث ينزو بعض علىٰ بعض، وبعضهم يستمتع بزوجة الآخر.

(الرابع والأربعون): ما يجري بسببها من إفشاء السر، وهذا ضرر فظيع يتولد منه أضرار شنيعة خصوصًا ما يتعلق بالحكم والسياسة، ومصالح الدولة وأسرارها العسكرية، وقد كانت جوايس الأعداء تعتمد علىٰ الخمر في كسب المعلومات الخطيرة.

(الخامس والأربعون): ما يجري علىٰ صاحبها من الخسة والمهانة في أعين الناس، لأن السكران يكون في هيئته وحركاته وكلامه مضحكة بحيث يستخف به كل من رآه حتىٰ الصبيان، لكنه يكون أقل منهم عقلًا، حيث يهبط به الخمر إلىٰ أخس حالة، ويفقده توازنه في كل شيء، وفي كتب الأدب والفكاهات والمحاضرة شيء كثير من نوادر السكارىٰ مما يرتدع بقراءته صاحب العقل والشرف عن مقاربتها ومن نوادر ما يحكىٰ عن المجانين في الخمر ان بعض المتعاطين للخمر عرض شربها علىٰ مجنون، قال له: أنت تشربها لتكون مثلي، فأنا أشربها لأكون مثل من؟ وحكىٰ ابن أبي الدينا عن بعض المحدثين: أنه رأىٰ سكران يبول في يده ويغسل وجهه كالمتوضئ ويقول: الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا.

(السادس والأربعون): أنها تغري صاحبها عن جميع الجرائم من الزنا

والقتل ومنها سميت (أم الخبائث) وكم من سكران قتل أمه أو عياله، وكم من سكران وقع علىٰ أمه أو ذوات محارمه وأكثر من يتعاطون الجرائم الشنيعة والمستقذرة هم من السكارىٰ والعياذ بالله.

(السابع والأربعون): وقوع الحوادث والجنايات الأخرىٰ علىٰ نفسه وعلىٰ غيره خصوصًا ي وسائل النقل من ذوات المحركات النارية فأكثر حوادث اصطدام السيارات ببعضها وبالحيطان وبالأعمدة والأرصفة والحوانيت من أسباب السكر كما هو مفهوم في جميع القفار العالمية.

(الثامن والأربعون): ما يحصل فيه من الأضرار المالية التي تستنزف ثروة الشعوب ويبتزها أراذل القوم من كل جنس وبلد، ففيه يحصل ضياع أكبر طاقة من طاقات الحياة.

(التاسع والأربعون): ما تحدثه في صاحبها من الغم وحرقة القلب والحزن وضيق الصدر، مما تجعل شاربها يزيد في شربها لتغطية عقله مما يحس وإبراد كبده من حرها، كما قال أبو نواس شاعر الفسوق:

وكأس قد شربت علىٰ لذة ... وأخرىٰ تداويت منها بها

(الخمسون): تعويقها لصاحبها عن طاعة الله، وحرمانها بحظوظه منها، وخصوصًا الصلاة التي هي عماد الدين، وهي المعارج الروحية لصاحبها إلىٰ الله، وهذا ضرر عليه من الدين لا يمكنه تعويضه.

(الحادي والخمسون): أنها تصد صاحبها عن ذكر الله بجميع أنواعه، وهذا أيضًا حرمان عظيم وضرر في الدين، وكل من هذين الضررين أشار الله إليهما في سورة المائدة بقوله: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

وبالجملة فمضار الخمر كثيرة جدًا وشاملة نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقلية، فلا يوجد ضرر عام شمولي سيقرب إلىٰ هذه النواحي ويعمها سوىٰ ضرر الخمور، وفيها من المضار المعنوية ما لا يحصىٰ. وقد اقتصرت علىٰ القليل من مضارها كإشارة وفي عودة الىٰ ذكرها عند الكلام عن آية النساء وآية المائدة إن شاء الله.

وقد ضح العالم الغربي الذي يزعم التمدن من مضار الخمر والذي عمل علىٰ ترويجه في جميع البلاد التي استعمرها، بل عمل علىٰ إباحة وحماية موزعيه وتخفيف عقوبة الجريمة من أجله أو إسقاطها لإقرار الناس علىٰ شربه.

أقول: إن الغربيين الذين بلونا بدائهم في الخمور اصبحوا ينصحون من شرورها فقد تدهورت أخلاقهم وكثرت جرائمهم بأبشع الألوان وكذا انتحارهم وازداد بؤسهم وتفاقمت شرورهم كما فعلوا في بلاد غيرهم إذاقهم الله صنوف الويلات في تعاطي الخمر، وخذ بعض الحقائق عن بلد يعتبر من أحسن البلاد علمًا وتقدمية وهي (إنكلترا) فقد أعلنت التقارير الرسمية عن عدد المنتحرين أنهم منذ عشر سنوات بلغوا ثمانية آلاف وأنهم الآن ازدادوا إلىٰ خمسة عشر ألف منتحر سنويًّا بسبب الخمر والقمار وإن البوليس يسعىٰ لإخفاء بعض تلك الجرائم.

وعواقب الخمر عواقب وخيمة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية بحيث لو استعمل الناس عقولهم لحرموها قانونيًّا لفداحة أضرارها في هاتين الناحيتين، ولكن أن ينتفع الإنسان بعقله وقد نبذ دين الله ظهريًّا؟ إن من نبذ الدين يحرمه الله من الانتفاع بعقله انتفاعًا صحيحًا ولهذا فهم في أمر مريج في

جميع نواحي الحياة كما سنذكر طرفًا من ذلك قريبًا.

وكم من أغنياء ضحوا بجميع ما لديهم حتىٰ وصلوا إلىٰ بيع أثاث منازلهم ليتمتعوا بشراب الخمر، فذهبوا فريسة الذل والقنوط وذل بذلهم أهلوهم ومسهم الضر والبلاء.

وكم من سكور هجر بيته ليألف النساء المستهترات في حوانيت الخمر وزهد بزوجته وأعرض عن أولاده فجر إلىٰ بيته الخراب والدمار وكم من أرواح بريئة ذهبت في حوادث السيارات نتيجة سكر السائقين.

ثم إن الولوع بالخمور سبب للولوع في القمار ومضاره التي لا تحصىٰ، والأمر المخيف جدًا في الخمر والذي ينبغي أن يرعىٰ غاية الاهتمام ولا يغفل عنه لحظة واحدة هو أن الخمر مصيدة من أكبر مصائد الطامعين والمغرضين والمستعمرين فالطامع أيا كان مطمعه يعمل لمن تحصيله من جهة الخمر.

أما قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فالمنافع من أهمها التجارة إذ أنها كانت من أهم موارد التجارة وأكثرها ربحًا لأن العرب كانت تشجو في شرب الخمر ما لا تشجو في غيره، حتىٰ كانوا يعدون ترك المساومة في شرائها مكرمة بر.

وقد يكون لها بعض الفوائد الأخرىٰ. ولكن مضارها الكثيرة تقضي علىٰ منافعها النادرة.

ومن هنا فقد لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة ما صح الحديث عنه بقوله: «لعن الله الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وشاربها، ومستصبها، وحاملها، والمحمل له إليه، وآكل ثمها».

الحسد وطرق العلاج

الحسد وطرق العلاج

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

يخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية عن دفائن النفوس اللئيمة لبني إسرائيل الذين جعلوا من دينهم عصبية جنسية لهم تقوم علىٰ أساس منافعهم الشخصية وأغراضهم الأنانية أنهم لم يكتفوا بكفرهم بالنبي ﷺ و(ألكيد) له ونقض عهوده بغيًا وحسدًا له ولقومه علىٰ نعمة الرسالة والنبوة، بل هم يزيدون علىٰ ذلك كما قصة الله علينا في هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] فهذا بيان من الله لما يضمرونه وما تخفيه صدورهم للمسلمين من الحقد اللئيم والحسد علىٰ نعمة الإسلام التي عرفوا أنها الحق وأن وراءها السؤدد والسعادة في الدارين ولكن لما شق عليهم أتباعهم تمنوا حرمانهم هذه النعمة وأن يرجعوا كفارًا كما كانوا من قبل رغبة منهم في سلب الخير الذي سيهتدي إليه الآخرون.

هذا شأن الحاسد، يتمنىٰ أن يسلب محسوده النعمة ولو لم يصل إليه شيء منها فالحسن الكمين في صدور اليهود هو ذلك الانفعال الخسيس الذي فاضت به نفوسهم ضد الإسلام والمسلمين وهو الذي تنبعث منه جميع دسائسهم ومؤامراتهم وتدبيراتهم وهو السبب الكافي وراء كل فتنة يقيمونها ومما

يعمق ذلك الحسد في صدورهم من قديم الزمان استبقائهم بأن التمسك بهذه الرسالة والزاحف بها لافي ربوع الارض يكون له الحول والطول وينال السيادة من الله ليس عليهم فقط بل علىٰ جميع الناس ما داموا مستيقنين أنهم سيدخلون تحت سلطانهم فكيف لايحسدونهم علىٰ ذلك؟ وكيف لا يعملون جميع ما في وسعهم للحيلولة دون ذلك ولكن الله غالب علىٰ أمره.

قد جاء هذا التنبيه من الله العليم الحكيم تتمة لقوله في الآية السابقة (١٠٥) ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٠٥] وبين الله لعباده المؤمنين ما كان من مسائلهم علىٰ التشكيل لتشكيك المسلمين في دينهم بشتىٰ الوسائل والأساليب، حتىٰ أنهم يأمرون بعض اليهود بالإيمان في أول النهار وبالإسلام والكفر في آخره ليقوموا بعملية ترسيبية ملعونة وهذه من أخبث الخطط وألعنها وأخطرها علىٰ المجتمع الإسلامي الناشئ الحديث ولكن الله يتولىٰ هداية هذه الأمة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥].

وفائدة هذه التنبيهات أن يعلم المسلمون أن ما يلقيه أهل الكتاب من اليهود وأذيالهم النصارىٰ من الشبهات علىٰ الإسلام وتشكيك المسلمين فيه إنما هو مكرهم السيء الذي مبعثه الحسد والحق، ليس النصح الذي مبعث بالاعتقاد ولذا قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم ١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩] ليوضح لعباده المؤمنين أن حسدهم لم يكن من شبهة دينية أو غيره علىٰ حق يعتقدونه وإنما هو عن خبث النفوس ولؤم الطباع وفساد الأخلاق والتمادي في الباطل وإصرارًا وعنادًا ولذلك اتبعه بقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩] فالحق عندهم ظاهر متبين أنه مع محمد ﷺ ومع أصحابه

وهم يعرفونه بكل وضوح، ولكنهم عادوه عداءًا صريحًا لما صدر عن غير أيديهم وحسدوا أهله بكل وقاحة بعد ما تبين لهم الحق بالآيات التي جاء بها النبي مطابقة لما في بشارات التوراة به.

فالقرآن الكريم يكشف للمسلمين نفسية أعدائهم ليعرفوهها ولا يطمعوا منهم بخلافها، ويعرفوا السبب الكامن وراء كل عمل شنيع يقومون به فلا يستعظمونه بل يستعدون لمقابلته ما هو أشد منه لأن العدو لا ينقلب صديقًا وعدوك في الدين والعقيدة لا يمكن أن يلتقي معك علىٰ مودة، ولكن علىٰ منفعة يهذبها لمصلحة عقيدته والإضرار بعقيدتك فهو دائمًا يهدف إلىٰ ذلك ومع هذا اقتضت حكمة الله ألا نقابل حسدهم بحسد، ولا غيظهم بغيظ ولا لؤمهم بلؤم، ولا شرهم بشر، بل نرتفع عن جميع ذلك ملتزمين ما أمرنا مولانا بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩] ولم يخصهم بهذه المعاملة الحسنة فلم يقل: (اعفوا عنهم واصفحوا عنهم) وإنما أتىٰ بها للعموم لنعامل جميع الناس بالصفح والعفو اللائق بمقام المؤمنين وشرفهم و(العفو) ترك العقوبة (والصفح) الاعراض عن المذنب لصبغة الوجه، ثم قال سبحانه (حتىٰ يأتي الله بأمره) فجعل العفو والصفح مقيدًا لغاية محدودة وهي إتيان أمره بالجهاد الذي يزلزلهم و يكفاهم وفي أمره سبحانه للمؤمنين بالعفو والصفح وإيذان من الله بأن المؤمنين هم الأقوياء وأن قلوا وأن خصومهم الضعفاء وإن كثروا لأن العفو والصفح لا يطلب الأ من القوي القادر فكأنه يقول لهم لا يغرنكم ايهاغ المؤمنون كثرة اهل الكتاب مع باطلهم فأنكم

علىٰ قتلهم أقوىٰ منهم بما أنتم عليه من الحق الذي تؤيدكم به العناية الإلهية فعاملوهم معاملة القوي العادل للضعيف الجاهل. وفي إنزال الله

المؤمنين علىٰ ضعفهم منزلة الأقوياء، ووضع اليهود عن كثرتهم موضع الضعفاء إعلام إلهي دائم بأن أهل الحق هم المؤيدون بعزته وحصانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن لهم العزة في كل زمان ومكان ما داموا ثابتين علىٰ الحق. ومهما يتصارع الحق والباطل فالغلبة للحق بإذن الله، والباطل هو المصروع ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١] وإنما بقاء الباطل وجولاته عند غفلة أهل الحق عنه، ولذا أحالهم الله علىٰ قدرته التي لا يعجزها شيء، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠] فقدرته النافذة التي لا يشذ عنها شيء في العالمين هي التي يكون فيها التأييد للحق.

ويعلم أن أوائل اليهود يودون لو ارتد المسلمون وصاروا كفارًا كما حكىٰ الله عنهم، ولكن اواخرهم في هذا الزمان عملوا علىٰ تخطيط ردة جديدة وجاهلية جديدة مصطبغة بشتىٰ الأسماء والألقاب من قومية وبعثية واشتراكية وشيوعية وإباحية ووجودية تمثل التعري والحيوانية وفرعونية تمثل ألوانًا من ضروب الوثنية وعبادة الأشخاص ولكل مذهب دعاة بتخصيص من اليهود وعملاء اليهود وتمويل سخي خص فيه من الإغراء ما ليس له مثيل.

لقد خططت الماسونية خطوطًا عريضة نفذ غالبها الاستعمار وخلفاؤه والذين يتبجحون بطرده وشتمه إفكًا وزورًا، خطوطًا عريضة بعيدة المدىٰ لتفتيت العقيدة وإفساد الأخلاق وإخراب الضمائر حتىٰ كسبوا من شباب الأمة من يتنكر لدينه وأمجاده وتاريخه ويعتز بالفراعنة وما خلفوه مما هو نتيجة تسخير الشعب البائس وإحماء ظهوره بالسياط ليحمل الأثقال ويبني الأهرام بعرقه المتصبب وعضلاته الملهبة بضرب السياط وإلا فلم يذكر تاريخهم أنهم رصدوا له كذا وكذا من آلاف الملايين ولا أنهم جنبوا ما يريح الشعب من

الآلات الحاملة للأثقال، بل علىٰ العكس من ظهور الشعب وعرقه والعجب أن الذين أوقف الله عليهم اللعنة يوجد من أبناء المسلمين من يقدسونهم نتيجة للردة الجديدة والعياذ بالله.

ومن مكر اليهود وحسدهم ما ذكره المفسرون أن فنحاص بن عازورا وزيد قيس ونفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم؟ ولو كنتم علىٰ الحق ما هربتم، فارجعوا إلىٰ ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدىٰ منكم سبيلًا فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد. قال: إني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا. وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانًا. ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه. فقال: «**أصبتما خيرًا وأفلحتما**» فنزلت هذه الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

وهنا فوائد:

١- ورد في ذم الحسد أحاديث كثيرة نكتفي منها بقوله ﷺ: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**». وبقوله ﷺ: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة، ولا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**».

٢- حقيقة الحسد: وهي أنه إذا أنعم الله علىٰ أحد بنعمة، فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن أردت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة. أما الأول فحرام علىٰ كل حال إلا بنعمة أصابها فاجر يستعين بها علىٰ الشر والفساد فلا

يضرك محبتك لزوالها فإنك ما أحببت زوالها إلا من أجل فجوره وفساده.

٣- مراتب الحسد: وهي أربعة:

الأولىٰ: أن يحب زوال تلك النعمة عن المحسود وإن كان ذلك لا يحصل له، وهذا غاية خبث الحسد.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة إليه وأن تكون له لا للحسود.

الثالثة: أن يشتهي لنفسه مثلها ولا يشتهي زوالها عنه بادئ الأمر، ولكن إذا لم يحصل له مطلوبه تمنىٰ زوالها عنه.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها، وهذا معفو عنه، والثالث بين الذم والمدح، والثابت علىٰ خط الأول هو المذموم الخطير.

٤- ذكر العلماء للحسد سبعة أسباب:

أحدها: العداوة والبغضاء سواء كان عدوانًا أو بسبب إيذاء.

ثانيها: أن ينال أحد منصبًا عاليًا يرتفع عليه به وهو لا يتحمل فيحسده ويريد زوال ذلك عنه، وقد يسعىٰ بقدرته لذلك.

ثالثها: أن يكون من طبيعته استخدام غيره، فيريد زوال النعمة عمن يرغب استخدامه.

رابعها: التعجب كما حكىٰ الله عن أعداء الرسل أنهم قالوا: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴿١٥﴾﴾ [يس: ١٥] ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤] الخ.

خامسها: الخوف من فوت المقاصد ... وذلك يختص بالمتزاحمين علىٰ مقصود واحد أو صنعة واحدة، فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه علىٰ كل نعمة تكون عونًا له في الانفراد بمقصوده، وفي هذا الباب تحاسد الضرات والأخوة في نيل المنزلة عند الوالدين ونحو ذلك.

سادسها: حب الرياسة وطلب (الجاه) لنفسه كالذي يكون عديم النظير في فن من الفنون أو نوع من الملك والسلطان، فإذا سمع بنظير له ولو بعيدًا عنه ساءه ذلك وأحب هلاكه وزوال نعمته أو سلطانه.

سابعها: شح النفس بالخير علىٰ عباد الله، وهذا أكثر أنواع الحسد.

٥- سبب كثرة الحسد وقلته وقوته وضعفه في الأمكنة وقد حكىٰ العلماء أسبابًا من أرجحها ما يؤيده الحس، وهو بزور المنافسة لبروز النعمة، وبروز العمل والغنىٰ، وغير ذلك ولهذا نجد الحسد منتشرًا في القرىٰ الصغار التي يبرز فيها أو في شيء للعيان فتكثر الغبطة ويقوىٰ الحسد، بخلاف المدن الكبار، فإن الأعمال فيها كثيرة والحركات واسعة والمسافات شاسعة، وكل ذي فن من الفنون مشغول عن منافسه ولا يدري عنه وكل تاجر منشغل بتجارته، غارق بأعماله عن ملاحظة من سواه، وهكذا سائر الناس في المدن كل منهمك في عمله ومنشغل عما سواه، لا يتطلع إلىٰ غيره لانهماكه في عمله وانشغاله، عكس القرىٰ، فإن صاحبها يحصي ذرات منافسه، فأهل القرىٰ دائمًا عيون بعضهم لبعض، ولهذا يكثر الحسد وينتشر في القرىٰ انتشارًا فظيعًا ويقل ويتضاءل جدًا في المدن والأمصار لانشغال كل منهم بعمله.

٦- في العلاج المزيل للحسد: وهذا من جانبين:

أولًا: من جانب الحاسد: فينبغي له أن يعلم أن من لوازم صحة إيمانه بالله هو الرضىٰ بالقضاء وأنه بحسده لأحد من عباده لا يكون راضيًا بقضائه، بل يكون ساخطًا لحكمه وقضائه منازعًا له في قسمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه بينهم يخفي حكمته التي قد لا تظهر لكثير من الناس وهذه جناية تقدح في أصل التوحيد والإيمان.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فعلىٰ الحاسد أن يعلم أنه إذا أعش مؤمنًا لأجل الحسد خرج من صفة المؤمنين الذين يحبون لإخوانهم الخير، وشارك إبليس وجميع الكافرين في محبتهم الشر للمؤمنين، ومن جهة ثالثة فإنه إذا عادىٰ مؤمنًا لأجل الحسد كان مبارزا لله بالمحاربة لأن المؤمن من أولياء الله كان فيه ما فيه إذ لا تشترط العصمة في أولياء الله، ومن جهة رابعة يجب عليه أن يتذكر عقاب الله العظيم للحاسد في الآخرة.

ومن جهة خامسة يجب عليه أن يرحم نفسه ويرثىٰ لها من آثار الحسد من الهموم والغموم والكمد الذي لا يفارق قلبه وصدره مما قد ينقلب عليه مرضًا عضالًا وكثيرًا من الحساد قتلهم الحسد خصوصًا عن الرئاسة والجاه فإذا علم الحاسد واستيقن أن العذر عليه في دينه ودنياه وأن حسده لا يضر محسوده، بل يضره هو فقد يقلع عن الحسد ويسلم صدره منه فيسلم له دينه وتسلم له صحته حيث يسلم من الوساوس والمنغصات والهموم والغموم المؤذية بالصحة والعياذ بالله.

ومن جهة سادسة يجب علىٰ الحاسد أن يستيقن أن المحسود لا يضره حسده أبدًا لا في الدين ولا في الدنيا لأنه في الدنيا تتابع عليه النعمة والإقبال إلىٰ

الأجل المقدر لها ولكل أجل كتاب، ولا تزال نعمته بالحسد، بل تزيد نعمته وأجره بل المحسود ينتفع بحسد الحاسد في الدنيا والآخرة بل في الدين والدنيا أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهة الحاسد، خصوصًا إذا أخرجه الحسد إلىٰ الغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه، فهي هدايا يهديها الله إليه علىٰ يد حاسده فتزداد حسناته وتثقل سيئاته، ولا يزال المحسود يزداد منفعة من الحاسد رغمًا عليه فإذا استدمن الحاسد ذلك عرف أنه هو الحاسد دون المحسود، فأقلع عن حسده وتاب إلىٰ ربه.

هذا علاج الحاسد وأما علاج المحسود بعدة أمور:

أحدها: الاستعاذة الصادقة بالله من شر حاسد إذا حسد، ومن استعاذ بالله صادقًا لاجئًا أعاذه.

ثانيها: تقوىٰ الله وحفظه في حدوده كما قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك».

ثالثها: التوبة الصادقة من الذنوب التي من أضرارها تسليط الحاسد.

رابعها: الصبر علىٰ عدوه وإن لا يشاوره ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلًا بل يستعين بالله.

خامسها: قوة التوكل علىٰ الله والتحصين بملازمة ذكره.

سادسها: فراغ القلب من الاشتغال بالحاسد والتفكر به، بل يقلعه من قلبه ولسانه ويجعله نسيًا منسيًّا، فيمحوه من قلبه ولا يخاف منه ولا يطرأ له علىٰ بال.

سابعها: الإقبال علىٰ الله بقوة محبته والإخلاص له والإنابة إليه والضراعة

إليه وحده.

ثامنها: الصدقة والإحسان العام غاية الإمكان، فإن لذلك تأثير عجيب في دفع البلايا والكربات عمومًا.

تاسعها: الإحسان إلىٰ الحاسد ومهاداته بما يطفئ حسده الغالي في صدره وهذا شاق علىٰ النفوس والله المستعان.

فهرس الكتاب

١- فرية عظيمة وخطة أثيمة ٣
٢- الشباب السعودي وواجبه..... ١٥
٣- نحن والركب المتحرر..... ٣٥
٤- هل هذا تطور أم جاهلية؟..... ٤٧
٥- بين تقدمية صادقة وزائفة ٦٥
٦- المنطق الشيوعي في تفسير المادة ٧٧
٧- الأثر السيئ لعدم ضبط الحب والعاطفة..... ٨٩
٨- الأثر السيئ لعدم التواصي..... ١٠١
٩- من القرآن وتربيته..... ١٠٩
١٠- تربية النفس بالطاعة..... ١٢٧
١١- إشغال جميع الجوارح والأحاسيس بالطاعة..... ١٤٣
١٢- الآثار الناتجة عن تطبيق فرائض الله ١٦٣
١- الصلاة ١٦٥
٢- الصلاة والصبر ١٦٨

٣- الصوم وفوائده ١٨١
٤- الحج ومنافعه ٢٠١
١٣- التقوى من دعائم الإيمان ٢٠٩
١٤- لا تجعلوا لله أندادًا ٢٢١
١٥- يسألونك عن الخمر ٢٤٩
١٦- الحسد وطرق العلاج ٢٥٥
١٧- الفهرس ٢٦٧